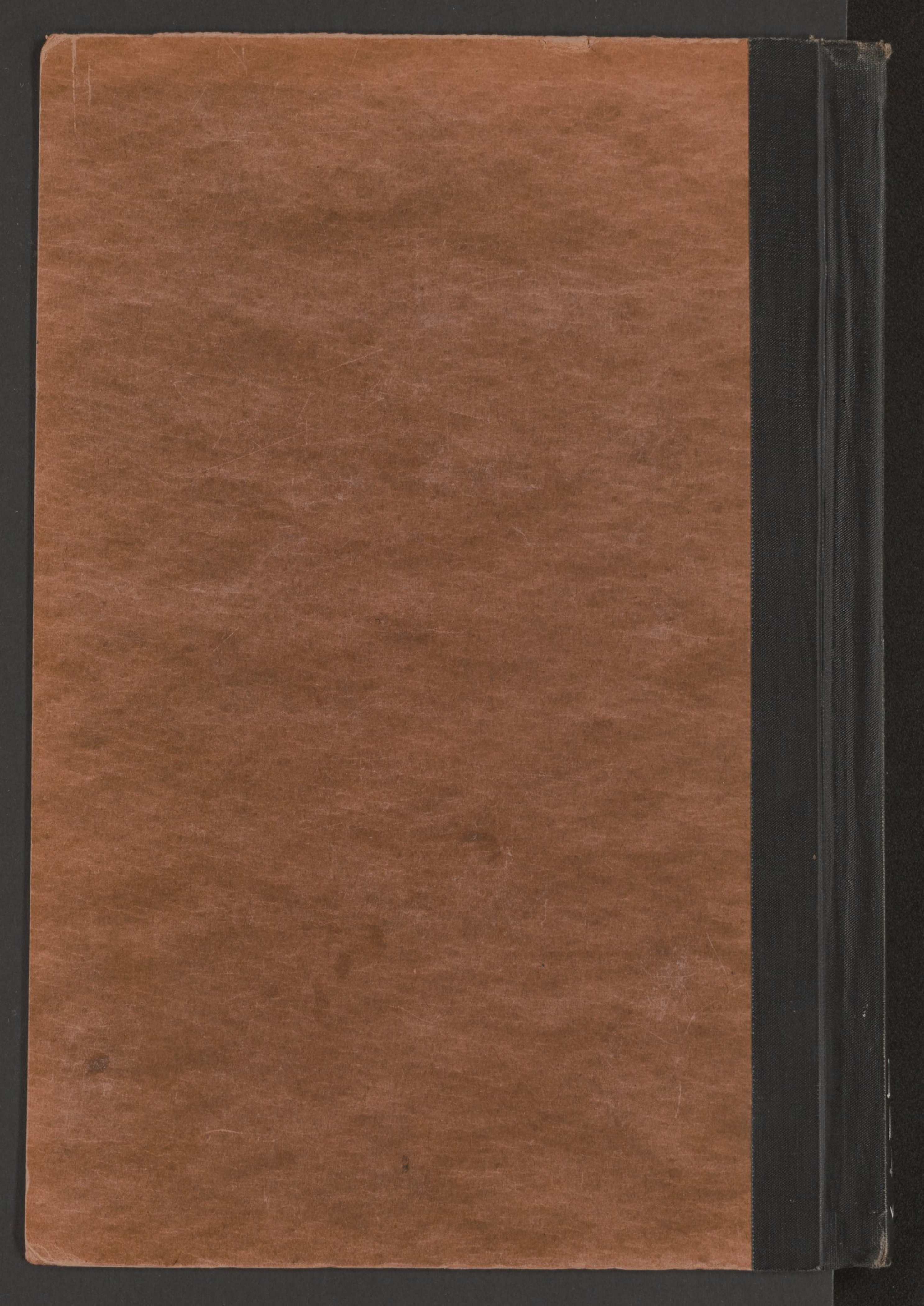
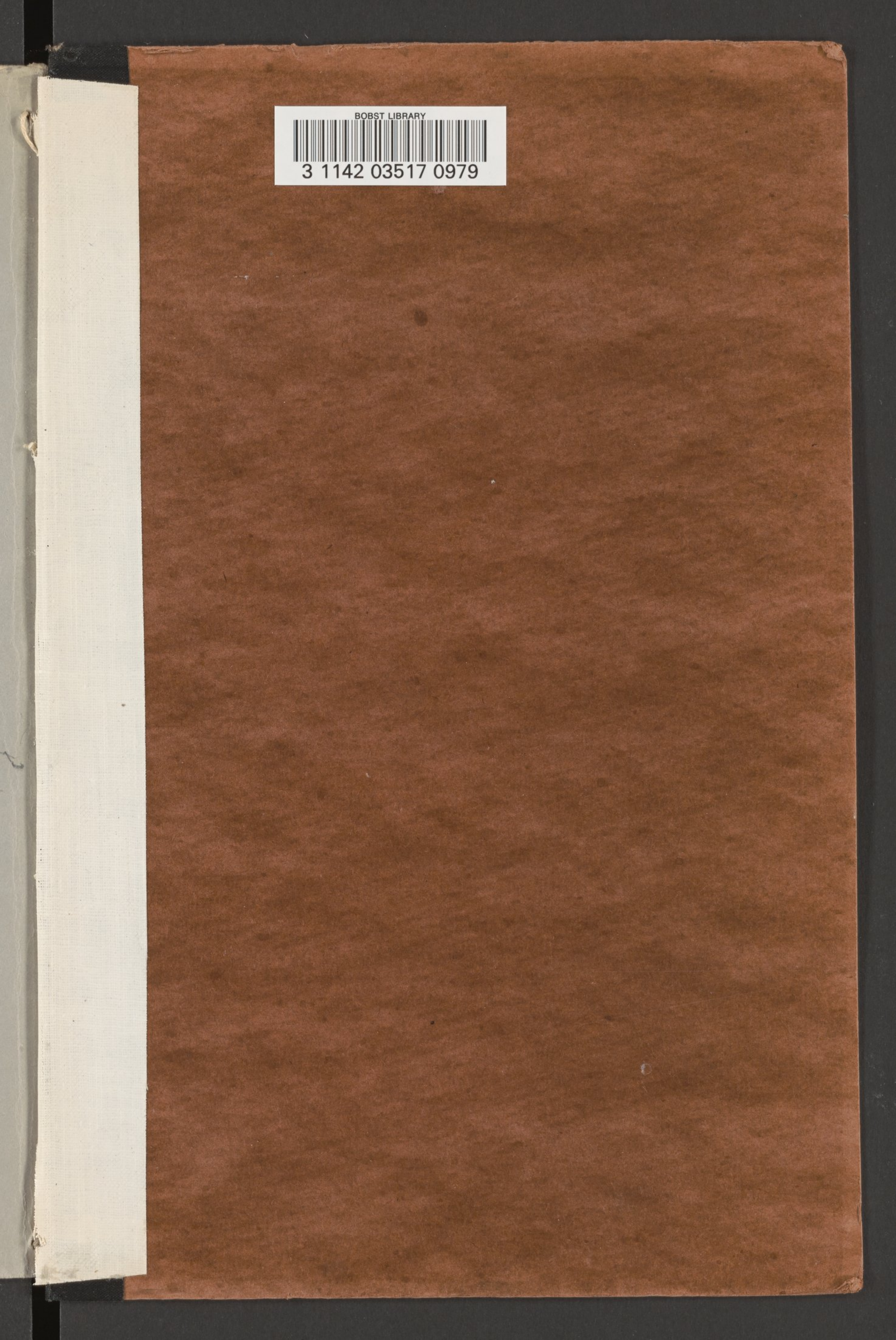




مباحث اجنبية في تاريخ لبنان

يوميات في لبنان

تاريخ وجغرافيا

فصول اختارها وترجمها عن الانكليزية

اسد شيخاني

من كتاب : مباحث توراتية عن فلسطين والاقاليم المجاورة

بقلم

ادوار روبنصون

الدكتور في اللاهوت والفلسفة

الجزء الثاني

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

مباحث اجنبية في تاريخ لبنان

يوميات في لبنان

تاريخ وجغرافيا

فصول اختارها وترجمها عن الانكليزية

اسد شيخاني

من كتاب : مباحث توراتية عن فلسطين والاقاليم المجاورة

بقلم

ادوار روبنصون
الدكتور في اللاهوت والفلسفة

الجزء الثاني

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

عنوان الكتاب بالانكليزي

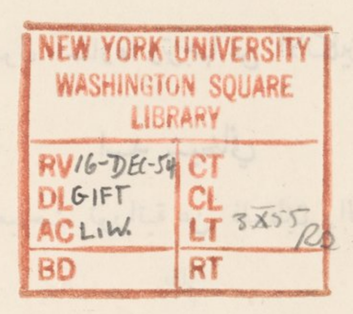
BIBLICAL RESEARCHES IN PALESTINE AND IN THE ADJACENT REGIONS

A JOURNAL OF TRAVELS IN THE YEAR 1838

BY

E. ROBINSON and E. SMITH

LONDON, 1860



الطبعة الاولى ، بيروت – لبنان ، تشرين الثاني ١٩٥٠

من حاصبيا الى بانياس

معلومات جغرافية عن الطريق . حالات الشعب . رسالة تحقير الى حاكم المنطقة . رسالة توصية من شيخ مشايخ الدروز . المعرض الدوري. كو كبا. برغز. مجرى النهر. بلاط . النبي حسكين . دبين . الجديدة . الخيام . سهل الحولة. ارض سردا. لويزه . منبع نهر الحاصباني ومجراه. قرى نصيرية . الغجر . عين فيت . زعورا .

لم تهدأ تماماً بعد الاضطرابات وحالات الشغب التي ألمعنا اليها سابقاً بين دروز لبنان . فقد كانت تصلنا الاخبار عن العصابات الدرزية الشاردة ، او من يعملون باسمها او تحت امرتها في هذه الاقاليم ، وعن اعمال العنف والتعدي والسلب التي تقوم بها . كانت هذه الاشاعات تصلنا يومياً تقريباً الى حاصبيا ، نظراً لوقوعها (حاصبيا) على احدى الطرق الرئيسية التي تصل بين دروز لبنان ودروز حوران ، ولانها تضم عدداً كبيراً من الدروز بين سكانها ، وبعضهم من ذوي النفوذ[1] .

اما الذي اثر مباشرة على الخطط التي وضعناها وتم الاتفاق

[1] راجع ما كتب عن هذه المشاغبات والاضطرابات في الصفحة الثامنة من المجلد الثالث (بالانكليزية) المؤلف .

عليها لرحلتنا هذه ، فهو تقرير وصلنا عن جماعة من دروز المتن مؤلفة من خمسة عشر او عشرين شخصاً ، كانت مرابطة في غابة بالقرب من بانياس ، تسلب من يقع عليهم اختيارها من المارة . ولم تكن تتعرض لكل مار من هناك . نهبت يهودياً يوم السبت ، وعدة قرويين يوم الاحد ، ولكن يوم الاثنين ، مرّ رجل انكليزي مع عائلته المؤلفة من ثلاث سيدات بطريقها من بانياس الى حاصبيا ،فلم تر احداً من افراد العصابة . قيل ان هذه الجماعة ارسلت رسالة تحقير الى الامير حاكم المنطقة ، ولكنه جبن ولم يحرك ساكنا ولم يتخذ اي اجراآت ضد السلابين . وهكذا اعتُبرت كل الطرق المؤدية الى دمشق محفوفة بالاخطار .

اعتزمنا السفر الى بانياس يوم الثلاثاء ، فاحططنا للامر وطلبنا رسالة توصية من زعيم مشايخ دروز الاقليم ، وهو يقيم في حاصبيا [١] ،

١ ان رسالة التوصية التي استحصل عليها المؤلف من زعيم مشايخ الدروز في حاصبيا ترجمت الى الانكليزية ، وهي تتعلق بالعصابات التي كانت تقوم باعمال العنف والشغب بالقرب من بانياس . وها نحن نترجمها الى العربية نقلا عن الترجمة الانكليزية . قد تخالف هذه الترجمة النص العربي الاصلي في بعض العبارات ، ولكنها ترجمة حرفية عن الترجمة الانكليزية . — المعرب .

« الى اصحاب السعادة مشايخ الشوف المحترمين المقيمين الان في هذه النواحي، حفظهم الله تعالى .

« اولا، بعد الاشواق الوفيرة لمشاهدتكم بخير وعافية. وبعد نفيدكم ان صديقنا المستر تومسون ذاهب من قبل الحكومة الانكليزية لزيارة بعض الاماكن . وينتظر منكم عدم مداخلة احد معه او اعتراض طريقه . وخلاف ذلك لا لزوم لان اشدد عليكم او اصر على هذه المسألة . واطال الله بقاءكم . صديقكم المخلص

الامضاء محمد قيس (ل . س)

شعبان ٦ ، ١٢٦٨ (٢٤ ايار ١٨٥٢) .

فلم يتردد لحظة في اعطائنا اياها . وتلطف ايضاً ووافق على ارفاقنا برجلين مسلحين من رجاله . استأجرنا ثلاثة بغالين دروز لمرافقتنا في رحلتنا هذه .

الثلاثاء ٢٥ ايار . — الجو هذا الصباح ينذر بمطر قريب ، ولم يبخل علينا بسحتين خفيفتين . اما وقد تعافيت قليلاً ، فقد صح عزمنا على الانطلاق والسفر بتؤدة . تألف الركب من المستر تومسون ومني وخادمينا وثلاثة بغالين دروز وتابعي الشيخ المسلحين . طلب الينا احد الشبان الناشطين ان نسمح له بمرافقتنا الى بانياس لاعمال خصوصية ، فلم نمانع بذلك ، فكان لنا خير معوان في رحلتنا . ارسلنا البغالين والامتعة برفقة احد الرجلين المسلحين الى الجديدة . اما نحن مع الرجل المسلح ، فاعتمدنا السفر بطريق برغز وهوة الليطاني .

تركنا بيت الارسالية الساعة الحادية عشرة . وبعد اربعين دقيقة كنا على معبر الحاصباني . تحولنا شمالاً فوصلنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين الى مفترق في الطريق يؤدي الى كوكبا . اليوم يقام المعرض الدوري في الخان الذي مررنا على مقربة منه . يتردد على هذا المعرض الكثيرون من لبنان والحولة ووادي التيم وحتى من حوران . ومع ان سقوط المطر منع الكثيرين من المجيء فان الجمع كان غفيراً . مررنا الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة تحت كوكبا الواقعة على اعلى المنحدر الغربي ، وتوقفنا خمس دقائق تحت اشجار الزيتون نتقي باغصانها المطر الهاتن . اما منظر القرية فهو عن بعد احسن منه عن قرب .

من الخان صعداً باتجاه الغرب ، يمتد واد ضيق ، عميق ، محروث

جيداً ، يشق طريقه في السلسلة الغربية وينفذ اكثر من نصف المسافة الى سفحها . يسهل الصعود في هذا الوادي من ناحية الحاصباني لانه صعود تدريجي . اما من الجانب الغربي ، اي من ناحية الليطاني ، فانه ينحدر الى النهر تحت جسر برغز انحداراً صعباً مفاجئاً .

تمر الطريق من الخان الى جسر برغز وسط هذه الفرضة التي يحدثها الوادي ، ثم تسير صعداً في وادي صفصاف بجانب لبنان الى كفرحونه وجزين ١ . ان هذا الوادي الذي يشق طريقه في هذه السلسلة ، كما ذكرنا سابقاً ، يفصل مرج عيون عن حاصبيا كما لا يخفى ، وهو الحد الفاصل بين باشويتي صيدا ودمشق في هذه الناحية .

تابعنا طريقنا من كوكبا على كتف الاكمة الشمالية في اعلى المنحدر ، ثم هبطنا تدريجاً الى الطريق الآتية من الخان فوق مقلب الماء . وصلنا هذه الطريق الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين ، ولم نلبث ان بدأنا نهبط في المنحدر الى النهر . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين كنا على نجد قرية برغز ، وهي قرية درزية صغيرة تبعد نحو اربعين روداً شمالي النجد . اما النهر والجسر الذي يقال انه من بناء الرومان فهما على مسافة مئتي قدم ونيف تحتنا . نحن الآن على نجد برغز نشرف على هوة النهر ونرى تميزاته على مسافة قصيرة فوق النجد وتحته .

شمالي برغز مباشرة يبرز من سفح لبنان نتوء عريض منخفض ،

١ Comp. Wilson Lands of the Bible, II. p. 192 sq.

عرضه ميل او يزيد ، يمتد عبر النهر الى السلسلة الشرقية . يشق النهر طريقه نزولاً وسط هذا النتوء ويستمر في جريانه طول هذه المسافة الطويلة في هوة واحدة جد ضيقة ومتعرجة ، يراوح ارتفاع ضفافها بين ثلاثمائة قدم وخمسمائة ، وتقرب بعضها ان تكون عمودية . اشرفنا من مركزنا هذا على جزء كبير منها ، فاذا هي تسير بعطفات قصيرة تتكون منها زوايا حادة . كنا نرى النهر في قعرها كأنه جدول شتوي صغير ، يتدحرج ويزبد ويهدر في مجراه الصخري المنحدر . تنخفض الارض مسافة قصيرة جنوبي برغز ، ويتسع الوادي الذي يجري فيه النهر ، مما اتاح عمل طريق الى النهر في الضفة المنحدرة وبناء جسر فوقه . ينعطف النهر قليلاً الى الغرب تحت الجسر تماماً ، ثم ينعطف ثانياً الى الجنوب .

توقفنا حيث نحن بالقرب من برغز عشرين دقيقة نتقي سحة مطر خفيفة ، هي السحة الوداعية . وبعد الظهر صفا الجو وعلا النسيم .

تابعنا سيرنا الى بلاط الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة . لم نسر على طريق مألوفة ، بل ضربنا في الحقول كي نظل بالقرب من هوة النهر وقد شقها وسط سلسلة اخرى ممتدة من لبنان باتجاه الجنوب . والسلسلة هذه تظهر بوضوح انها امتداد من السفح الجنوبي من لبنان نفسه ، وهي تواصل امتدادها الى السلسلة الاكثر انخفاضاً ، القائمة شرقي الشقيف . يصدم النهر هذه السلسلة على مسافة قصيرة تحت جسر برغز ويدخل فيها بانحراف كثير ، ثم يشقها طولاً بالقرب من جانبها الشرقي حتى يصل تحت بلاط حيث ينعطف بزاوية قائمة تقريباً ، ويخترق وسط السلسلة حتى غربيها ، ثم يخرج منها الى بقعة

اكثر اتساعاً، وينعطف ثانياً الى الجنوب ويجري تحت الشقيف. وهكذا فقد اصبح ما بقي من السلسلة في الناحية الشرقية هزيلاً مرأساً ومنحدراً.

تابعنا السير بجانب قمة هذه السلسلة الهزيلة نشرف احياناً على الهاوية التي تضم النهر عن يميننا، وحيناً نسير حول الجانب الشرقي من القمم العالية المرأسة. الطريق مائدة ومحفوفة بالاخطار، وامتطاء الجياد عليها يهيج الاعصاب ويثيرها [١].

تتجه الهوة بين جسر برغز وبلاط من الشمال الشرقي بشمال الى الجنوب الغربي بجنوب اتجاهاً مطلقاً، ويختلف عمقها باختلاف الآكام على جانبيها، فهو يراوح بين ثمانمائة قدم والف. الى هنا يعتبر اتجاه الهوة معتدلاً، ولكنها عندما تقترب من بلاط تتجه جنوباً بزاوية منفرجة. ضفتاها هاويتان ولكن غير عاموديتين، تكسوهما الاشجار الصغيرة، وتشبهان ضفاف النهر العالية نفسها شرقي جسر قعقعية، ولكن الهوة هنا اضيق منها هناك واعمق [٢].

وصلنا بلاط الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين، فألفيناها قرية صغيرة قائمة على الجانب الشرقي من الهوة تحجبها قليلاً من الوراء بقعة من الارض متسعة وعالية. نزلنا من القرية فوصلنا بعد خمس دقائق الى شفا الصخور الحالقة. هنا جانبا الهوة عموديان او منحدران انحداراً يقرب من العمودي قبل ان تنعطف الهوة غرباً. كانت النسور محلقة فوق الهوة، عائدة الى اعشاشها في الصخور

١ المواقع الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين: برغز شمالا ٧٥ درجة شرقاً. الشقيف جنوباً ٣٠ درجة غرباً.

٢ راجع المجلد الثالث (بالانكليزية)، ص ٥٣، للمؤلف.

الغربية الحالقة .
في سفح الهوة شمالي القرية مطحنة تتصل بها طريق مائدة . عمق الهوة في الجهة الشرقية سبعماية قدم ، كما سجلها المستر تومسون والدكتور دي فوريست بميزان ضغط الهواء قبل بضعة ايام . تقوم القرية على ارتفاع مئتين او ثلاثماية قدم فوق الهوة . اما الآكام الواقعة ابعد الى الشمال فاكثر ارتفاعاً من القرية . ولا يقل ارتفاع الصخور الغربية المنحدرة عن تسعماية قدم فوق النهر . ويظهر ان سطحها نجد مستوٍ ، جميل ، معشوشب ، كثير الاخضرار ، ترصعه شجيرات صغيرة من السنديان . قعر الهوة جد ضيق يطموه النهر . المنظر امامنا مزيج رائع من الخشونة والوعورة والجلال لا يسع المرء نسيانه ، ولا اعرف مشهداً شبيهاً به سوى هوة نهر سلزخ Salzach الشهيرة عند باسلويغ Passlueg على الطريق من سلسبرغ Salzburg الى غاستين Gastein .

تكثر الوبار في جوانب الهوة تجاه بلاط ، وقد رآها المستر تومسون في زيارته السابقة تخرج من شقوق الصخور وثقوبها . وهي تخرج شتاء في رائعة النهار ، اما صيفاً فعند المساء[١] .

تركنا بلاط الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والخمسين الى دبين

١ اقرأ ما كتب عن هذا الحيوان في :
Gesen. Heb. Lex. art.
Thesaur. p. 1467.
Seetzen in Ritter's Erdk. XV. p. 594 .
Wilson Lands of the Bible, II. p. 28 sq.
Fresnel in Journ. Asiat. Ser. III. Tom. V. p. 514 .

والجديدة على الطريق العامة باتجاه الجنوب .

كنا الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة قبالة الانعطاف في هوة النهر ، فاذا بنا نشرف على مجراه الغربي . الجوانب هنا عمودية تقريباً والهوة اضيق . في الطرف الغربي من الهوة مكان يسمى خطوة ، قيل انها تضغط على مياه النهر اكثر من اي مكان آخر . وهذه الخطوة حفرها النهر اخدوداً عميقاً او قناة في الصخر ، ويقال انها جد ضيقة يمكن المرء ان يخطو فوقها[1] .

هنا ، حيث وقفنا ، موقع قديم يسمى الآن نبي حسكين ، عثرنا فيه على قطع من عمودين ، وعلى ناووسين مقدودين في صخر منعزل . يمتد الى هذا المكان واد صغير من الجنوب ، ينزح اليه ماء سهل جميل يقع باتجاه الجديدة . وهذا السهل يمتد على موازاة لسان المرج الذي تسلقناه يوم الخميس السابق ، ويفصله عنه حرف جبل صغير .

الساعة الثالثة والدقيقة العشرين مررنا في السهل على دبين ، فوصلنا الجديدة الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وهي على

١ زار الدكتور دي فوريست هذه الهوة قبل بضعة ايام ، وهذا ما كتبه عنها : « يجري النهر على مسافة تقرب من مئتين وخمسين قدماً وسط بوغاز ضيق ، يراوح اتساعه بين ست اقدام واثنتي عشرة قدماً . وهو يتلوى ويتململ كأنه في عذاب مقعد مقيم ، ويسرع في جريانه كي يتخلص من هذا المجرى الضيق الوعر . وفي مكان ما لا يتجاوز العرض الثلاث اقدام . وقد منعتنا سرعة التيار الجارف من التثبت من غوره . جربنا سبره بقضيب طوله ثماني اقدام فلم يصل الى قعره . جربنا للمرة الثانية فكسره التيار قبل ان يصل الى القعر . الخطوة هي طرف الممر الغربي المشهور ، والضفتان تحتها الطف انحداراً . » — راجع جريدة الارساليات اليومية .

الجانب الغربي من رأس السهل[1].

توقفنا هنا قليلاً للراحة، وارسلنا البغالين على الطريق السوية الى الخيام. اما نحن فسرنا على طريق تل دبين لنفتش على قبور مقدودة سمعنا بوجودها. تركنا الجديدة الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين، فوصلنا جهة التل الغربية الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة. لم نعثر على شيء هنا، فرجعنا ادراجنا قليلاً الى اكيمة حيث وجدنا حفرة قد تكون ضريحاً او لا تكون. الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة ضربنا عبر الحقول باتجاه الجنوب الغربي الى طريق المرج الذي برحناه يوم الخميس، للوصول الى التل. تابعنا السير عليه فكنا الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين تجاه سد الينبوع الكبير وحوضه المهدمين[2]. هنا تحولنا الى اليسار، ثم تسلقنا المنحدر الطويل الى الخيام، فوصلناها الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة، فنصبنا خيمتنا بين بيادرها. المسافة المستقيمة بين الجديدة والخيام نحو ثلاثة اميال.

الخيام هي البلدة الرئيسية في قضاء مرج عيون، يقدر عدد الذكور فيها بخمسماية نفس، فيكون عدد سكانها نسبة الى ذلك الفي نفس اكثرهم متاولة. اما الارثوذكس والكاثوليك فقليل عديدهم. اعتنق بضعة منهم البروتستانية، ففتحت لهم مدرسة انجيلية.

اشرفنا من خيمتنا على مرج عيون في الغرب ووادي التيم في

١ المواقع من الجديدة: دبين شمالاً ١٥ درجة شرقاً. ابل جنوباً ٧٠ درجة شرقاً. الخيام جنوباً ٢٠ درجة شرقاً، المسافة ثلاثة اميال.

٢ راجع المجلد الثالث، ص ٢٧٤، للمؤلف.

الشرق . النزول الى وادي التيم تدريجي وسهل . الوادي اكثر اتساعاً ، والآكام فيه اكثر انخفاضاً من تلك التي تقوم ابعد الى الشمال . هنا تنتهي الآكام تقريباً . امامنا قرى عديدة نراها من بعيد[١] .

المساء جميل ، والقمر في الربع الثاني يرسل انواره الفضية الوضاءة فينير جواً لطيفاً هادىء توارت عنه الغيوم ، والسماء صافية ترصعها النجوم المتلألئة .

الاربعا ٢٦ ايار . – اشرقت الشمس من وراء اعلى قمة في حرمون تتسربل بانصع حلة من النور والجلال ، وأطل علينا الجبل يشمخ بجلاله المهيب ، فبدا منظر جهته الغربية جلياً للعيان من سفحه الى قمته .

تركنا الخيام الساعة السابعة والدقيقة العاشرة وجهتنا الغجر وتل القاضي . تابعنا السير على حاجب الحرف ، فوصلنا الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين الى بروزٍ اشرفنا منه على الحولة والبحيرة وكل ما حولها . والظاهر ان المستنقع يمتد في الجهة الغربية اكثر منه في الوسط .

بدأنا حالاً بالهبوط عرضاً وبانحدار باتجاه الحولة بطريق صخري ،

١ المواقع من الخيام : ابل ٣٠ درجة ونصف الدرجة .عين قنية ٦٥ درجة . خلوات البياضة ٥٠ درجة . راشيا الفخار ٧٣ درجة . كفرحمام ٩٦ درجة . كفرشوبا ١٠٦ درجات . المارية ١٢٣ درجة . تبنين ٢٦٥ درجة . قلعة الشقيف ٢٧١ درجة . قلاعات ٢٧١ درجة ونصف الدرجة . تل دبين ٣١٣ درجة . الجديدة ٣٣٥ درجة . الكنيسة في الجديدة ٣٣٠ درجة . النبي سجد ٣٣٠ درجة وربع الدرجة . تومات نيحا (القمة الجنوبية) ١٥ درجة . جبل صنين ٣٧ درجة . تل القاضي ١٧٦ درجة .

فوصلنا السهل في اسفل المنحدر الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة .

الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة كانت اطلال سردا الى يميننا فوق سفح المنحدر على مسافة ربع ميل منا . وهذه الاطلال هي عدة قبور مقدودة تستعمل الآن مستودعات للحبوب . وتوجد اطلال قرية حول الكهوف وتحتها[١] .

قبالة الخيام تقريباً تختفي الآكام التي في وادي التيم ، وينفسح الوادي، باتجاه الجنوب، سهلاً متسعاً معتدل الاستواء، ويمتد من سفح الحرف الغربي حتى سفح جبل الشيخ . ولكن هذا السهل الواقع في الشمال هو اكثر ارتفاعاً من البقعة الواقعة حول تل القاضي . وهذه البقعة هي اكثر ارتفاعاً من سهل الحولة الاسفل . نزلنا لا اقل من ثلاث درجات او خرجات في طريقنا الى تل القاضي . وهذه الدرجات تتجه من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي . وتل القاضي نفسه متصل بخرجة رابعة مثل سابقاتها . وتوجد خرجتان غيرها ابعد منها الى الجنوب . تتجه هذه الخرجات الثلاث الاخيرة من الشرق الى الغرب . ولا يقل علو نجد عن آخر ، عن خمسين قدماً واحياناً اكثر .

نحن الآن على النجد الاول ، وهو اعلاها ، ويسمى هنا ارض سردا . تابعنا عبوره باتجاه قرية الغجر التي يستدل عليها من قبة الولي البيضاء . الاقليم بركاني . يتجه مجرى الحاصباني الى ناحية هذا النجد الشرقية ، في مضيق عميق ومنحدر . وصلنا الساعة الثامنة

١ يقول سيتزن ان سكان سردا في عهده كانوا مسيحيين ودروزاً . راجع :
Reisen, I. p. 332.

والدقيقة الخمسين الى قرية لويزة المهجورة ، على ضفة المضيق الغربية ، ثم انحدرنا جنبياً بمشقة وجهد وسط البلاط البركاني الاسود ، والرخام الاسود الكروي ، فوصلنا النهر الساعة التاسعة . النهر هنا اكبر منه عند حاصبيا ، اذ انضم اليه الجدول الآتي من عين سرّيب الواقعة تحت سفح جبل الشيخ الغربي .

على مسافة خمس دقائق تحت معبر النهر ، ينبوع كبير اسمه لويزاني ، يتفجر من تحت طبقات الصخر الكلسي على حافة النهر الغربية . لم نتمكن من الوصول الى الينبوع المذكور لان غابات الرمل المتشابكة وطبيعة الارض المستنقعة حالت دون رغبتنا في زيارته . ومما لا ريب فيه ان حجم النهر قد ازداد تحت الينبوع زيادة كبيرة . ويقال ان النبع غزير كنبع الحاصباني واقل تقلباً منه . وقد ظهر لنا ان بطن الوادي كثير الينابيع ، ورأينا العديد منها تتفجر مياهها الى الجهة الشرقية .

تابعنا سيرنا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، فصعدنا الضفة الشرقية بانحراف كثير ، ولكن على طريق اسهل من الطريق التي على الضفة الغربية . هنا ايضاً رأينا البلاط البركاني الاسود قطعنا قسماً من الطريق معرضين لخطر اكيد ، لانها تسير على حافة منحدر . اشرفنا من هنا على الطبقات الكلسية القليلة فوق الينبوع . اما ما بقي فكله حجارة بركانية سوداء . ومن المحقق ان النهر شق هذه الهوة في الصخر الاسود البركاني الصلب . عمق الهوة بين مئتين الى ثلاثمائة قدم . وهي جد ضيقة ، وضفافها شديدة الانحدار ، وفي بعض الاماكن عمودية . ومما تجدر ملاحظته ان الحاصباني ينبجس من مغارته الجبلية تجاه الخيام تقريباً ، ويجري وسط السهل البركاني

الكبير باتجاه الحولة ، ولا يسير في القسم المنخفض من السهل ، بل يتابع سيره في هوته العميقة وسط النجد الغربي الاكثر ارتفاعاً من سائر الانجاد .

عندما اقربنا من قرية الغجر الواقعة على ضفة المضيق الغربية ، ضربنا نزولاً وسط الحقول متجهين الى اليسار ، فتحاشينا المرور على القرية ، كي نصل الى الطريق المؤدية منها الى تل القاضي . سكان الغجر وعين فيت وزعورا نصيرية . وهذه القرى الثلاث هي القرى الوحيدة التي تسكنها هـــذه الطائفة في كل هذا الاقليم . الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين كانت القرية وقبتها البيضاء على مسافة اربعين روداً عن يميننا . تقع زعورا على حافة الحرجة الاولى ، بين النجد الاكثر ارتفاعاً والذي يليه ، وهو اقل ارتفاعاً منه . ويبعد جسر الغجر كثيراً عن القرية الى الجهة التحتانية [1] . ويجري وسط كل من النجدين التاليين ، وهما اقل ارتفاعاً من الاولين ، جدول صغير . ويجري وسط النجد الثالث جدول اكبر يخرج من ينبوع في سفح جبل الشيخ ، وينضم الى النهر الذي يخرج من تل القاضي .

الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة كنا على النجد الثالث عند الجدول . سرنا وسط حقول من القمح ، وبين اركام من الصخور

١ يظهر ان بقعة الحجارة والصخور البركانية التي بالغ م . دي سولسي M. De Saulcy في وصفها جاعلا منها خرائب مدينة كبيرة هي حاظور على زعمه ، تقع في مكان ما الى الجنوب الغربي من الغجر ، ولا تبعد كثيراً عن الزوق على حافة النجد الاعلى . راجع له Narrative, II, pp. 516-520 . اما نحن فقد شاهدنا الكثير من هذه البقاع التي تشبه الخرائب شبهاً تاماً ، ولم يدر بخلدنا ان نجعل منها مدناً خربة .

الرخامية السوداء ، فوصلنا التل الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، واخذنا قسطاً من الراحة في ظل شجرة مـن السنديان الفخم الظليل .

بين تل القاضي وسهل الحولة

شكل التل . ضريح ولي . فوهة بركان . اطلال مدينة قديمة . نهر اللدان . دان . شيّ سنابل القمح .

يقع النظر ، عند الاقتراب من تل القاضي من هذه الناحية ، على جدول كبير ، ماؤه صاف رائق ، يتدفق من ناحية التل الغربية . شكل التل مستطيل ، يمتد اطوله من الشرق الى الغرب . ارتفاعه في الشمال نحو ثلاثين او اربعين قدماً فوق السهل ، وطرفه الغربي يظهر كأنه مبني من بلاط اسود بركاني كبير ، يتدفق الماء من خلاله على علو عدة اقدام فوق سفح التل ، فتتكون منه بحيرة صغيرة في اسفل التل يندفع منها الماء في اخدود منحدر الى النجد التالي الاكثر انخفاضاً . وهذا الينبوع من اغزر الينابيع في العالم ، يتفجر منه نهر لا تقل غزارته باربع مرات عن غزارة الحاصباني حتى بعد ان يغزر هذا الاخير بما يصب فيه من الجداول .

والمياه التي تتدفق داخل التل لا تجري كلها من هذه الجهة . فعلى سطح التل حفرة كبيرة ينبع منها الماء ، ويتدفق جدولاً غزيراً يخرج من فجوة في حافة التل ، ويتدحرج على جانبه الجنوبي الغربي . وهذا الجدول يدير مطحنتين ، وقوة مياهه تكفي لادارة اي عدد من المطاحن . وبعد ان يجتاز المطحنتين ينضم الى النهر الآخر . وهذا الينبوع وحده يعد ينبوعاً جد غزير . هنا في هذه الفجوة

التي يخرج منها الجدول من التل ، تقوم السنديانة الفخمة التي اخذنا قسطاً من الراحة تحتها ، وهي تنشر اغصانها الكبيرة في دائرة متسعة حولها ، مع ان جذعها اصغر من جذوع الاشجار التي رأيناها . تحت هذه السنديانة ضريح ولي مسلم شكله مسطح مربع متوازي الاضلاع المتقابلة ، بناؤه غير متقن ، علقت على الاغصان فوقه خرق كثيرة . الاشجار الصغيرة منتشرة على التل ، والنبات الكثير المفرط في نموه يكاد يغطي المطاحن .

يقع التل على مسافة نحو ميل ونصف من زاوية الجبال الجنوبية الغربية ، على موازاة سفح جبل الشيخ الغربي تقريباً . وهو في منتصف الطريق الى الحولة من الغرب الى الشرق ، ويتصل بالدرجة او الخرجة بين نجدين . وهكذا ، فارتفاع جانب التل الجنوبي ، وهو ضعفا جانبه الشمالي ، لا يقل عن ثمانين او تسعين قدماً فوق السهل . ومع ان شكله مستطيل ، فهو غير متناسب . مساحة سطحه عدة اكرات ، وربما بلغ طوله خمسين روداً . جهته الشرقية اعلى من غيرها قليلاً . والتل محروث في بعض الاماكن ومزروع قمحاً . ولكن الاعشاب ذات الرائحة الكريهة ، والنباتات المؤذية والاشواك والاجم تغطي القسم الاكبر منه . ولذلك لم نتمكن من فحصه الا بعد مشقة كبيرة . ومن الغرابة بمكان ان هذا التل والدرجة يكونان الخط الفاصل بين التراكيب البركانية والصخور الكلسية . تعلو هذه البقعة ستماية وسبعاً واربعين قدماً عن سطح البحر كما سجلها الدكتور دي فوريست منذ بضعة ايام .

واعتقد ان المستر تومسون هو اول من اعتبر التل فوهة بركان

هامة [1]، وقد جاراه الكثيرون في اعتقاده هـذا . واما الاقليم فبركاني ، وقد اجمع الرأي على ان بحيرة فيالا فوهة بركان ، فلا يبعد اذاً ان يكون التل ايضاً فوهة بركان . امـا الدكتور اندرسون ، وهو العالم الجيولوجي الذي رافق بعثة البحر الميت ، فلم ير ما يدل على وجود فوهة بركان سابقاً [2].

بالقرب من الينبوع الاعلى الذي يتفجر على التل ، بقايا بعض المساكن الخربة ، ولا يظهر عليها انها قديمة . اما الاطلال الرئيسية فهي على منحدر التل الجنوبي . هي ركام من الحجارة اكثرها بركانية ، بينها مِدر من الحجر الكلسي المستوي الزوايا . احدى هذه المدر مخددة في الوسط . ومما لا ريب فيه ان اكثر مساكن المدينة التي كانت قبلاً في هذا المكان ، كانت مبنية من حجارة هذا الاقليم البركانية الكبيرة . يقول بركهاردت انه علم بوجود اسس عـلى مسافة ساعة الى الشمال ، ولكننا لم نذهب الى هناك [3].

هذا الينبوع الغزير والجدول الذي يخرج منه يسمى اللدان ، وقد يكون الاسم تحريف دان [4].

١ كان المستر تومسون اول من اعتبر هذا التل فوهة بركان هامد وذلك في العام ١٨٤٣. راجع كتاب المكتبة المقدسة ، ١٨٤٦ ، الصفحة ١٩٦ . وقد قرأت تصريحاً للدكتور سمث في جريدة الارسالية اليومية للعام ١٨٤٤ يوافق على هذه الفكرة .

٢ راجع تقرير لينش الرسمي ، ص ١٠٨ .
وراجع عن فيالا ، ص ١١٠ .
ويقول الدكتور ويلسن « يظهر ان التل من اصل بركاني، ولكننا لم نلاحظ عليه آثار فوهة . » راجع المجلد الثاني (بالانكليزية)، ص ١٧٤ ، للمؤلف .

٣ راجع رحلة بركهاردت في سوريا ، ص ٤٢ .

٤ لم يسمع بركهاردت بسوى اسم دان Dhan ، راجع رحلته في سوريا ،

قد يكون اعتقاد يوسيفوس ، بان الينبوع الذي في بانياس هو المنبع الرئيسي للاردن ، مبنياً على طول المسافة التي يجري فيها هذا النهر ، ولكنه من جهة اخرى يقول ان ينابيع « الاردن الاصغر » هي عند دان [١]. ولا ريب ان هذه الينابيع هي في تل القاضي نفسه .

كان موقع مدينة دان ايضاً عند هذه الينابيع ، وما الاطلال القليلة التي على تل القاضي سوى الخرائب الباقية منها ، وشهادة

الصفحة ٤٢ .

ويقول الدكتور سمث في جريدة الارسالية اليومية ما معناه : اولا ، اد – دان ed - Dan وقد تكون اصبحت ادّان Eddan باعتبار اداة التعريف جزءاً من الكلمة . ثم ، باثبات اداة التعريف في اول الكلمة تصبح الادّان el-Eddan . واذا ضممنا اللام الى الكلمة الاولى اي اد – دان فانها تصبح لدان Leddan . ثم نسبق هذه الكلمة بال التعريف فتصبح اللدان el-Leddan . والى القارىء مثلا اخر في كلمة عصور ، وهو اسم متنزه عمومي خارج سور بيروت وعلى خده . فقد انكمشت « على اص » الى عص ، ثم ضمت الى الكلمة فصارت عصور . وانك تسمع يومياً كلمة على العصور . وبادغام عادي صارت على ال ، الى عل ، فصارت عل اصور ، وهي ليست سوى تكرار وادغام ال التعريف بحرفي الجر اللذين ادخلا على الكلمة .

(هكذا جاءت في الاصل فاثبتناها كما هي امانة في النقل . ويظهر ان المؤلف كتبها كما سمعها من افواه العامة ، اي بحرف الصاد وليس بحرف السين كما يجب ان تكتب كلمة سور . وهذا لا يخفى على القارىء – . المعرب).

١ ثلاثة اسطر في اللغة اليونانية .

Jos. B. J. 4. 1. 1,
Antt. 1. 10. 1.
Ib. 5. 3. 1.
Ib. 8. 8. 4.

يوسيفوس بذلك واضحة [١].

يقول يوسيبيوس وجيروم ان مدينة دان تبعد اربعة اميال رومانية عن بانياس Paneas على الطريق الى صور، وان الاردن ايضاً يخرج من هذا المكان [٢]. ويذكر ترجوم [٣] اورشليم ان «دان في قيصرية» ويعني انها بجوار قيصرية فيلبس [٤]. وبعد كل هذه البينات، لا يبقى وزن للملاحظة المبهمة التي يبديها جيروم والتي يمكن ان يفهم منها ان دان هي بانياس [٥].

ورد في سفري يشوع والقضاة ذكر تأسيس دان. كانت هذه المدينة في الاصل تخص صيدا، وكان اسمها لشم Lesem او لايش Laish، استولت عليها جماعة من رجال الحرب من عشيرة الدانيين وسميت دان [٦]، ثم جعلها يربعام مقراً لآلهته الوثنية

١ سطران في اللغة اليونانية.
Jos. Antt. 1. 10. 1.
Ib. 5. 3. 1.
Ib. 8. 8. 4.
B. J. 4. 1. 1.

٢ Onomast. arts. Dan, Laisa.

٣ (ترجمة الكتاب المقدس من العبرانية الى الآرامية. — المعرب).

٤ Targ. Hieros. Gen. 14, 14.

٥ Hieron. Comm. in Ezech. xlviii. 18,
« Dan. . . ubi hodie Paneas ; » i. e. in the vicinity.
Comp. Gesen. Notes on Burckhardt, p. 494.
Reland Palaest. p. 921.

٦ يشوع : الاصحاح التاسع عشر، العدد السابع والاربعون القضاة : الاصحاح الثامن عشر من العدد السادس والعشرين الى العدد التاسع والعشرين.

واقام فيها احد عجلي الذهب . ثم استولى عليها السوريون كما استولوا على غيرها من المدن . ولم تكن في عهد يوسيبيوس سوى قرية صغيرة [١] . وقد تكون العبارة المشهورة : « من دان الى بئر سبع » التي تعني حدود ارض الميعاد ، احسن تعريف لهذا الاسم [٢] .

اما الاماكن التي كنا نراها عن التل فعديدة ، ذكرنا اكثرها وعرفنا غيرها بعد ذلك . على حافة الحولة باتجاه سفح الآكام الشرقية ، يقوم ضريح الولي سد داهود . وعلى الارض المنحدرة الى الحولة تل عال ، هو تل العازاريات . وقد غاب عن ذاكرتي موقع سن ابل ، ولم تكن بانياس منظورة بعد [٣] .

توقفنا ساعتين تحت السنديانة الفخمة ، فأخذنا قسطاً من الراحة وتناولنا طعام الظهر . جمع البغالون سنابل القمح الذي قارب النضج وربطوها حزماً ووضعوها فوق نار مضطرمة ، وهي طريقتهم في تحميص هذه الحبوب . انها لذيذة حقاً ، ولكنها ليست بلذة

١ الملوك الاول : الاصحاح الثاني عشر ، العددان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون ، الاصحاح الخامس عشر ، العدد العشرون .

ONOMAST . ART . DAN .

٢ القضاة : الاصحاح العشرون، العدد الاول . صموئيل الاول : الاصحاح الثالث، العدد العشرون . صموئيل الثاني : الاصحاح السابع عشر ، العدد الحادي عشر .

٣ المواقع من تل القاضي في العام ١٨٤٤ : سن ابل ٤٤ درجة . فم وادي العسل ٨٠ درجة . قلعة بانياس ٨٩ درجة . عين قنية ١٠٥ درجات . عين فيت ١٢٤ درجة . زاعورة ١٢٦ درجة . عازارية ١٥٧ درجة ونصف الدرجة . سد داهود ١٧٤ درجة . دفنة ٢٠٠ ودرجتان . آبل ٢٨٧ درجة . مشهد ٢٨٧ درجة . الفجر ٣١٦ درجة . سردا ٣١٩ درجة . ابل ٣٥٣ درجة ونصف الدرجة .

تلك التي تحمص بمقلاة من حديد[1].

كان احد الدرزيين اللذين ارفقنا بهما الشيخ من حاصبيا يعرف الحولة حق المعرفة لانه من اهلها. لذلك قررنا الذهاب الى السهل الاسفل وزيارة مكان اتصال الجداول المختلفة التي تصب في الحولة. ارسلنا البغالين ليكونوا بانتظارنا على طريق بانياس بالقرب من سفح الآكام.

١ لم يذكر سيتزن الا القليل عن تل القاضي. راجع:

Reisen, I. p. 337, comp. pp. 321 , 323.

وقد زار بركهاردت تل القاضي ووصفه، ولكنه اخطأ في تعيين اتجاهه او كان الخطأ مطبعياً، اذ انه عين اتجاهه الى الشمال الشرقي من بانياس، بينما هو الى الغرب تقريبا. راجع رحلته في سوريا، الصفحة ٤٢. اربي ومانغلس لم يزوروا هذه البقعة. ريتشاردسون Richardson ذهب الى هناك، ولكن من الصعب ان نفهم انه يقصد تل القاضي في كلامه عن فيل الكثري Fil el Kathré راجع:

Trav. ll, p. 449 sq.

وافضل ما نشر عنه هو ما كتبه المستر تومسون في كتاب المكتبة المقدسة العام ١٨٤٦، ص ١٩٦ وما بعدها. قابل مع:

Wilson Lands of the Bible, ll, p. 170 sq.

سهل الحولة وانهرها

دفنة . ترع للري . المنصوري . الغوارنة . تربية النحل.
مقام ولي. غزارة الانهر . خصب التربة . نهر درداره .
حرارة الجو .

امتطينا خيولنا الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين وهبطنا من ناحية تل القاضي الغربية ، فدهشنا لوجود تراكيب من الاحجار الكلسية ، وارض جامدة غير مستنقعة . وصلنا الساعة الواحدة الى كومة من الحرب حجارتها مشغولة ، لا شك انها قرية قديمة نبت الشوك فوقها فغمرها . اسم هذه القرية دفنة ، وقد تكون موقع الاهة خرافية ذكر يوسيفوس انها بالقرب من نبع الاردن الاصغر وهيكل العجل الذهبي [١] . في هذا المكان ثلاث او اربع شجرات برتقال قديمة ، وعدة جذوع من شجر النخل ،وقليل من شجر الرمان والتين القديم .

تسمى البقعة التي تمتد قليلاً الى الجنوب ارض دفنة . وهي تزدهر الآن بحقول القمح الزاهية التي يزرعها ويستغلها اناس من حاصبيا . وهي في كل مكان منها مرصعة باشجار السنديان وغيرها من الاشجار . على مسافة خمس دقائق جنوبي دفنة ، شجرة ملّوم كبيرة ، او سنديان احمر ، تؤنس اغصانها اعشاش العصافير . وهذا

١ يقول يوسيفوس ان مستنقعات البحيرة تمتد صعداً . راجع Josephus says, B. J. 4. 1. 1.

شيء غريب لم ير مثله المستر تومسون قبلاً في سوريا. هنا درجة او خرجة اخرى الى النجد التالي الاكثر انخفاضاً. الجداول تجري في كل مكان، بعضها جد غزير، واكثرها ترع سحبت من اللدان الى الجنوب الشرقي باتجاه نهر بانياس. وهكذا سحبت ترع عديدة من الحاصباني لاجل الري.

الساعة الواحدة والدقيقة العشرين، وصلنا الى مكان اسمه المنصوري، واقع على الدرجة الاخيرة التي تفضي الى السهل الاكثر انخفاضاً. المنصوري مقر الفوارنة ساكني الخيام، ولكنهم ليسوا رحلاً. للفوارنة بضعة مستودعات للحبوب بنيت جدرانها من الطين وسقفت بالقش، يخزنون فيها التبن وقليلاً من الحبوب. اما الحنطة فيحملونها الى القرى او يبيعونها. في المكان بعض الاشجار الجميلة ومطحنتان او ثلاث يديرها جدول حوّل اليها من اللدان. ويقال ان الجداول التي حولت من النهر لا تقل عن خمسة عشر او عشرين جدولاً. يربّي الفوارنة النحل في قفران اسطوانية مصنوعة من القضبان المتشابكة المطليّة بالطين. توضع القفران بعضها فوق بعض بشكل هرَمي وتغطى بالقش او بحصير قديم. رأينا المئات من هذه القفران في السهل. الحولة ميدان فسيح يجني النحل من زهره النضر الدائم، وينتج كميات كبيرة من العسل.

نحن الآن في سهل الحولة الاكثر انخفاضاً. وعلى مسافة قريبة الى يسارنا، يتعرج النهر الجاري من بانياس في جريانه. الساعة الواحدة والدقيقة الاربعين وصلناه وعبرناه، ثم عبرناه ثانياً بعد عشر دقائق. هنا على ضفته اليمنى المرتفعة مقام ولي اسمه شيخ حزيب. وبالقرب منه بضع خيام واشجار هي مقر آخر للفوارنة.

تابعنا السير فاذا عن يميننا ، الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والخمسين ، الجدول الرئيسي المتدفق مـــن تل القاضي ، يجري بسرعة بموازاة النهر الآتي من بانياس ، في اخدود عميق ضيق ، عـلى عمق خمس عشرة او عشرين قدماً تحت مستوى السهل ، ينساب مختبئاً بـين القصب والعليق التي تغطي ضفتيه . الساعة الثانية وصلنا الى مكان اتصال النهرين ، في بقعة متسعة مفتوحة ، يتسع فيها مجرى النهر . هنا عبرنا اللدان فغمر الماء الخيل حتى بطونها . الساعة الثانيــة والدقيقة العاشرة عبرنا شعبة صغيرة مـن شعب اللدان اسمها بريج وتابعنا السير .

الساعة الثانية والدقيقة العشرين وصلنا الى مكان اتصال نهر الحاصباني بجداول اخرى تجري مسرعة في اخاديد عـلى عمق خمس عشرة قدماً تحت مستوى السهل . وهذا المكان يبعد ثلث ميل شمالي تل الشيخ يوسف الواقع في نصف السهل [1] . المسافة مـن تل القاضي خمسة اميال تقريباً . تجري هذه المجموعة مـن الجداول نهراً واحداً ابتداء من مكان اتصالها ، فتمر غربي تل الشيخ يوسف وتتابع جريانها جنوباً الى البحيرة وسط سهل الحولة التحتا السبخ المطمئن . اما فوق مكان اتصالها فتجري بسرعة في اخاديد على عمق خمس عشرة او عشرين قدماً تحت سطح السهل .

اما غزارتها نسبة الى بعضها فقد قدرناها كما يلي :

النهر الآتي مـن بانياس ضعفا الحاصباني ، واللدان مع شعبة

١ المواقع من نقطة اتصال الانهر بالحولة : حونين ٣٠٧ درجات . تل القاضي ٢٧ درجة . قلعة بانياس ٥٥ درجة .

البريج ضعفا النهر الآتي من بانياس ان لم يكن ثلاثة اضعافه . وبعد اتصال هذه الانهر الثلاثة ببعضها تصبح غزارتها مساوية لغزارة الاردن عند جسر بنات يعقوب .

اما ماء النهر الآتي من بانياس فهو اكثر صفاء من ماء النهرين الآخرين ، ولذلك قلما يستعمل للري ، ويزدحم بالاسماك . ماء اللدان عَكِر رمادي اللون . وماء الحاصباني وَحِل ولونه اصفر قاتم (غامق) .

لم نتمكن من رؤية نهر دردارة الآتي من مرج عيون ، ولم نعد نسمع عنه شيئاً . رأيناه للمرة الاخيرة في الاسبوع الماضي ، من المرتفع جنوبي حونين ، كأنه يتلوى وسط القسم الجنوبي من المرج ، وربما انضم الى نهر الحاصباني قبل ان يتصل بالنهرين الآخرين . لم نهتم كثيراً بالتدقيق عنه ، لانه يجف في الصيف ولا يعدّ من منابع الاردن التي تغذي النهر طيلة السنة[١] .

اذا نظرنا الى سهل الحولة الممتد من الشيخ حزيب جنوباً حتى البحيرة وهي مسافة ستة اميال او اكثر ، فاننا نراه على مستوى واحد .

في الجانب الغربي منه يمتد المستنقع شمالاً الى مكان اتصال الانهر او ابعد منه . ولكن في الجانب الشرقي ، حرثت الارض حتى البحيرة تقريباً . التربة خصبة مما يرسب عليها من التفن بعد

١ ونحن ايضا لم نكلف انفسنا زيارة ينابيع الملاحة الكبيرة وبلاط الواقعة عند اسفل الآكام الغربية . راجع عنها المجلد الثاني للمؤلف الصفحتين ٤٣٥ و ٤٣٦ (iii 341) . وراجع ايضا ما كتبه تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، الصفحة ١٩٩ .

فيضان البحيرة والمستنقع من تدفق مياه الانهر مدة الشتاء والربيع. ويقول المستر تومسون انها تشبه تربة القسم الاسفل من المسيسبي. التربة متناهية في الخصب، تصلح لزراعة سائر انواع الحبوب، وتنتج كميات كثيرة من الغلال كالقمح والشعير والذرة الصفراء والبيضاء والسمسم والارز وغيرها دون اجهاد ومشقة.

يزرع الارز في الارض الصلبة المشققة ويطوّف بالماء، فيكثر انتاجه ولكنه من النوع الدون.

لا يزال هذا الاقليم جديراً بالثناء الذي اغدقه عليه الجواسيس الدانيون اذ هتفوا عندما شاهدوه: «لقد رأينا الارض، هوذا هي جيدة جداً... مكان ليس فيه عوز لشيء مما في الارض[1].» اما الطقس فحار ولا يوافق صحة من يسكنه خلا الغوارنة. ترتع خيولهم ومواشيهم واغنامهم في المراعي الغنية الخصبة، وتنعم قطعان الجواميس الكثيرة السوداء العارية من الشعر تقريباً في الجداول ووحول المستنقعات العميقة، وقد رأينا العديد منها.

تثبتنا الان من مسألة اخرى من مسائل الجغرافيا الطبيعية وهي ان روافد الاردن العليا تنضم الى بعضها وتجري نهراً واحداً الى بحيرة الحولة[2].

١ يشوع: الاصحاح الثامن عشر، العددان التاسع والعاشر.

٢ راجع ما ذكر عن الحولة في المجلد الثاني للمؤلف، الصفحتين ٤٣٥ و ٤٣٦ (٣٤٣ – ٣٤١ iii).

في القرن الثاني عشر اطلق بهاء الدين اسم الحولة على الاقليم الذي يشتمل على البحيرة

Vita Salad. p. 98 ولكن يظهر ان هذا الاسم عرف في ازمنة قديمة . ويقول يوسيفوس ان اوغوسطوس منح هيرودوس الاقاليم التي كان يملكها زينودوروس ، وكانت واقعة بين تراخونيتيس والجليل ، وهي بانياس والكورة التي حولها . والحولة الحالية تطابق كل المطابقة هذه المدينة والموقع الذي يذكره يوسيفوس .

Jos. Antt. 15, 19, 3.
Comp. B. J. I. 20, 4,
Tuch in Zeitschr, d, morg, Ges, II, p. 428, note.

بين الحولة وبانياس

خان الدوير . بانياس . مدرج بانياس . شكل المدرج .
بحيرة فيالا . عين قنية . الشيخ عثمان حـازوري . الشيخ
يفوري. حازور . الشيخ الخضر.

رجعنا ادراجنا الى المنصوري ، ومن هناك استأنفنـا السير الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين . ضربنا الى اليمين باتجـاه الشمال الشرقي لنصل الى الطريق المؤدية من تل القاضي الى بانيـاس بالقرب من سفح الآكام حيث البغالون بانتظارنا . امامنـا الان تشمخ كتل حرمون مباشرة . تجاهنا ينحدر مضيق وادي العسل الفسيح ويبدو كأنه يشق الجبل حتى اسفله تقريباً ، ويخرج منه بين متراسين شامخين من الصخور . وهو يفصـل الحرف الغربي الاوطأ ، الذي جئنا سابقاً على وصفه ، عن الحرف المركزي الاكثر ارتفاعاً منه . وعن قمم الجبل ابعد الى اليمين تشمخ قلعة بانياس بعظمة وجلال . تابعنا السير وسط الحقول على غير هدى ، وعبرنا عدة جداول من اللدان . القطعان تملأ المراعي ، واحدها يعبر احد معابر النهر . على مسافة ميل او ميلين الى اليمين مقام ولي اظنه سد داهود المذكور سابقاً ، خلناه بيتاً للسكن لوجود نوافذ في جدرانه ، يحج اليه المسلمون في اوقات معينـة . الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنا الى طريق بانياس حيث البغـالون بانتظارنا .

ان الخطر من السلابين الدروز يكمن بين هـذه النقطة التي نحن فيها وبانياس . نحن الان احد عشر شخصاً ، بعد ان انضم الينا بغّال من صيدا . ستة منا مسلمون وخمسة دروز . نسي رفيقي رسالة التوصية التي اعطانا اياها شيخ الدروز في حاصبيا ، ولكننا سرنا على بركات الله فلم نر سلاباً واحداً ولا سمعنا بالعصابة طيلة اقامتنا بجوار بانياس .

تابعنا السير الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين ، فتحولنا قليلاً الى اليمين لمشاهدة خان الدوير وبضعة ابنية حقيرة بنيت من حجارة ابنية قديمة خربة .

تسلقنا حالاً المرتقى المنحدر فوصلنا الى سطح المدرج الجميل المبنية عليه بانياس . مررنا بين آجام كثيرة من الاشجار الجميلة ، وحقول الحنطة الزاهية ، والجداول الرقراقة المنسابة من النهر ، فوصلنا منهوكي القوى الى قرية بانياس الواقعة في زاوية الجبال ، الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة . ضربنا خيمتنا تحت اشجار البطم الظليلة التي اتى السياح كثيراً على ذكرها [١] .

مدرج بانياس

لم يذكر احد من السياح مدرج بانياس . ولم ارَ مدرجاً على

١ Seetzen, Reisen, 1. p. 334.
De Saulcy, Narrative, ll. p. 534.
المستر سمث في جريدة الارسالية اليومية ، العام ١٨٤٤ ، والدكتور تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، ص ١٨٨ .

شكله في هذا الاقليم [1] . فهو يرتكز في الشمال على جناح جبل الشيخ ، بين مضيق وادي العسل والزاوية المكونة في ملتقى الجبل بالآكام الشرقية ، ويرتكز في الشرق على منحدر الحرف نفسه ، وفي الجنوب يمتد مع الآكام نفسها ويختلط بمنحدراتها الخفيفة . فهو في شكله هذا مثلث الاضلاع ، اعلاه الضلع الشمالي ، ثم ينحدر بلطف الى الجنوب [2] . تعلو بانياس في الزاوية الشمالية الشرقية الفاً ومئة وسبعاً واربعين قدماً عن سطح البحر ، فهي اذاً اعلى بخمسماية قدم من تل القاضي .

يتفجر الينبوع الكبير من هذه الزاوية ويبعث بمياهه في اخدود خاص الى الجنوب الغربي نحو الحولة . وليس ذلك فحسب ، بل ان المياه تجري الى كل جهة على سطح المدرج ، وتجري كذلك عن منحدره الغربي لري بعض اقسام السهل التي ليس بالامكان ايصال مياه تل القاضي اليها .

تركيب المدرج كلسي . اما في بانياس نفسها فتعود الصخور النارية الى الظهور [3] .

ينخفض جدار الآكام القائمة شرقي الحولة كثيراً عن الجبال التي تحجب البحيرة والسهل من الغرب . والجدار هذا يرتفع تدريجاً

١ المستر تومسون هو الوحيد الذي اشار الى مدرج بانياس بقوله : « ان الدكة او المدرج المبنية عليه بانياس يمكن ان يرفع نحو مئة قدم فوق السهل الفسيح . » راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، ص ١٨٧ . ولكن هذه الاشارة لا تعطي فكرة عن الحقيقة .

٢ يشبه هذا المدرج شبهاً عاماً المدرج الذي في بيلا Pella الا في شكله. راجع المجلد الثالث للمؤلف ، الصفحتين ٣٢١ و ٣٢٥ .

٣ راجع الدكتور اندرسون في تقرير لينش ، الصفحتين ١٠٨ و ١٠٩ .

متقطعاً غير مستو ، وينتهي بصعيد في قمته . على بعض المسافة وراءه خط من التلال يمتد من الشمال الى الجنوب ، ابعدها تل الفرس الواقع في اقصى الجنوب . يرتمي هذا الحرف العريض من سفح جبل الشيخ الجنوبي الشرقي ، ويمتد جنوباً حتى يندغم او يختفي في الصعيد القائم شرقي بحيرة طبريا . بذلنا جهداً كبيراً لمعرفة اسم هذا الحرف ، فقيل انه يسمى جبل حيش .

ينحدر على المدرج من الشرق واديان رئيسيان على مقربة من زاويته . الاول الوادي الشمالي وهو وادي خشابه ويمتد من شمالي الينبوع والقلعة ، والآخر وادي زعاره ويمتد جنوبي القرية[١] .

وصلتنا في المساء رسالة من الدكتور دي فوريست وجماعته ، مآلها انهم في الاسبوع السابق صرفوا ليلة في بانياس . اما نتيجة ملاحظاته في بارومتر ضغط الهواء فقد سبق لي تدوينها .

١ هكذا كتبها الدكتور سمث. اما المستر تومسون فيكتبها سعاري SA'ARY. هذا هو الاخدود نفسه الذي يذكره بركهاردت باسم وادي كيب WADY KYB او الكيد el-KYD . راجع رحلاته ، ص ٣٨ و ٤٠. اما نحن فلم نسمع بهذا الاسم .

نزهة الى بحيرة فيالا

عين قنية. مسادي . موقع البحيرة. عمقها . شكلها. ماؤها.
مستودع علق . بركة الرام (الران) . الشيخ عثمان
الحازوري. مرج يفوري . موقع حصن بانياس.

الخميس ٢٧ ايار . — خططنا لهذا النهار نزهة الى بحيرة فيالا ، ثم الرجوع من هناك بطريق القلعة القائمة على الجبل . وسأرجيء الكلام المطول عن الينبوع وقرية بانياس الى ما بعد رجوعي .

ينحرف اتجاه بحيرة فيالا عن شرقي بانياس قليلاً الى الجنوب . بدأنا سيرنا الساعة الثامنة ، فخرجنا من زاوية القرية الجنوبية الشرقية دون ان نعبر جدول وادي زعاره . ينحدر هذا الوادي بصبب وسط ارض طلقة من الجنوب الشرقي ، ويدور حول الطرف الجنوبي الغربي لحرف جبل عال . وهذا الوادي نفسه يحد طرف الحرف الآخر في امتداده الى الجنوب الغربي . عندما يدور هذا الوادي حول طرف الحرف المذكور ، ويصل الى السفح الغربي في الآكام الاكثر ارتفاعاً ، يبدو منفصلاً ويحجبه سهل منحدر او احدور لطيف من الارض الصالحة للزراعة والحراثة ، ولكنه يشق طريقه منحدراً بهوة سحيقة وضيقة في طبقات الصخر البركاني السفلى ، فترى جوانبه عمودية مسننة . وهذه الهوة تمتد نزولاً الى بانياس تقريباً ، ولا يكاد المرء يشعر بوجودها لضيقها حتى يصبح قريباً منها . اتجاهنا الآن اصبح اكثر الى اليسار . عبرنا وادياً صغيراً

وجدول ماء، ثم تحولنا الى اليمين وبدأنا نصعد اكمة منحدرة، فوصلنا الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين الى ينبوع تحت عين قنية. الساعة التاسعة وصلنا عين قنية، فكانت حونين باتجاه الغرب تماماً.

ضربنا الان فوق الحرف الذي ينحدر وادي زعارة حول طرفه الجنوبي الغربي، فكان صعودنا في مرتقى جد منحدر. وصلنا القمة الساعة التاسعة والدقيقة العشرين، وتابعنا سيرنا على مستوى عال بجانب جهة الحرف الجنوبية الشرقية، فكان وادي زعارة العميق تحتنا اولاً، وهو يجري الى الجنوب الغربي. انحدرنا عرضاً وتدريجاً فوصلنا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين الى مجرى الوادي ونهره الجميل. هنا شلال جميل. يتساقط الماء فوق صخر يرتفع عشر اقدام، امام ثلاثة شقوق، فيمثل مشهداً يتألف من ثلاث شرائط من الزبد الابيض. على ضفة الوادي الجنوبية، مزرعة او قرية للماعز اسمها مسادي، فيها كوخ او اثنان لصنع متفرعات الحليب من الماعز التي ترتاد هذه الآكام في الصيف. تحت هذه النقطة يسرع النهر بانحداره بمضيق بركاني قفر حتى يدور حول طرف الحرف، ثم يتحول الى الشمال الغربي باتجاه بانياس.

بعد ان عبرنا النهر حوّلنا اتجاه سيرنا قليلاً الى الجنوب الشرقي، فكنا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والخمسين على حافة البحيرة الشمالية.

تقع البحيرة في بطن كأس عميق يبدو انه فوهة بركان قديم[1].

[1] هذا ما يقوله ايضا الدكتور اندرسون في تقرير لينش الرسمي، ص ١١٠.

لا يقل عمق البحيرة عن مئة وخمسين الى مئتي قدم تحت مستوى البقعة المحيطة بها . شكل البحيرة دائرة غير منتظمة . قطر الماء ميل وقد يكون اكثر . والبحيرة كما رأيتها اكبر مما كنت اتوقع . الارض حولها صعيد عال ، يرتفع في الجنوب الى آكام تكسوها الاشجار والعساليج ، ويحدها من الشرق ايضاً حرف اشجر . اما منحدرات الكأس نفسها فمظلمة قفراء ، تتخللها احياناً بعض النجوم والرقاع الصغيرة المحروثة . الريف حولها مجدب ، ولكنه محروث .

ماء البحيرة راكد قذر ، ويبدو لزجاً ، وعلى الحافة تماماً ، وعلى بضع اقدام منها ، وَحل . ولم نر اي جزء من البحيرة رائعاً نظيفاً . على مسافة قصيرة من الشاطئ منطقة من النباتات المائية تحوّل لونها الى السمرة ، وهي تشبه الجزائر في بعض الاماكن منها . اما منتصف البحيرة فقد خلا من كل هذا . البط البري يسبح في البحيرة ، يحوم فوقه صقر كبير كأنه يروم الانقضاض عليه . اطلق الدروز ، الذين برفقتنا ، النار عليه فكسر جناحه ، ولكنهم لم يتمكنوا من امساكه لانه سقط بين النباتات المائية . عشرات الالوف من الضفادع تتوزع على الشاطئ وتجثم بين الاحجار كأنها على استعداد للقتال وصد العدو المهاجم . ان البحيرة فردوس الضفادع . تزوّد البحيرة البلاد كلها بالعلق . اما طريقة جمعها فهي ان يخوض الرجال في الماء ويتركوا العلق يعلق بارجلهم . ان الارض المحيطة بالبركة خالية من القصب والاسل ، ومغطاة بالحجارة البركانية السوداء . وتظهر على شواطئ البحيرة

وجوانبها بلورات صغيرة سوداء لماعة تشبه الامفيبول ١ .

مما لا ريب فيه ان هذه البحيرة هي فيالا القديمة التي يصفها يوسيفوس . وانما سميت هكذا من شكلها الذي يشبه الكأس . وهي تقع عن يمين الطريق الممتدة من قيصرية فيليبس الى تراكونيتيس Trachonitis ٢ . ولكن مركز البحيرة وكل ظروفها تدل على سخافة الاسطورة التي تتناقلها العامة ، وهي ان هذه البحيرة تغذي ينبوع بانياس ٣ . فاذا كانت البحيرة تغذي ينبوع بانياس فعلى مياهها ان تمر تحت الجدول الجاري في وادي زعارة ، وليس ذلك فقط بل ان تزويد مثل هذا الينبوع لا بد ان يستغرق البحيرة يوماً ما ، خلا ان ماء الينبوع الرائع المتلألىء الصافي لا يمكن ان يكون متصلاً بماء البحيرة الراكد ، الموحل ، اللزج .

سمع سيتزن بالبحيرة ولكنه لم يزرها ٤ . اما بركهاردت فلم يأت على ذكرها . ان إربي ومانغلس كانا اول الباحثين عنها وهما

١ Dr. Anderson, l. c. p. 110.
(الامفيبول معدن مركب من المغنيسيوم والكلس ويحتوي على الحديد . - المعرب) .

٢ Jos. B. J. 3. 10. 7.
يطابق هذا الوصف تماماً، وليس في الاقليم جسم اخر من الماء ينطبق عليه هذا الوصف. ان يوسيفوس نفسه لم يشاهد البحيرة وهذا ما تدل عليه عبارتان وردتا في حديثه عنها . الاولى : يقول يوسفوس انها تبعد مئة وعشرين ستاديا عن قيصرية. اما الحقيقة فهي اكثر قليلا من نصف هذه المسافة . الثانية : يقول ان الماء يملأها دائماً الى حافتها ولا يفيض منها .

٣ Jos. B. J. ibid.

٤ Reisen, I. pp. 334, 335.

في طريقها من دمشق الى بانياس في العـــام ١٨١٨[١] . اما في السنين المتأخرة فقد كثر زائروها[٢] .

ان اسم البحـيرة الحالي هو بركة الرام ، ولكنهم يلفظونهـــا الرّان . وقد سمعنا هذا اللفظ واضحاً ، وهذا ما سمعه سيتزن ايضاً وكتبه بأحرف عربية[٣] .

تركنا حاجب البحيرة الاعلى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين وسرنا باتجـــاه بين الشمال والشمال الغربي رأساً الى سنديان الشيخ عثمان الحازوري . عبرنا الحقول بلا طريق فوصلنا بعد عشر دقائق وادي زعارة الى نقطـة اعلى من النقطـة التي

١ Travels, p. 287 (87).

٢ زارها المستر تيبنغ Tipping في العام ١٨٤٢ . راجع المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٣ ، ص ١٣ و ١٤ .

وزارها المستر تومسون حوالى العام ١٨٤٤ . راجع المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٦ ، ص ١٩١ .

وزارها الكبتن نيوبولد نحو ذاك الوقت .

Journ. of R. Asiat. Soc. XVI. p. 8.

وفي العام ١٨٤٨ زارها الدكتور اندرسون . راجع ص ١١٠ من تقرير لينش الرسمي .

Ritter, XV. p. 174 sq.

وزار المستر تيبنغ بركة « تقع في مكان جد عـال شمالي جباتا ، في منتصف سهل صغير مستطيل تحت جبل الشيخ ، ماؤها عكر يملأوهـــا ذوبان الثلوج . وهذه البركة تجف في الصيف تقريباً . قطرها نحو مئتين وستين قدماً . » Ibid.

ويقول الكبتن نيوبولد ان اسم هذه البركة بركة المرج ال مان Birket el-Marj el-Mân يجري ماؤها الى وادي العسل .

Journ. of R. Asiat. Soc. XVI. p. 16 sq.

٣ Reisen, I. pp. 334, 335.

عبرنا الوادي عندها في مجيئنا . هنـا الوادي ضيق ، ولكنه سهل شبيه بالمرجة الخضراء ، ينعشه جدول جميل صاف . أبعد قليلاً الى فوق ، عن يميننا في الوادي نفسه ، مقام ولي اسمه الشيخ يفوري ، ومنه سمي هذا الجزء العالي من الوادي باسم مرج يفوري [1] .

من مركزنا هذا كنا نرى الوادي منحدراً من سفح جبـل الشيخ الجنوبي الشرقي تماماً ، وكأن الجبـل ينهض بغتة من هذا السهل الصغـير ويرتفع الى اربعـة الاف قدم او اكثر فوق مستواه . اما القمة التي كنا نراها من هنا تلتمع بتاجها الثلجي ، فهي قمة جبل الشيخ الجنوبية الغربية السفلى .

وراء هذا السهل ، يرتمي نتوء من جبـل الشيخ الى الشرق ، من تحت السرج الواقع بين القمتين . وهو اكثر انخفاضاً من الجبل نفسه ولكنه عال . ثم لا يلبث ان ينحـدر الى الجنوب فيصبح آكاماً حرجةً قليلة الارتفاع . تشكل هذه الآكام صف التلال الذي جئنا على ذكره سابقاً وقلنا انه ينتهي بتل الفرس . هذا هو بالتـأكيد جبل حيش . تخرج طريق دمشق من السهل وتصعد فوق فرضة في هذا الحرف ، ثم تنحدر من الجانب الآخر بطريق بيت جن . اما الحرف الذي عبرناه في صعودنا فهو الآن امامنا ، وهو يتاخم السهل الصغير او الوادي من الشمال الغربي . وهذا الحرف يبدأ ايضاً من سفح جبل الشيخ ، حيث تقع قرية مجدل شمس الكبيرة بين الآكام غربي السهل الصغير . بالقرب من هذه القرية يبدأ وادٍ على جانب الحرف الآخر ، وينحدر غرباً ،

١ هذا هو السهل الصغير والضريح اللذان ذكرهما اربي ومانغلس ، ص ٢٨٦ (٨٧) .

فيمر شمالي القلعة . عبرنا الجدول والسهل ، وتسلقنا الحرف ، فوصلنا قمته الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين . القينا نظرة امامنا فاذا حصن بانياس الكبير وزميله الشقيف جاثمين بقوة وجلال [1] .

تابعنا السير على جانب الحرف الشمالي الغربي ، منحدرين تدريجاً وبانحراف ، فعبرنا طريق دمشق التي تمر على جانب منحدر الحرف الى الجدل . ينفرج الوادي الواقع عن يميننا الى حوض صغير محروث جزئياً . حوالى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين ، اصبح الحرف القائم عن يسارنا على ارتفاع فوقنا ، والظاهر انه نتوء او نقطة بارزة من الحرف المجاور لمرج يفوري . انتهى هذا الحرف فجأة بجبهة عالية عريضة ومسطحة ، وخرج من اسفله حرف وطيء امتد باتجاه الشمال الغربي الى الحصن . تابعنا السير بجانب هذا الحرف الاخير ، فوصلنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والخمسين ضريح الشيخ عثمان الحازوري القائم على رابية فوق الحرف . الرابية مغطاة باشجار السنديان الجميلة ، وهي تشكل دغلاً يجلله الوقار ، وتخيم عليه رهبة دينية . ضريح الولي في منتصف الغابة ، وهو ضريح اسلامي عادي ، يحيط به جدار مبني بحجارة صغيرة . تحته تماماً ، الى الجنوب الغربي ، ينبوع صغير اسمه عين الحازوري . وهنا ايضاً رأس الوادي المتسع الذي ينحدر ممتداً جنوبي الحصن . اما في دائرة محيط مقام الولي فليس من خرائب مطلقاً الآن ، ولا وجدت من قبل . تفصلنا عن الحصن مسافة

١ المواقع الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين : قلعة بانياس ٢٨٢ درجة . قلعة الشقيف ٢٩٦ درجة. ناحية بحيرة فيالا الشمالية ١٥٧ درجة. المسافة نحو ميل وربع.

ثلاثة اثمان الميل ، وموقعه شمالاً ٧٥ درجة غرباً . بين هذه النقطة والحصن رابية اخرى شبيهة برابية الولي ، وهي تقريباً على الارتفاع نفسه .

كنا نصعد انظارنا من الشيخ عثمان الحازوري في الوادي او الهوة التي تنحدر من سفح قمة جبل الشيخ الجنوبية الغربية نفسها الى قرية جبّاتا الواقعة على حافتها الشرقية ، كما كنا نرى الثلج على رأس القمة . تضيق الهوة تحت جباتا وتعمق ، ثم تتحول اكثر الى الغرب ، وتقطع الحرف الهزيل المرأس القائم عليـه الحصن ، عن جناح جبل الشيخ . هذا هو وادي خشابه ، وهو ينحدر الى بانياس عن شمالي الينبوع ، ثم يتصل فوق الحصن بالوادي الآتي من المجدل ، الذي يصير بدوره هوة .

تركنا مقام الولي الساعة الواحدة والدقيقة العشرين . وبعد سبع دقائق كنا على الرابية التالية ، فرأينا عليها بعض الخرائب المسماة حازوري . الاسس الموجودة حقيرة ، والخرائب قليلة . ربما قامت هنا نقطة حراسة اماميـة صغيرة للحصن ، ولكن الخرائب اشبه بمزرعة للماعز منها بمركز حراسة . هذا الموقع هو ولا ريب الموقع الذي سمع به بركهاردت ، والذي قال عنه خطأ « انه خرائب مدينة اسمها حازوري ، على مسافة ساعة شمالي » الشيخ عثمان الحازوري[١]. اما المسافة هذه التي يحددها بركهاردت فانها تنقل هذه الخرائب الى منحدرات جبل الشيخ التي يصعب الوصول اليها . ومن الثابت ان هكذا مدينة لم توجد هناك مطلقاً . ويفترض ريتر خطـأ ان

١ Burckhardt, Travel. p. 44.

حازور المذكورة في سفري يشوع والقضاة كانت في هذه الناحية[١].
هذه هي حازور او حازوري الثالثة التي زرتها ولا يمكن اعتبار اية واحدة منها حازور المذكورة في الكتاب المقدس .

حصن بانياس

تركنا حازوري ونزلنا الى السرج العميق بينه وبين القلعة . ثم صعدنا الى القلعة في مرتقى جد منحدر وشاق ، سائرين بجانب جدارها الجنوبي ، فوصلنا الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين الى المدخل الوحيد القائم وسط احد الابراج الجنوبية ، فاذا بنا في ارحب حصن قديم في البلاد قاطبة ، وابقى حصونها وقلاعها على الزمن [٢] . يقوم الحصن على اعلى قمة في الحرف الشرقي الهزيل الذي فصله وادي خشابه من جناح جبل الشيخ . ولكن السرج الواقع بين حرف حازوري والقلعة يؤمن اتصال هذا الحرف الهزيل المذكور بحرف حازوري في نقطة تقع بين الشرق والجنوب الشرقي .

يغطي الحصن هذه القمة العالية الهزيلة ويتكيف مع شكلها المشوّش . قدرنا طول الحصن من الشرق الى الغرب بثمانماية او الف

١ Erdk. XV. p. 206 sq.
Comp. p. 206.

٢ كان المستر تومسون ميالا الى استثناء قلعة المرقب القائمة شمالي طرطوز (طرطوس) وهي تعرف ايضا ببلنياس Balnias او بيليناس Belinas ولكنها تظهر انها احدث من قلعة بانياس . راجع : Abulfeda, Tab. Syr. p. 106 .

قدم ، وعرضه عند كل من طرفيه بنحو مئتي قدم . اما في الوسط فلا يزيد عرضه عن نصف طرفه او ثلثيه . اتجاه الحرف القائم عليه الحصن هو من الشرق والشمال الشرقي الى الغرب والجنوب الغربي [1] .

ارض الحصن في الداخل غير مستوية ، تبلغ مساحتها اربعة او خمسة اكرات [2] . ترتفع الصخور في بعض انحائها الى ما فوق الجدران . وفي بعض الانحاء الاخرى حُرثت الارض وزُرعت تبغاً وبقولاً ، وبنيت فيها عدة بيوت كوّنت في مجموعها قرية صغيرة . اعتمد الحصن على الاحواض الكبيرة المبنية داخل الجدران لتزويده بالماء . احد هذه الاحواض المتسعة الضخمة يقع في الفسحة الحالية بالقرب من الطرف الغربي وهو حتى الان مليء بالماء تقريباً . وعدا هذه الاحواض الداخلية يوجد حوض كبير خارج الحصن مبني في نتوء تحت الطرف الشرقي .

اما طرف الحصن الغربي وهو الاكثر انخفاضاً من سائر اطرافه ، فهو يشرف على سائر الاقاليم تحته . ونماذج الضخامة والاتقان بادية على بعض اجزائه . في الزاوية الشمالية الغربية خصوصاً حجارة كبيرة منتثرة بدون انتظام ، طول الواحد منها ست اقدام او ثماني ، وهي دقيقة الصنع متقنة ومنحرفة الزوايا . بجانب الجدار الجنوبي عدة ابراج مبنية بحجارة تفوق تلك بانحراف زواياها ودقة صنعها ، ينفرد بينها برج مستدير ، في اسفله منحدر

١ تقع القلعة شمالي بانياس على ٧١ درجة شرقاً . وهذا الاتجاه يسير مع حرف الجبل تقريباً .

٢ الاكر هو الفدان الانكليزي ومساحته ٤٣٥٦٠ قدماً مربعة . — المعرب .

متقن البناء لا يقل صنعةً واتقاناً في انحراف زوايا احجاره عن برج هيبيكس Hippicus في القدس .

اما طرف السلسلة الشرقي فأكثر ارتفاعاً من سواه ، وهي ميزة أغتنمت لبناء قلعة فوقه تشرف على الحصن الاول كله وتسيطر عليه لانه منخفض عنها . يفصل هذه القلعة المرتفعة عن الجزء الغربي المنخفض جدار داخلي معارض محكم البناء تعلوه ابراج ، ويمتد خندق عند اسفله ، ولا يمكن الدنو منه او الوصول اليه الا من الحصن . في هذه النقطة اكثر من اي مكان آخر ، تدنو الابراج والمتاريس البارزة من المنحدر الشمالي الهاوي ، وتطل على هوة وادي خشابه على عمق ستماية او سبعماية قدم تحتها . في هذه القلعة توجد امنع الابراج واكثرها ارتفاعاً . وهذا القسم اكثر حفاظاً على سالف عهده من سائر الاقسام الاخرى . ثلثه على الاقل قديم في صنعته وانحراف زوايا حجارته ، وربما كان اكثر اتقاناً وأدق صنعة من اي مكان آخر خارج القدس .

لم يزد العرب والصليبيون شيئاً على الحصن . ولم يغيروا شيئاً في القلعة المرتفعة . الا انهم رمموا بعض اقسامها مما اقتضته حالة الدفاع ، وتركوا كل الاجزاء الاخرى على الحالة التي وجدوها فيها . ولا يخفى على الناظر ما رمموه لانه بيّن ظاهر للعيان ، ويختلف كلياً عن البناء القديم . ولم يكن نصيب الجزء المنخفض او الغربي من التجديد احسن من ذلك . لكن توجد كتابات او نقوش عربية كثيرة يرجع تاريخ اكثرها الى السنة ٦٢٥ هـ . الموافقة للعام ١٢٢٧ م ، ذكر فيها اسم هذا الامير او ذاك مع سلسلة طويلة من الانساب ، وانهم بنوا هذا البرج او ذاك ، و تاريخ

البناء .

لم نر الطرق العديدة والسراديب والممرات الكثيرة وغيرها المبنية تحت الارض . في الطرف الغربي درج مقدود في الصخر ، يهبط بزاوية درجتها خمس واربعون او خمسون . جرب رفيقي من قبل ان ينزل عليه . وبعد ان تخطى بضع درجات عاد ادراجه لتراكم الاوساخ والردم . اما الاعتقاد السائد فهو ان هذا الدرج يفضي الى ينبوع بانياس [1] .

لا يقل ارتفاع الحصن عن الف قدم فوق مدينة بانياس ، ويقارب في ارتفاعه قلعة الشقيف التي تشمخ جلية قبالته [2] . اما منظر الحولة والجبال الراسخة قبالتها فرائع اخاذ ، يرتد الطرف عن حدوده اللامتناهية كليلاً [3] .

ان التأثير الذي تركه الحصن منطبعاً عميقاً في نفوسنا هو انه بمجموعته يدل على مناعة واستغراق في القدم ، وعلى العمل الجبار المتواصل والتكاليف الباهظة التي اقتضاها تشييده ، فهو من ادق

١ راجع كتاب المكتبة المقدسة للعام ١٨٤٦ ، ص ١٩٣ .

٢ تعلو قلعة بانياس كما رأينا الفاً ومئة وسبعاً واربعين قدماً انكليزية . راجع الصفحة ٣٩٧ من المجلد الثالث للمؤلف . اما قلعة الشقيف فتعلو الفين ومئتين وخمس اقدام فوق البحر . راجع الصفحة ٤٩ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ المواقع من القلعة كما سجلها ويلدنبروخ Wildenbruch : المجدل شمالا ٧٢ درجة شرقاً . جباتا شمالا ٧١ درجة ونصف الدرجة شرقا ″ ، المسافة ساعة واحدة . حاظوري (خربة) شمالا ٨٧ درجة شرقا ″ . عين قنية جنوبا ″ ١٠ درجات غربا ″ . واستناداً الى ما يقوله الدكتور سمث ، يكون اتجاه بانياس جنوبا ″ ٧١ درجة غرباً . تل القاضي جنوبا ″ ٨٩ درجة غربا . حونين جنوبا ″ ٨١ درجة غربا . قلعة الشقيف شمالا ٦٠ درجة غربا ″ . راجع : Ritter, XV. p. 237 .

واكمل ما خلفه لنا الفينيقيون او ربما السوريون – اليونانيون من نماذج الابنيـة الحربيـة . ان من يود الاطـــلاع على ثروة هذه الشعوب العريقة وسعتها وبسالتهـــا ، عليه ان يدرس ويتفحص خرائب هذا الحصن الضخم .

لا يعقل ان يكون هذا الحصن شيّد لحماية بانياس وهو عـلى بعد ميلين ونيف عنها ، وليس من المرجح ان يكون اقدم منها . انه ولا ريب شُيّد للسيطرة على الطريق الكبيرة الممتدة بين الحوله وسهل دمشق . وربما كان حصناً لحماية حدود الصيدونيين الذين كانوا يملكون هذا الاقليم منذ القديم[١].

يعرف السياح غالباً هذا الحصن الآن باسم قلعة بانياس ، ولكن هذا ليس اسمه الخاص . اما المؤرخون العرب فيطلقون عليه اسم قلعة الصبيبة، ولكنه قلما يؤتى على ذكره بهذا الاسم ، بل تغلب عليه صلته ببانياس[٢] .

١ راجع سفر القضاة : الاصحاح ١٨ ، العددان ٧ و ٢٨ .

٢ Abulfed. Tab. Syr. ed. Kohler, pp. 19, 96.
Wilken Gesch. d. Kreuzzuge, ll. p. 569, Vll. p.328.
يتحدث المستر تومسون في رحلة سابقة عن مخيمين للعرب في وادي التيم اسمها الصبان es - Subân والصبيح es - Subeih ، ولكن يظهر ان لا علاقة لهذين الاسمين بالقلعة . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، الصفحتين ١٨٧ و ١٩٣ .

بانياس

موقعها . وادي العسل . وادي خشابة ، وادي زعارة .
الشيخ خضر . فجوات تذرية . الاله بان . مغارة بانياس .
صلة الينبوع ببحيرة فيالا .

تركنا الحصن الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة وهبطنا حالاً وعلى غير هدى في الاحدور المنحدر الواقع تحت مدخل الحصن تماماً ، فاختصرنا عشر دقائق من المسافة التي تفصلنا عن الخيمة ، ولكن نزولنا لم يخلُ من الخطر . واصلنا سيرنا بجانب سفح الحرف الجنوبي فوصلنا خيمتنا التي ضربناها تحت اشجار البطم في بانياس ، الساعة الرابعة .

لم ار لموقع بانياس مثيلاً ، فهو مزيج نادر من الجمال والفخامة . تستكن بانياس في الفجوة الجنوبية على اقدام حرمون العظيم الذي يشمخ مرتفعاً الى سبعة آلاف او ثمانية آلاف قدم فوقها . مرّ علينا وصف المدرج القائمة عليه بانياس [1] ، والمياه الغزيرة التي تصل اليه من الينبوع الشهير فتنثر الخصب والثروة في انحائه ، وتتخلله الآجام والمروج والحقول المتماوجة . حقاً انه لموقع ساحر . اما ما يزيد في جمال موقعها فهو ارتفاعها الكثير فوق الحولة ، ومشاركتها الجبال المجاورة طيب هوائها . تلجأ طرائد الصيد

١ راجع الصفحة ٣٩٧ من المجلد الثالث للمؤلف .

الكثيرة الى حقول الحنطة الغنية حول بانياس، والى الاحراج الكثيفة التي تحيط بها، والى الجبال القريبة منها. فالانمـــار والذئاب ترتاد الجبال، والخنازير البرية والغزلان تسرح وتمرح بين حقول الحبوب، فيغتنم الفلاحون الذين يحرسون حقولهم في الليالي هذه الفرصة لصيد الخنازير. تكثر ايضاً حول بانياس الحجال والبط البري ودجاج الارض وغير ذلك من انواع الطيور[1].

يمتاز اقليم بانياس بثلاثة اودية، اثنان منها اخدودان كبيران مغوريان في جبل الشيخ. يخرج وادي العسل، كما رأينا[2]، من مضيقه العميق غربي المدرج مباشرة. اما اوله فجنوبي قرية شبعا قليلاً، على مسافة اربع ساعات بين الشمال والشمال الشرقي مـن بانياس، وهو يكوّن الشق الجبار الفاصل بين كتل حرمون السفلى والعليا. وهذا الوادي خلو من اية قرية او مزرعة عـلى سعة امتداده. وليس فيـه اثر للينابيـع. انه سلسلة جبلية منعزلة، وحشية، تكسوها الاحراج الكثيفة، وتأوي اليه الانمار والذئاب[3]، ولا يرتاده سوى الرعاة من شبعا، والحطابون الذين يحرقون (يشحرون) الحطب لعمل الفحم وبيعه في اسواق دمشق. تمر طريق جبليـة شاقة من شبعا على جانب هذا الوادي الشرقي، وتدور حوله فتواصل

١ راجع ما كتبه المستر تومسون في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٦، ص ١٨٨ وما بعدها. وراجع ايضاً اربي ومانغلس، ص ٢٩٠ (٨٨).

٢ راجع الصفحتين ٣٩٦ و ٣٩٧ من المجلد الثالث للمؤلف.

٣ Comp. Seetzen, Reisen, I. p. 326.
Burckhardt, p. 45.

سيرها الى جباتا والمجدل [1] .

اما الواديان الآخران فينحدران من الشرق ويمتدان حتى المدرج نفسه . وقد عرفنا سابقاً ان وادي خشابة [2] يبدأ من سفح قمة جبل الشيخ الجنوبية الغربية ، ويمتد نزولاً من الاحدور الصبب باتجاه الجنوب الغربي الى جباتا ، ثم يتحول تحتها الى ما بين الغرب والجنوب الغربي ، ويفصل الحرف الهزيل القائم عليه حصن بانياس عن الجبل . يندفع في هذه الهوة سيل عرم من الماء في الفصل الماطر وفي اوان ذوبان الثلوج على حرمون ، ولكن في هذا الفصل لا يُرى اثر للماء فيه . وهذا الوادي يمتد نزولاً الى مستوى ارض المدرج ، ثم يتحول مجرى مائه الصخري باتجاه بين الجنوب والجنوب الغربي حول طرف الحرف الوطيء الذي يفصله ، ويواصل سيره حتى ينضم الى القناة الجارية من الينبوع عند زاوية حصن المدينة الشمالية الغربية .

اما الوادي الثالث وهو وادي زعارة فقد جئنا على وصفه قبلاً ، وقلنا انه يأتي من سفح حرمون وراء المجدل ، ويجري باتجاه الجنوب الغربي وسط مرج يفوري وشعب قفري ، ثم ينعطف بسرعة الى الشمال الغربي وينحدر الى بانياس [3] . ثم يدخل المدرج على بعد بضع رودات جنوبي طرف الحرف الوطيء القائم عليه الحصن ،

١ على هذه الطريق نفسها مر المستر تومسون . وكذلك الدكتور اندرسون تتبع تلك الطريق . راجع تقريره الجيولوجي عن تلك البقعة في تقرير لينش الرسمي من ص ١١١ الى ١١٤ .

٢ راجع الصفحتين ٤٠١ و ٤٠٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ راجع الصفحات ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

وينحدر على جانب حصن المدينة الجنوبي ، فيضم جدوله الجميل الى النهر الجاري من الينبوع الكبير تحت الحصن تماماً .

يقع الينبوع الكبير وقرية بانياس الحديثة ضمن الزاوية المكونة على المدرج نفسه بين مجريي هذين الواديين .

اما موقع الينبوع فلم يصفه احد وصفاً تاماً بعد . فهو يتفجر من تحت طرف الحرف الغربي القائم عليه الحصن . وهو ، كما ذكرنا سابقاً ، مفصول عن جناح جبل الشيخ بوادي خشابة العميق . فالينبوع اذن بكامله يتفجر جنوبي ذلك الوادي ، وليست له اية صلة ظاهرة بالجبل على الاطلاق . ينتهي الحرف هنا في هاوية من الصخر الكلسي [1] . تميل طبقاته الى الغرب بزاوية خمس واربعين درجة تقريباً . والظاهر ان الصخور وطبقاتها في الجبهة الامامية من الهاوية تعرضت للتفتت ، فأسفرت عن بروز وطيء ناتيء في الشمال ، يجثم عليه مقام ولي مسلم صغير وهو الشيخ خضر [2] . اما الهاوية الرئيسية فتقع جنوبي الولي ، تواجه الجنوب الغربي بغرب تقريباً ، وترتفع من مئة الى مئة وخمسين قدماً فوق ماء الينبوع . بالقرب من الزاوية المكونة من البروز الناتيء ، يلاحظ المراقب كأن مغارة وجدت هناك قديماً ، ربما كان الماء ينبجس منها . ويمكن الاستنتاج ايضاً ان الصخر فوق المغارة تحطم بفعل الزلازل ، فسد فم المغارة السابق بما تراكم عليه من الصخور والحجارة (الردم) ، وهي تمتد الآن على بعض المسافة امامها . اما الماء الآن فيتفجر من

١ « ينبجس الينبوع من تحت الصخور الكلسية حيث تختلط هذه الصخور بالصخور الرخامية السوداء .» هذا ما كتبه الدكتور اندرسون في تقرير لينش الرسمي ، ص ١٠٩ .

٢ هو ما يسميه الارثوذكس مار جرجس ، ويسميه اللاتين القديس جورج .

اسفل هذه الكتلة من الصخور والردم . ولكن ابعد الى الجنوب ، حيث لا يظهر اثر لوجود مغارة سابقاً ، نُرى ايضاً كومٌ من الخرائب والردم قبيل اسفل الهاوية حيث يتفجر الماء منهـا كما يتفجر من الاولى ولكن بأقل غزارة ، وقد يكون آتياً من المغارة .

كانت هذه البقعة والمغارة تسمى قديمـاً بانيوم Panium ، ويظهر انها كانت مكرسة للاله بان Pan ، مع ان التاريخ لا يذكر وجود هيكل للاله بان هذا [١] . اما الهيكل الذي شيده هيرودوس الكبير فكان لتكريم اوغسطوس [٢] . في جبهة الهاوية جنوبي المغارة الواقعة الآن فوق الردم مباشرة ، وربما كانت قبلاً اعلى عن الارض مما هي عليه الآن ، فجوات نذرية تغشوها النقوش . اما الفجوة الواقعة في اقصى الشمال فكبيرة وعميقة ، وفوقها واحدة اصغر منها . وابعد الى الجنوب ثلاث فجوات اخرى اصغر من الاولى واقرب الى الارض . وقد يوجد غيرها تحت الحجارة .

١ Comp. Philastorg. Hist. 7. 3.
Reland Pal. p. 918 sq.

٢ Jos. Ant. 15. 10. 3.

« لما رجع هيرودوس من مرافقة القيصر (اوغوسطوس) الى البحر شيد له هيكلا جميلا من المرمر الابيض في اقليم زينودوروس، بالقرب من مكان اسمه بانوم . والمكان هذا هو مغارة جميلة في الجبل، تحتها تجويف او حفرة في الارض. اما المغارة فمبتورة، بعيدة الغور وملآنة بالماء الهادىء . يمتد فوق المغارة جبل شاسع ، وتخرج من تحتها منابع نهر الاردن . زخرف هيرودوس هذا المكان الذي طارت شهرته قبل تشييد الهيكل، وذاعت اكثر بعد ان شيده هيرودوس وقدمه للقيصر . »

Comp. Jos. B. J. I. 21. 3.

الجزء الاعلى في بعض الفجوات هو على شكل صدفة جميلة متقنة .

اما اطول نقش فهو الذي يغشى الفجوة الصغيرة في الجنوب ، فهي نحوي لقب الشخص الذي كرسها (ثلاث كلمات باللغة اليونانية) « كاهن بان » ، وتشير الى وجود هيكل لهذا الاله مع تعظيم للاباطرة الحاكمين . نقلت هذه الكتابة جزئياً مراراً ، ولكنها جد مطموسة [١] . والكتابة الاخرى في الجنوب ، وهي جد عالية ، تتضمن اسم اغريبا ، غير معين ، مع لقب (كلمتان باللغة اليونانية) وبما كان الحاكم العام والقاضي في تلك السنة . وهذه الكتابة نقلت أيضاً [٢] .

نهر بانياس

يسمي الناس هذه البقعة الآن مغارة بانياس او مغارة الرأس النبع . يتفجر نهر بانياس من تحت ركام الصخور والحجارة التي تحجب مدخل المغارة عن النظر وتسده ، ثم يخرج من بين تلك الكتل نهراً غزيراً ، ضعفي النهر الذي يخرج من الينبوع بالقرب من حاصبيا . اما الماء فمتناه بالصفاء والجودة والعذوبة . وهو

١ كان سيتزن اول من نقل الكتابة ، ولكنها لم تنشر الا منذ مدة وجيزة .
Reisen, I. p. 333.
ثم نقلها بركهاردت، ص ٣٩ • ونقلها ايضاً المستر تومسون . واجع المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، ص ١٩٤.
ونقلها ايضاً الدكتور ويلسن . راجع بلاد التوارة ، المجلد الثاني ، ص ١٧٦ .

٢ نقل الكتابة سيتزن .Reisen, I. p. 336 . ونقلها ايضا المستر تومسون ونشرها في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، ص ١٩٤ .

متلألىء برّاق . ينضم الى هذا النهر جداول اخرى تحت القرية . وهو نفسه يوزع ماءه على المدرج وبعض اجزاء السهل الغربي للري ، ثم يندفع في اخدوده ويجري بسرعة باتجاه الجنوب الغربي الى السهل الاوطأ ، ويتابع جريانه الى الحولة السفلى . وهذا النهر هو اجمل انهار الاردن .

رأينا سابقاً ان ما دوّنه يوسيفوس عن اعتقاد العامة بصلة هذا الينبوع ببحيرة فيالا لا يستند الى اساس من الصحة[1] ، برغم التجربة الامتحانية التي اجراها الوالي فيليب حين امر بالقاء عصافة بالبحيرة فظهرت في بانيوم كما قيل . واسخف من هذا الاعتقاد الاسطورة العامة في يومنا هذا القائلة ان هذا النهر يأتي في الاصل من ينبوع بالقرب من شبعا ، على مسافة اربع ساعات او خمس ، في نقطة مرتفعة على جانب جبل الشيخ الشمالي الغربي[2] . لا ريب بوجود هكذا ينبوع بالقرب من شبعا ، ولكن النهر الذي يخرج منه يجري غرباً الى الحاصباني . والاصح ان يُعتبر الجدول ، الذي ينحدر من مرج يفوري ويجري في وادي زعارة ، ابعد ينابيع نهر بانياس ، وهذا اقرب الى الحقيقة . ولكن هذا النهير يجف في الصيف ولا يعقل ان يُعد ينبوع نهر اكبر منه .

١ Jos. B. J. 3. 10. 7.
راجع ص ٤٠٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ راجع ما كتبه المستر تومسون في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، ص ١٩٠ الى ١٩٢ .
وراجع ايضاً الدكتور اندرسون في تقرير لنش الرسمي ، ص ١٠٩ .

ينبوع آخر

يتفجر ينبوع آخر في مجرى وادي خشابة الصخري عند وصوله الى مدرج بانياس ، مقابل مقام الشيخ خضر تقريباً . وهذا الينبوع يُعد غزيراً في اي مكان آخر ، ولكنه هنا لا يؤبه له مطلقاً . والظاهر انه والينبوع الكبير على المستوى نفسه . ويبدو انه فرع منه ، يخرج منه نهر وينضم الى النهر الاكبر منه عند زاوية حصن المدينة الشمالية الغربية .

بانياس الحالية وحصنها القديم

القرية الحالية

تقع قرية بانياس الحالية البائسة وحصن المدينة القديم بين النهر الخارج من الينبوع الكبير ووادي زعارة . ويختلف الرحالون في تقدير عدد مساكنها . فهم يقدرونها بين العشرين والمئة والخمسين مسكناً . ولا اعتقد انني اخطيء اذا قدرتها بخمسين او ستين [1] . بين سائر هذه المساكن ، بيتان او ثلاثة مؤلفة من دورين ، لا سيا احدها

١ يقول المستر تومسون ان عدد البيوت خمسون . راجع ما كتبه في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، ص ١٨٨ .

اما الدكتور ويلسن فيقول انها ستون بيتا . راجع بلاد التوارة ، المجلد الثاني ، ص ١٧٦ .

ولكن سيتزن يقول انها عشرون فحسب .

Reisen, I. p. 336.

And so Hanel in Zettschr. der morgenl. Ges. II. p. 431.

اما بركهاردت فيخالف الجميع اذ يجعلها مئة وخمسين بيتاً. راجع ص ٣٨ .

المبني فوق اطلال برج الحصن الشمالي الشرقي الذي يقوم مقام الدور الاسفل . اما اكثر البيوت فهي ضمن الحصن في الجزء الشرقي منه ، وقليل منها خارجه في الناحية الشرقية منه .

الحصن

لا يزال شكل هذا الحصن ، وهو قلعة المدينة القديمة ، معروفاً . فقد كان مربع الزوايا والاضلاع على غير انتظام او منحرف ذو اربعة اضلاع . جدرانه ضخمة ، وابراجه جبارة ثقيلة على الزوايا ، ومثلها على الجدران بين الزوايا . اما مساحة الحصن الداخلية فقد تكون ثلاثة او اربعة اكرات . لا تزال الجدران في الشرق والجنوب والغرب قائمة على ارتفاع بعض الاقدام . ولا تزال بعض الابراج اعلى من ذلك . يمتد الجدار الجنوبي بجانب هوة وادي زعارة الصخرية وجدولها . اما الجدران الشمالية والغربية فلا تزال تستحم بمياه النهر الخارج من الينبوع الكبير . اما في الشرق ، فقد قدّ خندق الى وادي زعارة ، كان ولا ريب يُملأ من النهر الخارج من الينبوع نفسه . اما ابراج الزوايا فكانت مستديرة ومبنية بحجارة كبيرة منحرفة الزوايا ، بعض بنائها على درجة كبيرة من الضخامة . في منتصف الجانب الجنوبي ، برج يدل بابه او المدخل الذي يمر وسطه على انه قديم ، مع ان العرب اعادوا بناءه كما تدل كتابة عربية . من هذا البرج نفسه ، يمتد جسر حجري ، جزء منه قديم ، عبر الوادي الى الضفة المقابلة . في طرف البرج الشمالي اعمدة مكسرة من الغرانيت مبنية افقياً في الجدار . تلتقي مياه الانهر الدافقة تحت القلعة ، وبعد ان تدير طاحونتين او ثلاثاً تجري مسرعة الى الحولة . بجانب الجسر تماماً ، طاحونة اخرى ، ينقل اليها

الماء من الينبوع بقناة مغطاة تمر وسط القلعة . على طول الشارع الذي يمتد من الجسر والمدخل شمالاً ، قناطر رومانية ترتفع الآن قليلاً فوق الارض .

يبدو ان هذا الحصن كان قائماً في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة القديمة ، وان قسماً كبيراً منـــه كان قائماً جنوبي وادي زعارة ، ويمتد ربع ميل منها . الارض هنا اعلى من سواها ، فهي تنحدر ببروز من الاكمة الشرقية . لا يزال جزء طويل من سور المدينة الجنوبي القديم قائماً ، وهو يمتد نزولاً بانحراف الى الجدول باتجاه بين الغرب والشمال الغربي .

بجانب الطرق المؤدية الى تل القاضي وحاصبيا غربي القلعة آثار بيوت وهياكل . وتُرى الاعمدة وقطع الاعمدة منثورة في سائر الجهات .

بالقرب من سور المدينة القديمة في الجهة الجنوبية الشرقية ، بركة طبيعية جد كبيرة ، يظهر ان ماءها يُجمع من مياه الامطار التي تتدفق من الآكام . وهذه البركة لا صلة لها بميـــاه المدرج الاخرى .

ان اجمل منظر لبانياس هو من مقام الولي الصغير الشيخ خضر بالقرب من الينبوع الكبير [1] .

١ المواقع عند بانياس من البرج القائم في الزاوية الجنوبية الشرقية ، في العام ١٨٤٤ : قلعة بانياس ٧١ درجة . عـين قنية ١١١ درجة . زعورة ١٥٧ درجة . عين فيت ١٦٢ درجة . حونين ٢٦٣ درجه . آبل ٢٨٢ درجة . مشهد ٢٨٣ درجة .

بانيوم PANIUM بانياس PANEAS

ارض الميعاد . بعل حرمون . بعل جاد. قيصرية فيلبس .

اسقفية فينيقية .

يسهل تحويل الاسم بانيوم ، الذي هو اسم الكهف ، الى بانياس وهو اسم المدينة القديمة . وليس بالامكان اقتفاء اثر هذه الاسماء تاريخياً قبل عهد هيرودوس الاول . اما العهد القديم فلا يلمع اليها بشيء ، مع ورود ذكر غيرها قريبة جداً منها . هل أهمل ذكر هذه البقعة الشهيرة ، ام كان اسمها في ذلك العهد غيره الآن ؟

جاء في سفر يشوع ان ارض الميعاد التي أخضعها ذلك القائد تمتد « من جبل حلق (الجبل الاقرع) الصاعد الى سعير الى بعل جاد في وادي لبنان تحت حرمون [١] . » وجاء ايضاً في السفر نفسه ان هذا الجزء من ارض الميعـــاد الذي عجز يشوع عن اخضاعه يمتد « من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة . » وورد في فقرة اخرى مطابقة لهذه كلمة حرمون عوض بعل جاد [٢] .

١ سفر يشوع : الاصحاح الحادي عشر ، العدد السابع عشر . وهكذا في ترتيب معكوس : يشوع : الاصحاح الثاني عشر ، العدد السابع .

٢ يشوع : الاصحاح الثالث عشر، العدد الخامس. قابل ذلك مع القضاة: الاصحاح الثالث ، العدد الثالث. وراجع سفر الايام الاول : الاصحاح الخامس ، العدد الثـالث والعشرين . وراجع في نهاية الفصل الثاني عشر من المجلد الثالث للمؤلف ما ذكره عن مدخل حماه .

والظاهر ان بعل جاد وبعل حرمون اسمان مختلفان لمكان واحد، وان هذا المكان المشار اليه يقع في وادٍ تحت حرمون[١]. وقد استعمل للدلالة على الحد الشمالي الاقصى لفلسطين الذي وصل اليه يشوع في فتوحاته، كما اعتبرت مدينة دان بعد بنائها في عهد متأخر الحد الشمالي الدائم. اما الاسم بعل جاد الذي يعني آله الحظ، فيشير الى مكان للعبادة الوثنية[٢]. والظاهر انه سمي ايضاً بعل حرمون لصلته بهذا الجبل.

كل هذه الاعتبارات المار ذكرها ترجح ان بعل جاد لم يكن سوى هذه البقعة الرومانطيقية، هذا الكهف المنعزل عند ينبوع الاردن، حيث اسس الفينيقيون او السوريون عبادة لاحد بعولهم[٣].

١ سمي هذا المكان (كلمتان عبرانيتان) وادي لبنان ، ولكنه ليس البقاع لانه ليس تحت حرمون .

So too Gesenius Thesaur. p. 262.
Heb. Lex. art.
Winer Realw. art. Lebanon. II. p. 25. 3te Ausg.
Jerome also places Baal-Gad « ad radices montis Aermon ».
Onomast. art. Baalgad.

٢ يعزو جيسينيوس بعل جاد (اله الحظ) الى جوبيتر .

Thesaur. p. 264.

اما Movers فيعزوه الى فينوس .

Die Phonizier, I. pp. 636, 650.

٣ So Gesenius Thesaur. p. 225.
Raumer Palast. ed. 3. p. 215.

ويعتقد اخرون ان بعل جاد كانت قبلا هيليوبوليس ، وهي الان بعلبك . ولكن لا توجد ادلة واضحة او مرجحة على ان فتوحات يشوع امتدت الى بعلبك، او ان بعلبك

وهكذا ، على مرور الزمن ، حلت عبادة بان اليوناني محل بعل جاد ، فراجت كلمة بانيوم ، ونسي القوم الكلمة القديمة .

اما كلمة بانياس Paneas فليست سوى اللفظ العربي لكلمة بانياس Banias القديمة . اشرت سابقاً الى الهيكل الذي بناه هيرودوس الاول بالقرب من الينبوع تكريماً لأوغوسطوس [١] .

ولكن هل كانت المدينة المجاورة لهذا الهيكل في عالم الوجود آنذاك ، او بنيت بعده؟ فهذا غير معروف . في عهد متأخر دخلت هذه البقعة في سلطة فيليب والي تراكونيتس ، فزاد عليها وحسنها واطلق عليها اسم قيصرية فيليبس ، تمييزاً لها عن قيصرية الواقعة على ساحل البحر [٢] . هذا هو اسمها المذكور في العهد الجديد ، وهي التي زارها سيدنا * [٣] . ثم بعد ذلك اسماها اغريبا نيرونياس Neronias ، فلم يعمر الاسم طويلاً . وزارها فيسبزيان ايضاً . وبعد ان استولى طيطس على اورشليم عرض فيها مشاهد عامة ، واجبر الاسرى اليهود على مقاتلة بعضهم البعض الآخر او معاركة الحيوانات البرية ، فهلك الكثيرون منهم [٤] . ولا تزال نقود قيصرية

عدت يوماً الحد الاقصى لفلسطين ، او ان جزءاً انتي لبنان المجاور لها سمي حرمون في وقت من الاوقات .

Ritter Erdk. XVII. p. 229 sq.

١ راجع ص ٤٠٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ Joseph. Antiq. 18. 2. 1.
Jos. B. J. 2. 9. 1.

* اي يسوع المسيح . — المعرب .

٣ راجع انجيل متى : الاصحاح السادس عشر ، العدد الثالث عشر .
وراجع انجيل مرقس : الاصحاح الثامن ، العدد السابع والعشرين .

٤ Joseph. Antiq. 20. 9. 4.

بانياس Cæsarea Paneas كما كانت تدعى آنذاك موجودة الى الآن[١]. في القرن الرابع كانت اسقفية فينيقية تابعة للبطريركية الانطاكية، وحضر اسقفها فيلوكالوس Philocalus مجمع نيقيا في العام ٣٢٥ م، واسقف آخر هو اوليمبيوس Olympius كان حاضراً في مجمع كلسيدون في العام ٤٥١ م[٢]. وفي ايام يوسيبيوس وجيروم، كان اسمها القديم اي بانياس قد رجع الى سابق عهده. وهكذا ظل متعارفاً زمن السلطة الاسلامية حتى العهد الحاضر[٣].

Jos. B. J. 3. 9. 8.
Ib. 7. 2. 1.
١ Eckhel Doctr. Numm. III. p. 339.
Mionnet Médailles Ant. V. p. 311 sq.
اما السكك فتمتد من اوغسطس الى هيليوغوبالوس.
٢ Labb. Concil. Tom. ll. col. 51.
Le Quien Oriens Chr. ll. p. 831.
٣ Euseb. Hist. Ecc. 7. 17.
Hieron. Comm. in Ezech. xxvii. 18. « Dan... ubi hodie Paneas, quæ quondem Cæsarea Philippi vocabatur. »
يقول يوسيبيوس، استنادا الى مـا يروى منذ زمن قديم، ان هذا هو المكان حيث شفى يسوع المسيح المرأة نازفة الدم.
راجع انجيل متى: الاصحاح التاسع، العدد العشرين.
ثم يقول ان النصب التذكاري الذي خلد تلك المعجزة هو تمثال نحـاسي يمثل رجلا يرتدي عباءة وامامه امرأة راكعة تتوسل اليه وتبتهل. هذا ما رآه بنفسه. وقد يكون هذا التمثال اقيم اكراماً لاحد الاباطرة. راجع:
Gieseler KG. I. p. 79. (66).
Reland Palast. p. 922.

ملاحظات تاريخية

كانت بانياس في غضون الحروب الصليبية ميداناً للتنازع بين الصليبيين والعرب . ففي العام ١١٢٩ م او ١١٣٠ استولى عليها المسيحيون كما استولوا على قلعة الصُبيبة القائمة على الجبل ، سلمهم اياها حاكمها الاسماعيلي ، بعد محاولتهم الفاشلة في الهجوم على دمشق لمساعدة الاسماعيلين . فاقطعت المدينة والقلعة الى الفارس رينار بروس Rayner Brus [١]. في العام ١١٣٢ م استولى عليها السلطان اسماعيل ، سلطان دمشق ، بعد هجوم قصير الأمد ، بغياب رينار [٢]. وفي العام ١١٣٩ م استردها المسيحيون بمساعدة الدمشقيين انفسهم ، فأُرجعت سلطتها الزمنية الى رينار بروس ، وسيمت اسقفية لاتينية تابعة لرئاسة اساقفة صور [٣]. بعد ذلك استولى عليها بالوراثة هونفروى Honfroy رئيس القصر الملكي . وفي العام ١١٥٧ م حاصرها نور الدين المروّع ، وكان النجاح

١ Abulfeda, Annal. A. H. 523. Tom. III. p. 432.
Will. Tyr. 13 26. ib. 14. 19.
Wilken. Gesch. der. Kr. ll. p. 569.
Id. Comm. de Bell. cruc. p. 68.

٢ Will. Tyr. 14. 17. 19.
Wilken ibid. p. 612 sq.

٣ Will. Tyr. 15. 91-1.
Reinaud Extraits des Hist. Arabes, p. 70 sq.
Wilken ib. pp. 684, 687 sq.
Les Quien Oriens Christ. III. p. 1335.

حليفه ، فاحتل المدينة واحرقها ، ولكن استحال عليه اخضـــاع الحصن الواقع في المدينة نفسها [1] . ولكن الملك بولدوين الثـالث انقذ المدينة واعاد بناء الحصون بسرعة فائقة . وفي العام ١١٦٥ م اعاد نور الدين الكرة على بانياس في غياب هونفروى ، فحـالفه النجـاح ، واستسلمت له بعد حصـار قصير ، وكان هـذا آخر عهد الفرنجة بها [2] .

وفي العام ١١٧٢ حاصر الملك اماليك Amalric بانيـاس ، خمسة عشر يوماً ، ولم يفز منها بطـائل [3] . وفي العام ١٢١٩ م جردها السلطان المعظم مع غيرها من وسائل الدفاع [4] .

في العام ١٢٥٣ م اعاد المسيحيون الكرة ، فجردوا حملة من

١ Will. Tyr. 18. 12.
Wilken ib. III. ii. pp. 43, 44.
Reinaud Extr. p. 107.

٢ Will. Tyr. 19. 10.
Reinaud Extr. p. 121.
Wilken ib. p. 92.
يذكر ويلكن في مكان اخر ان صلاح الدين سبى بانياس في العام ١١٨٨ م ، ولكن المكان الذي يعنيه هو مدينة بلنياس وحصن المرقب ، على ساحل البحر شمالي طرطوز (طرطوس) . راجع المصادر الاتية :
Wilken ib. VII. p. 327. n.
Reinaud Extr. p. 225.
Schultens Index in Vit. Salad. art. Markabum,
Brocardus c. 2. p. 171.

٣ Will. Vyr. 20. 23.
Wilken ib. III. ii. p. 153.

٤ Wilken ibid. VI. p. 236.

صور على بانياس بقيادة جوانفيل Seneschal Joinville فتمكنوا
من الاستيلاء عليهـــا موقتاً ، ولكن استحال عليهم اخضاع قلعة
الصَبيبة القائمة على الجبل ، فلم يجدهم انتصارهم الجزئي نفعاً ، فاقلعوا
عن فكرة الفتح وانكفأوا الى صيدا[١] .

يذكر بنيامين التودلي بانياس وكهف الاردن ، ولكنه في
حديثه عنهما يترك للقارىء مجالاً للشك في زيارتـه تلك البقعة[٢] ،
ويسمي بانيـاس بيلينـاس Belinas وهو الاسم المتعارف بـــين
الصليبيين[٣] . ويذكر بروكاردوس المكان ايضاً ، ويصفه ابو الفدا
كما يصف قلعة الصبيبة[٤] . ولكن منذ الحروب الصليبية لم اعثر
على ما يدل على ان احداً من السياح الفرنجة زار المكان ، الى
ان مر عليه سيتزن بطريقه مـن دمشق الى طبريا في العـــام

١ Wilken ibid. VII. p. 327. sq. and Joinville as there cited.

٢ Benj. of Tud. by Asher, I. p. 82.

٣ Will. Tyr. 19, 10.
Jac. de Vitriac. c. 35. p. 1070.
Brocardus c. 3. p. 172.
يظهر ان كلمة بيليناس نجمت عن عدم التمييز بين الاسمين العربيين بلنياس وبانياس .
راجع الصفحة ٤١١ من المجلد الثالث للمؤلف ، الحاشية الخامسة .
Reland Pal. p. 920.
Schultens Index in Vit. Salad. art. Markabum.
Wilken ib. VII. p. 327 n.

٤ Brocardus, I. c.
Abulfeda, Tab. Syr. p. 96.
Schultens Index in Vit. Salad. art. Paneas.

١٨٠٦ م[١] .

منابع نهر الاردن

زرنا الى الآن سائر ينابيع الانهر التي تكوّن نهر الاردن الاعلى فوق بحيرة الحولة وتغذيه . من هذه الانهر ، ثلاثة تنبع في اقليم الحولة او تدخله من الشمال ، لم يذكر التاريخ منها سوى اثنين هما الينبوعين الشرقيين ، قائلا انهما يغذيان الاردن الاكبر والاردن الاصغر . اما القول ان كلمة الاردن Jordan مركبة من كلمتين همـــا جور Jor ودان Dan ، وأنهما اسما الينبوعين الشرقيين ، فهو تحليل واه لا يستند الى اساس[٢] . ان النهر الغربي

١ في العام ١٣٣٦ م سافر السر ج . مونديفيل Sir J. Maundeville ورفيقه و . دوبلدنسل W. de Baldensel من بانياس الى دمشق، ولكنهما عبرا نهر الاردن على الجسر القائم تحت طبريا، وقد جاءا على ذكر بيليناس (بانياس). راجع رحلات موندفيل ، ص ١١٥ ، طبعة لندن ، العام ١٨٣٩ .
W. de Baldensel in Basnage Thesaur, IV. p. 335.
So too, probably, Ludolf de Suchem, 43 ult.
في العام ١٥٦٦ مر فورر فون هيمندورف Furer von Haimendorf على الحولة وصعد في وادي التيم، ولكنه لم يزر بانياس . راجع ص ٢٨٠ من مؤلفه .
ويقول سانديز ان فخر الدين كان يحتل قلعة بانيـاس في عهـده . راجع ص ١٦٥ من مؤلفه .

٢ ان سخافة هذا التحليل الصرفي واضحة ، لان كلمة الاردن ليست سوى الكلمة اليونانية (كلمة باللغة اليونانية) . اما الاسم العبراني (كلمة عبرانية) Iarden ، فلا علاقة له او صلة بالاسم دان . وخلا ذلك فقد اطلق اسم الاردن على هذا النهر منذ اقدم الازمنة ، وتكرر ذكره في التوراة في عهد ابراهيم ، اي خمسة قرون على الاقل قبل ان يطلق اسم دان على المدينة الواقعة على منبعه . ولكن هذا التحليل يرقى الى زمن جيروم على اقل تقدير .

الذي يأتي من حاصبيا ، هو اطول الانهر التي تغذي نهر الاردن ، ولا ريب انه ابعد منابعه ، ومع ذلك فالتاريخ لم يأت على ذكره باسم الاردن[١] . اما لماذا اهمـــل ذكره فهذا ما نعجز عن تعليله . فيجدر بنا اذاً ان نكتفي بالمتعارف منذ العديد مـن الاجيال . ولا يجدينا نفعاً الآن تغيير ما اثبته العرف ، كما انه لا يجدينا نفعاً الطلب من السيول الجبارة التي تكوّن نهري المسيسبي والميزوري[٢]

Comm. in Matt. xvi. 13. « Jordanes oritur ad radices Libani ; et habet duos fontes, unum nomini Jor, et alterum Dan ; qui simul mixti Jordanes nomen efficiunt. »

راجع ما نقله المؤرخون ادناه .

Adamnanus de Loc. Sanct. 2. 19.
William of Tyre 13. 18.
Brocardus c. 3. p. 172.
Marinus Sanutus on his map.
Adrichomios p. 109. etc. etc.

ويبدو ان هذا التحليل المنقول اصبح شائعاً بين مسيحيي البلاد ، فقد قيل ابر كهاردت ان اسم ينبوع بانياس كان قديماً جور Jür ، وهو يقول ان ينبوع تل القاضي لا يزال يسمى دان Dhân ، والاسمان يؤلفان معاً جوردان . وقد استقى بر كهاردت كل هذا ولا ريب من الكهنة اليونانيين ، وهو يشبه كل الشبه ما اختبرناه في الطبية .

راجع الصفحتين ٤٤٨ و ٤٥٠ من المجلد الاول للمؤلف (١٢٦ و ١٢٨ ii).

راجع بر كهاردت ، الصفحتين ٤٢ و ٤٣ .

قابل ملاحظات جيسينيوس على بر كهاردت ، ص ٤٩٦ .

١ يظهر ان اقدم من لفت الانظار الى النهر الآتي من حاصبيا الى نهر الاردن هو فورر فون هيمندورف في العام ١٥٦٦ ، بينما كان صاعداً في وادي التيم الى البقاع وبعلبك . راجع ص ٢٨٠ .

Nurnb 1646.

٢ هما نهران في الولايات المتحدة الاميركية . — المعرب .

ان تبادل بين اسميها فوق مكان اتصالها، طالما ان النهر الاخير هو اطول الاثنين واغزرهما .

ولكن مهما يكن السبب في هذا السكوت عن ذكر اطول نهر يغذي الاردن، وابعد منابعه، فاننا نجد المسألة نفسها في الانهر السورية الثلاثة التي تنبع من البقاع وانتي لبنان، وهي بردى والليطاني والعاصي. فالنبع الخاص بنهر بردى هو في السهل جنوبي الزبداني، في اعلى جزء من انتي لبنان، بينما ابو الفدا يقول بكل وضوح « ان منبع نهر دمشق » هو من ينبوع الفيجة الغزير، فوق منتصف سفح الجبل [١] . ويقال ان الينابيع الغزيرة بالقرب من عنجر هي مصدر الليطاني، مع ان احد مصادره من النهر الجميل في بعلبك. وما يقال عن هذين النهرين يقال عن العاصي، فمصدره الحقيقي هو الينبوع الغزير في اللبوة، ولكن يقال ان منبعه من الينابيع الغزيرة القريبة من الهرمل .

اما اساس هذه الفكرة في سائر هذه الحالات، فهو حسبان ان الينابيع الغزيرة هي منابع الانهر، وليس الينابيع البعيدة .

١ Abulfeda, Tab. Syr. ed. Kohler, p. 15.

بين بانياس وقلعة بسطرا

قرية الغجر ومقام الولي . عين خرواعة . سهل وادي التيم . صروح مهدمة . هياكل . غرابة قلعة بسطرا . راشيا الفخار وشهرتها في صناعة الفخار . كفرحمام . كفر شوبا . الفرديس . شبعا . عدد الماعز . عين جرفا . معركة بين الدروز والجيش المصري .

تركنا بانياس الساعة السابعة والدقيقة العاشرة وجهتنا حاصبيا سائرين على طريق تتجه شمالي الطريق التي تؤدي الى تل القاضي . بعد خمس عشرة دقيقة كنا على حافة المدرج الغربية ، فاذا عن يميننا حرف عال يمتد على جانب المدرج فيحجب المناظر عن بانياس من الجهة الغربية . انحدرنا بجانب نهيرات خارجة من الينبوع لري السهل المنخفض . الساعة السابعة والدقيقة السابعة والثلاثين عبرنا مجرى ماء وادي العسل الجاف . يخرج وادي العسل من هوته الواقعة في الزاوية بين المدرج والجبل . تتجه طريقنا الآن الى الشمال الغربي مباشرة ، الى قرية الغجر ومقام وليها وقبته البيضاء . واتجاهنا هذا هو اتجاه سفح الجبل العام .

الساعة الثامنة وصلنا الى مفرق الطرق فبدأنا بالدوران حول زاوية الجبل بطريقنا الى سهل وادي التيم . تابعنا السير على مرتفع بالقرب من سفح الجبل فكان السهل الذي عن اليسار تحتنا . الساعة الثامنة والدقيقة العشرين كان ينبوع عن يسارنا ،

عرفنا انه الينبوع الذي يغذي الجدول وقد عبرناه يوم الاربعاء، وهو يجري الى تل القاضي. اصبحت طريقنا الان بجانب سفح الجبل تتجه شمالاً على عشر درجات شرقاً.

الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين وقفنا عند ينبوع صغير بجانب الطريق اسمه خرواعة تجاه قرية عربية صغيرة في سفح الجبل. من موقفنا هذا استطعنا ان نرى بجلاء ووضوح سهل وادي التيم والحولة وراءه.

قلعة بسطرا

اصطحبنا دليلاً وبدأنا نتسلق الجانب المنحدر من الجبل الى قلعة بسطرا، وهي اطلال قائمة تجاهنا على حافة كتف او مدرج بارز منحدر من الجبل يرتفع الف قدم فوق السهل. بعد خمسين دقيقة من المشقة والعناء في مرتقى منحدر شقّ على الخيل تسلقه وصلنا الى القمة.

على بروز آخر أقل ارتفاعاً يبعد ثلاثين دقيقة، اطلال وحوض وبركة. لم نتمكن من معرفة نوع هذه الخرب، ولكننا تميزنا آثار اربعة جدران لبناء واحد، وغرفة صغيرة استعمل الملاط في بنائها. والظاهر ان هذه البقعة مزرعة صغيرة او ضاحية تابعة البقعة القائمة فوقها وهي اقل اتساعاً منها ومهملة تقريباً.

موقع هياكل

تزدحم قمة الكتف البارز بصروح مهدمة مبنية بحجارة منحوتة بدون ملاط. اما هندسة البناء فخالية من الزخرف.

وبعيدة عن الاتقان . والظاهر ان هذا المكان هو موقع هياكل تأكدنا من وجود لا اقل من اربعة منها ، وربما كان عددها اكثر . ابوابها من الحجر المنحوت المحدد . في داخلها صفوف من الاعمدة الخشنة و كوم من الحجارة الكلسية ، بعضها مستوية الزوايا وبعضها منحوتة ، وهي منتشرة في كل مكان . طول الهياكل من ثلاثين قدماً الى خمسين ، يتناسب عرضها مع طولها هذا .

لم يكن هذا المكان حصناً او مدينة ولا يمكن ان يكون ، اذ من الظاهر ان هذه البقعة كانت مكرسة للعبادة ، وكان الكهنة وعائلاتهم يسكنون في المزرعة الواقعة على الكتف الوطيء المذكور سابقاً .

تقع اطلال قلعة بسطرا على النقطة البارزة من الكتف ووراءَها نجد صغير ثم يبدأ الجبل بالارتفاع . هنا بوكتان صغيرتان ، وبين الخرائب حوض مقبّى ومطيّن . ترتفع كتف الجبل هذا على شكل حصن او متراس غربي وادي العسل . لم نتمكن من رؤية قمة حرمون من موقفنا هذا . وادي النور مضيق شاق يبدأ شمالي الاكمة القائمة عليها قلعة بسطرا وينحدر جنوباً الى السهل لمسافة ميل تقريباً .

على المرتفع في الجهة المقابلة ، الى الجنوب الشرقي من الخرائب ، مزرعة للرعاة (قرية المعاز) عائدة لشبعا ، اعلى قرية في جبل الشيخ . في هذه المزرعة الوف الماعز تتجول في هذه الجبال الوعرة على مسافة خمسة عشر ميلاً او عشرين جنوبي شبعا . اما الارض التي تحيط بقلعة بسطرا فتخص كفر شوبا ، وهي قرية قائمة فوق الجبل أبعد الى الشمال .

اطلال قلعة بسطرا

ان هذه الاطلال لغز استعصى علي حله ، فهي لم تكن يوماً كنائس او اديرة اذ لا وجود لأثر مسيحي بينها . اما مجموعة هذه الاطلال فتشبه كثيراً خلوات درزية في وضعها وتنظيمها ، كخلوات البياضة القائمة على الأكمة جنوبي حاصبيا . لكن البناء هنا اضخم والحجارة اكبر من حجارة تلك الخلوات ، وهو اجمالاً ارحب من ان تحتاجه حلوات درزية[1] . قد تكون هذه الاطلال عريقة في القدم لان الحجر جد متلاز ومشرب بالمعدن فلا تكاد تؤثر به عاديات الايام ولا يضيره كرور السنين . وقد تكون احد الامكنة التي كرسها السوريون او الفينيقيون للمعليم الذي يعبدونه .

لم يزر هذه البقعة اي سائح افرنجي سوى بركهاردت[2] . اما المنظر منها فآية في الجمال مع انه غير منفسح الا على

١ ان الشبه بين خرائب قلعة بسطرة والخلوات الدرزية جدير بالاعتبار ، خلا التفاصيل التي بسطناها في المتن . (راجع الصفحتين ٣٨١ و ٣٨٢ من المجلد الثالث للمؤلف) . أ كانت هذه البقعة القديمة ذات علاقة بتاريخ الدروز المبكر ، واصبحت الان نسياً منسيا ؟ ويقال ان في المطلة الواقعة على نقطة اكثر ارتفاعاً باتجاه الشرق بشمال، مجموعة من خرائب شبيهة بهذه . اسم هذه المجموعة من الخرائب هو الدير . ويقال ان الصليب الارثوذكسي لا يزال ظاهراً على بعض الحجارة . وقد جيء على ذكر العديد من الخرائب من النوع نفسه في هذا الجزء من حرمون . واشهر هذه الخرائب هي التي في مكان اسمه سد دانا Sid Dâna الى الشمال الشرقي من المطلة .

٢ رحلة بركهاردت في سوريا ، ص ٤١ .

الينبوع تحته ١ .

بين قلعة بسطرا وراشيا

هبطنا ثانياً الى عين خرواعة فوصلناها بعد خمس واربعين دقيقة . ثم تابعنا سيرنا الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين . بعد نصف ساعة بدأت الآكام بالارتفاع وسط وادي التيم ، اي في الفسحة الواقعة بين جبل الشيخ والحرف الكائن غربي السهل . ولكنا تابعنا سيرنا شرقي هذه الآكام . وصلنا وادي سرّيب الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشرة ، فاذا امامنا جدول هادئ يخرج من ينبوع غزير في سفح جبل الشيخ .

يُعتبر هذا الينبوع احد الينابيع الرئيسية التي تغذي نهر الحاصباني ، ويُقال انه ينقطع في الصيف ويستعيد غزارته في الشتاء . ولعل هذا التغيير يحدث بتأثير اختلاف الفصول . وقيل لنا انه الآن لا يتجاوز ربع غزارته . ومن المحقق انه ليس اكثر من ربع الحاصباني غزارة . ماؤه صاف زلال وجميل .

شمالي هذا الوادي حرف جبل يتصل بزوايا قائمة باكمة اخرى طويلة تمتد شمالاً بموازاة الحاصباني . عبرنا هذا الحرف ونزلنا تدريجاً باتجاه حوض وادي خُرّيبة ، فاذا عن يسارنا الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين قرية حرّيبة ، قائمة على الاكمة الطويلة المذكورة اعلاه ، على مسافة ميل منا . ينحدر وادي خرّيبة من

١ المواقع من قلعة بسطرة : تل القاضي ٢٠٧ درجات . حونين ٢٤٢ درجة . الفجر ٢٥٢ درجة . قلعة الشقيف ٢٩٣ درجة . الخيام ٣١٧ درجة . هوة نهر الاردن وبحيرة طبريا وراءها ١٩٢ درجة .

الجبل الى الغرب والجنوب الغربي ، فيكوّن سهلاً جميلاً ، او حوض ارض الى الشمال الشرقي والشمال من القرية والاكمة القائمة عليها . من هنا تنحدر طريق حاصبيا العامة فتتجه يساراً الى الحاصباني ، وتتابع سيرها في الاتجاه نفسه حتى الخان .

راشيا الفخار

شهرتها في صنع الفخار . كيفية صنعه .

تابعنا السير بانحراف الى اليمين اكثر من السابق . الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والاربعين عبرنا مجرى وادي خربة وتسلقنا مرتقى جد طويل ، فوصلنا راشيا الفخار الساعة الثانية والدقيقة العشرين .

راشيا قرية كبيرة قائمة على حرف جبل عريض مرتفع يمتد نزولاً من جبل الشيخ باتجاه الغرب والجنوب الغربي بين وادي خربة وبقعة الارض الكبيرة الطلقة تحت وادي شبعا .

اشتهرت راشيا بصنع الفخار وهي احد المراكز الرئيسية لصنعه . تشوى الآنية في افران كبيرة على شكل قبة لتجف . اما النماذج فترى معروضة خارج البيوت ، بينها التنور والدنان وغيرها . تُرسل الآنية الفخارية الى كل اسواق البلاد ، كما تُرسل الى حوران وحمص وحماه . مع ان موقع راشيا على مرتفع ، فالجبال والآكام تحجب عنها القرى الواقعة بجوارها ، ولا يبان منها الا بضع قرى ، ولكن النظر يتناول قريتي كفر حمام وكفر شوبا الواقعتين على خط واحد في الجنوب الشرقي في سفح الجبل وراء وادي خربة ، على تفاوت في الارتفاع . اما كفر شوبا فاكثر القريتين

ارتفاعاً ١ .

١ المواقع من راشيا الفخار : كفرحمام جنوباً ٠ ٤ درجة شرقـاً . المسافة ميل واحد . كفرشوبا جنوباً ٠ ٤ درجة شرقاً . المسافة ميلان .

بين راشيا والهبارية

تنحدر الطريق العامة من راشيا الفخار الى حاصبيا وسط الفرديس الواقعة في الثلمة السفلى من وادي شبعا . سرنا في طريق تنتحي اليمين لزيارة الهِبّارية فقادتنا على ارض مرتفعة ودارت حول كتف الاكمة المشرفة على البقعة المنبسطة القائمة عليها الهِبارية . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين بدأنا نهبط احدوراً طويلاً كثير الانحدار رأساً الى الهِبارية الواقعة شمالاً ٧٥ درجة شرقاً .

على مسافة قصية تحتنا الى اليسار ، تقع قرية الفرديس في الجزء الاسفل من وادي شبعا في مروره الى الحاصباني ، شرقي كوكبا تماماً وعلى بعد ميل ونصف عنها . على نقطة مرتفعة من سلسلة الجبل وراء الهِبارية طلل اسمه دير مطاليه كما اسموه لنا ، وقد جئت على ذكره سابقاً .

اقتربنا الآن من وادي شبعا الكبير الذي يشق طريقه نزولاً وسط مضيق هائل وسلسلة جبل الشيخ الغربية . ينفرج هذا الوادي في سفح الجبل الى بقعة عريضة طلقة تقدر بمئات الاكرات من الاراضي المعتدلة النعومة مع انها صخرية

وشديدة الانحدار الى الغرب . وسط هذه البقعة ينساب مجرى الوادي العميق ، وهو هوة صخرية يجري فيها جدول عكر تجمّع من ذوبان ثلوج حرمون . والجدول هذا يجف احياناً في شهري ايلول وتشرين الاول .

تفصل هذه البقعة عن الحاصباني آكام متصلة بسلاسل الجبال في الشمال والجنوب ، يشق الوادي طريقه وسطها نزولاً حتى النهر . في هذا الجزء تقع الفرديس ، وتقع عين جرفا على الاكمة الشمالية. تقوم قرية شبعا فوق الجزء الاعلى المرتفع من الوادي الذي يأتي من ناحية راشيا . سلسلة حرمون الغربية على الجزء الاعلى المرتفع من الوادي الذي يأتي من ناحية راشيا ويتابع امتداده الى الجنوب الغربي ، وتبعد ساعة ونصف الساعة عن الهبارية . وشبعا هذه اعلى قرية في الجبال ، ويقال انها تملك خمسة وعشرين الفاً من الماعز تتجول في مراعيها في اعالي الجبال . يرسل اهالي شبعا كميات كبيرة من الجبن واللبن المجفف (اللبنة) الى دمشق وغيرها .

في العام ١٨٣٨ احتدمت معركة فاصلة بالقرب من شبعا بين الجيش المصري والدروز كانت الغلبة فيها للجيش المصري .

الهبارية

موقعها . حفرة مستديرة . هيكل قديم . وصفه . ابعاده .

وصلنا الى الهبارية الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين . قبل ان ندخلها شاهدنا في صخر كلسي عن يميننا حفرة مستديرة جديرة بالاهتمام والملاحظة . جوانبها عمودية ، عمقها يقرب من خمسين قدماً ، وقطرها عشرون روداً ، فكأن هذه المساحة الداخلية غارت نزولاً عموديا . ارضها محروثة ، غُرست فيها اشجار الزيتون .

تقع الهبارية على الجانب الاعلى (الشرقي) من البقعة المفتوحة ، عند فتحة المضيق الكبير في وادي شبعا جنوبي مجرى الماء [1] .

هيكل الهبارية

اما الشيء الوحيد الجدير بالاهتمام في القرية خلا موقعها الشهير ، فهو الطلل الجميل لهيكل قديم قائم في حقل محروث . لا يواجه هذا الهيكل رأساً الهوة العظيمة ، ويتجاوز امتداد نظره المضيق الهائل كأنه يروم التمتع بأول شعاع من اشعة شمس الصباح عندما تطل من وراء حرمون . جدرانه قائمة الا في الجهة الشمالية . طول

١ المواقع من الهبارية : الرجوع باتجاه راشيا الفخار جنوباً ٦٥ درجة غرباً . عين جرفا شمالا ٤٠ درجة غرباً . المسافة ميل وربع الميل .

الصرح ثماني وخمسون قدماً من الشرق الى الغرب ، وعرضه احدى وثلاثون قدماً . في زواياه عضائد مربعة ، تيجانها ايونية . بين هذه العضائد ، في الجبهة الشرقية ، عمودان مستديران يكوّنان الرواق . سمك الجدران ست اقدام ، واكثر حجارتها كبيرة ، طول احدها خمس عشرة قدماً بنحو قدمين وتسعة انشات تربيعاً . بعضها منحرفة الزوايا جزئياً ، ولكنها ليست متممة كالتي في القدس او في قلعة بانياس [1] . على طول الحائط بالقرب من الاساس ، حاشية بارزة مزخرفة . وفي اعلى الجدار قرب الافاريز ، طنف (كورنيش) مزدوج ، وصفّ من الحجارة المستديرة . بين الطنفين وعلى كل من اطرافه مثلث فخم . اما داخل الرواق فيزدان بفجوات جميلة . واما قياسات الهيكل فقد سبق ودوّنها المستر تومسون ، وهي كما يلي :

	قدم
الطول	٥٨
العرض	٣١
عمق الرواق	١٥ ونصف
عرض «	٢٣
جسم الهيكل من الشرق الى الغرب	٢١ وثلثان
جسم الهيكل من الشمال الى الجنوب	٢٣
طول الفضاء في الطرف الغربي	١٩

١ ان ما ذكرته اعلاه هو ما علق بذاكرتي ، وما دونته بمذكراتي في الوقت نفسه . وقد زار المستر تومسون الهيكل للمرة الثانية ، وفي تقريره يقول ان الحجارة غير منحرفة الزوايا .

عمق الفضاء في الطرف الغربي ١١
ارتفاع الحائط ٣٢
سمك الحائط ٦

هذا الهيكل هو من احسن الهياكل القديمة حفاظاً على سالف عهده، ومن اجملها نموذجاً. يزدحم لبنان ولبنان الشرقي والاودية الواقعة بينهما بكثير منها. اما عددها فغير معروف بعد، ولكني زرت لا اقل من ثلاثة عشر منها في رحلتي هذه دون ان اضطر الى تغيير الخطة التي رسمتها للرحلة الا قليلاً في حالة واحدة او اثنتين. فالهياكل موجودة في كل المراكز، وهي تتوج الآكام ورؤوس الجبال، او تنعزل في بطون الاودية والمضايق العميقة. اما الذين اسسوها، والعبّاد الذين لازموها، فقد تواروا في اللانهاية منذ عصور مجهولة عندنا. اكانوا فينيقيين ام يونان — سوريين؟ هذا ما نجهله لانهم لم يخلفوا وراءهم اثراً للدلالة عليهم سوى هذه الآثار الصماء. ولم يتركوا لنا بياناً او تسجيلاً يلقي بصيصاً من النور ولو ضئيلاً على كيفية بنائها، ولماذا بنيت.

بين الهبارية وحاصبيا

عين جرفا. الوصول الى بيت الارسالية. الارتفاعات المسجلة.

تركنا الهبارية الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين وسرنا على طريق تؤدي رأساً الى عين جرفا، لنصل ثانياً الى طريق حاصبيا. الساعة الرابعة عبرنا هوة وادي شبعا العميقة وجدولها، فوصلنا الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة الارض المنخفضة او الوادي الواقع في سفح الاكمة الغربية. كان المرتقى الى القرية شديد الانحدار شاقاً ومتعرجاً. وصلنا الى عين جرفا الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين، فالفيناها قرية لا اهمية لها. تحولنا اكثر الى الشمال بجانب طريق حاصبيا متابعين صعودنا في اتجاه وادي الحاصباني العام. وصلنا اعلى المرتقى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين، فاطللنا على الصعيد المحروث، الواقع على حرف الجبل جنوبي حاصبيا. عبرنا هذه البقعة وكرومها. وبعد عشر دقائق كانت خلوات البياضة على مسافة قصيرة عن يسارنا [١]. من ثم نزلنا هابطاً منحدراً طويلاً أوصلنا الى الناحية العليا من حاصبيا. والساعة الخامسة والدقيقة العاشرة كنا في بيتنا، في منزل الارسالية.

١ راجع الصفحتين ٣٨١ و ٣٨٢ من الجزء الثالث للمؤلف.

الارتفاعات المسجلة

سجل الدكتور دي فوريست ، بميزان ضغط الهواء منذ وقت قريب ، ارتفاع بعض الامكنة التي مررنا بهـا اليوم ، وهي كما يأتي[1] :

	اقدام انكليزية
السهل عند زاوية جبل الشيخ الجنوبية الغربية	٨٥٥
جسر نهر سرّيب	١٢٣٧
راشيا الفخار	٢٤٧٥
الطريق الى الشمال الشرقي من راشيا الفخار	٢٥٥٤
الهبارية	٢٢٦١
سفح المرتقى الى عين جرفا	١٧٢١
عين جرفا	٢٣٧٤
الطريق بالقرب من خلوات البياضة	٢٧١١
القصر في حاصبيا	٢١٦٠

ومن هذا يظهر انه من سفح اكمة عين جرفا صعدنا تسعماية وتسعين قدمـاً في مدة ثلاثين دقيقة ، ثم هبطنا خمسماية واحدى وخمسين قدماً الى حاصبيا في مدة خمس عشرة دقيقة.

السبت والاحد ، ٢٩ و ٣٠ ايار . — مكثنا في حاصبيا وتمتعنا براحة وطمأنينة يومين متواصلين . وكان لي الحظ بحضور الصلاة العمومية التي اقيمت يوم الاحـد كالعادة.

١ راجع المجلد الثالث للمؤلف ، ص ٣٨٣ .

بين حاصبيا والكوة

ثلاث طرقات الى دمشق . الضرائب على البروتستانت . طلب الانضمام الى البروتستانتية . الضهر . يحمر . معصرة لنبيذ .

تتعدد الطرقات التي تؤدي من حاصبيا الى دمشق . ولكن اقصرها تلك التي تصعد بالقرب من شويا ، وتسير عبر الجبل الى جنوبي راشيا ، وهي طريق صيفية[1] . والطريق الثانية تعبر الاكمة الواقعة شمالي حاصبيا ، وتمر في ميس والكفير الى راشيا . والطريق الثالثة تنضم الى طريق صيدا الكبيرة عند ينبوع الحاصباني ، وتتابع صعداً في الوادي ، فتعرج على راشيا او تتابع سيرها حتى المحيدثة ، ومن هناك تصعد الجبل الشرقي مارة في وادي عرب والبقاع . فالطريقان الاوليان تصلان الى دمشق بطريق قطنا . وتوجد شعبة يقل السفر عليها تسير من راشيا الى ديماس ، وتنضم الى الطريق الآتية من بيروت بالقرب من خان ميسلون الخرِب .

قررنا ان نسير على طريق دائرية غير الطرق الثلاث المذكورة اعلاه رغبة منا في زيارة عدة اماكن لها اهميتها ، فنتحول اولاً الى الكوّة او الجسر الطبيعي فوق الليطاني .

الاثنين ٣١ ايار . — نحن الآن على اتم الاستعداد للسفر باكراً .

١ راجع ص ٣٨٣ من المجلد الثالث للمؤلف .

سيظل المستر تومسون برفقتي ، وكذلك المستر ورتبات الذي قرر ان يزور دمشق لاول مرة .

انضم الينا ناصيف ، وهو وكيل الطائفة البروتستانتية في حاصبيا ، ومضطر للذهاب الى دمشق لقضاء بعض الاعمال المتعلقة بالطائفة . كان الامير قد رفض السماح للبروتستانت بدفع ما يصيبهم من الضرائب ، الا كاعضاء في الكنيسة الارثوذكسية . وهو تدبير مخالف للقانون صراحة ، ومناقض للعرف المتبع في اي مكان آخر. وهذه المخالفة ، يرتكبها الامير ، لا يمكن الاعتراض عليها ، الا بالالتجاء الى الحكومة بدمشق . وقد جاءنا الكثيرون يظهرون رغبتهم بالانضمام الى البروتستانتية ، ويطلبون نصيحة المستر تومسون . كل هذه الامور اخرتنا عن السفر باكراً .

ارسلنا البغالين ليكونوا بانتظارنا في النبي صفا . تركنا البيت الساعة الثامنة فتسلقنا الاكمة الشمالية ، فاشرفنا من عل على منظر البلدة الجميل وراءنا . اتجاهنا الان شمالاً ٢٥ درجة غرباً . نزلنا الى مضيق وادي التيم فوصلناه الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين . سرنا عشر دقائق نزولاً في مجراه الجاف باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي ، ثم عبرناه في نقطة يرشح فيها ماء قليل من بين الحجارة . بدأنا نصعد المرتقى الطويل في سلسلة الجبال الغربية باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي تقريباً ، فاذا عن يسارنا ، غربي الينبوع الكبير تماماً ، ينبوع عين التنورة الصغير ، وهو يروي بقعة من الجنائن والبساتين المحوطة تخص امراء حاصبيا . بعد خمس عشرة دقيقة من متابعة الصعود ، كان عن يميننا ينبوع آخر شبيه بذاك ، يسقي بقعة تسمى عين البارده . عطفنا قليلاً الى اليسار ، ودرنا

صعداً حول تل بارز ، فوصلنا ظاهر سلسلة الجبال الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة .

هذه السلسلة الجبلية تسمى الضهر . اتجاهها شمالي كوكبا ، من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي تقريباً ، وتقع وحدها بين وادي التيم وهوة الليطاني . وتتابع اتجاهها هذا ، على خط مستقيم تقريباً ، الى الشمال حتى المحيدثة . ثم تتحول جنوبي كوكبا الى اتجـاه بين الجنوب والجنوب الغربي او جنوبـاً بغرب ، فتصبح مرج عيون كلها بينها وبين الليطاني . وهذا الاقليم ، بجـداوله واوديته ، وسلاسل جباله ، وكل ما فيه ينخفض بسرعة زائدة باتجاه الجنوب. نحن الان على اعلى نقطة في سلسلة الضهر هذه التي ترتفع اكثر باتجاه الشمال وربما ليست اكثر ارتفاعاً في اية نقطة منها . من هذه النقطة التي نحن عليها فوق الوادي ، ومن هذا الارتفاع تمكن رؤية حاصبيا من مسافة قصية كما اشرنا سابقاً[١] . توقفنا هنا خمس دقائق للراحة[٢].

تحولنا الان الى الشمال الشرقي ، فسرنا ساعة بجانب ذروة سلسلة الجبـل نمرّ تارة فوق بعض القمم المنخفضة وطوراً ندور حول البعض الاخر . وهذه الطريق هي احدى الطرق المؤدية من الحولة الى البقاع . الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنا

١ راجع ص ٣٨١ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ المواقع الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة عن الحرف المسمى الضهر : الكفير ٧٨ درجة ونصف الدرجة . ميمس ٨٤ درجة . اعلى نقطة في جبل الشيخ ٩٤ درجة . شويا ١١٦ درجة . حاصبيا ١٢٣ درجة . البياضة ١٥١ درجة . راشيا الفخار ٩٧٧ درجة. هوة نهر الاردن تحت الحولة ١٩٠ درجة . كوكبا ٢٢٧ درجة . قلعة الشقيف ٢٣٦ درجة .

الى بئر تسمى بير الضهر . اصباب سلسلة الجبل على الجانبين عالية ومنحدرة (الجانب الشرقي اكثر انحداراً) وهي طباشيرية ناعمة . والقسم الكبير منها ارض زراعية تقل فيهـــا الاخاديد والحروف الصخرية . تمتعنا في سيرنا بجانب هـذه الذروة بمنظر جبل الشيخ منبسطاً عن يميننا ، يكلل اعاليه تاج جليدي ، وتغمر اسفله كتل مظلمة من الصخور الكلسية ، وتقاطعه اخاديد كثيرة تنحدر من جوانبه المرتفعة الى الحاصباني . تبتـدىء سلسلة الجبل الغربيـــة بالانحدار شمالاً ، من تحت اعلى نقطة ، فتهبط باتجاه راشيا حتى تصير على مساواة الآكام وحروف الجبال المجاورة . ويتابع وادي التيم تضيّقه على طول هذه المسافة وتحجبه آكام منخفضة ، ولكنه في الشمال ينفرج ثانياً عن حوض ارض متموج يبلغ عدة اميـال طولاً ، ونحو ميلين عرضاً ، ينساب بين التلال الشرقية .

اطلت عن يسارنا من وراء وادي الليطاني وهوته ، اعلى سلسلة في لبنان او عموده الفقري ، كأنها جدار عال متلاصق غير منقطع . وهي من هذه الناحية ذات منحدرات كثيرة ، وتظهر كأنهـا لا تتجاوز نصف هذا الارتفاع ، اذا نظر اليها من الغرب ، حيث الجبل يتصاعد انجاداً متتابعة . وتبان منحدراته من هنا مظلمة ، وبعض نواحيها حرجية تقاطعهـــا الاخاديد . وكذلك توم نيحا (توأمتا نيحا) ، وهما هرمان شامخان مرأسان يظهران كأنهما متصلان بهذه السلسلة العالية ، ولكن الخط الفاصل بينهما يبعد قليلاً الى الغرب . تمتد منحدراتها الواقعة الى هـــذه الجهة ، حتى الوادي الشرقي . والسلسلة الرئيسية تمتد اكثر الى الجنوب باسم جبل الريحان . في جهتها الشمالية بقعتان او ثلاث ، او فجوات منخفضة ، تمر فيها

الطرق . وبالقرب منا ، بجانب سفح هذه السلسلة الرئيسية ، يمتد خط من الآكام المنخفضة ، فتظهر كأنها سلاسل جبال هزيلة ، مرأسة ، بعض نواحيها عاشب يحتفظ باخضراره ، وهي بارتفاع الضهر حيث كنا سائرين منذ هنيهة . ووراء هذه الآكام ، تجري شعبة شمالية من وادي صفصاف باتجاه الشمال الشرقي الى الليطاني . فتنفذ من شقاق خط الآكام تجاه الكوة تقريباً . والآكام الواقعة على مسافة ابعد الى الشمال ، اكثر انخفاضاً ، ووراءها ايضاً واد آخر يجري باتجاه الشمال الشرقي الى الليطاني . في هذا الوادي تقع قرية مشغرة الكبيرة ، تحيط بها الاشجار والجنائن [١] .

رأينا ، سابقاً [٢] ، ان نتوءاً متسعاً منخفضاً يبرز من سفح لبنان شمالي برغز تماماً ، ويمتد عبر وادي الليطاني حتى سلسلة الجبل الشرقية . وسط هذا النتوء العريض ، يشق النهر مجراه في هوته العميقة الضيقة العمودية تقريباً . وقد رأينا القسم الاسفل منها بالقرب من برغز . الى شمال هذا البروز بقعة اكثر انخفاضاً منه ، او حوض ارض ،

١ يقول ابو الفدا ان مدينة مشغرة من ابهج المدن في البلاد ، وهي واقعة في واد تجمله الاشجار وجداول المياه . راجع :

Tab. Syr. ed. Kohler, p. 93.

في العام ١١٧٦ م ذهب الملك بولدوين الرابع بنزهة من صيدا الى البقاع ، فوصل اولا الى ميسارا Messara اي مشغرة . Will. Tyr. 21. 11.

وذكرت مشغرة ايضاً في اواخر الحروب الصليبية ، في القرن الثالث عشر . راجع :

Wilken Gesch. der Kr. VI. p. 155, n.

٢ راجع الصفحتين ٣٨٥ و ٣٠٦ من المجلد الثالث للمؤلف . في العام ١٨٤٤ توغل القس الدكتور سمث في هذا الاقليم منقباً باحثاً ، وقد استندت الى يومياته المخطوطة في ما كتبته .

بعضه يصلح للزراعة . في هذه الناحية تقع قرية قليا ، المتوالية ، على حافة الهوة الشرقية ، والهوة هنا عميقة وضيقة . وعلى الحافة المقابلة تقع قرية اخرى صغيرة تدعى لُسه [1] . يتمكن سكان هاتين القريتين من التخاطب مع بعضهم عبر الهوة . وبالرغم من انحدار الضفتين فقد اوجدوا طريقاً للمشاة على كلا الجانبين . والى شمالي هذا الحوض نتوء اكثر ارتفاعاً واعرض ، يبرز من سفح لبنان عبر الوادي . في وسط هذا النتوء يشق النهر مجراه بهوة تشبه الهوة المذكورة سابقاً ، ولكنها اعمق . على هذه السلسلة الجبلية العريضة تقع قرية يُحمر على الحافة الشرقية من الهوة ، وتقع الكوّة في الهوة وراءها .

وسط هذين النتوئين العريضين وحوض الارض الواقع بينهما حتى برغز نزولاً ، يجري النهر بين ضفتين منحدرتين يختلف ارتفاعها من مئة الى الف قدم . تتميز هذه الهوة بانها على طول مجراها تقريباً لا تنخفض الارض قرب ضفافها ولا تختلف التموجات السطحية على الجانبين ، حتى اذا غابت الهوة عن النظر ، لا يرتاب الناظر بوجود بقعة سطحها متتابع غير منقطع .

الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة تحولنا من بير الضهر الى اليسار باتجاه الشمال تقريباً الى يحمر . انحدرنا عرضاً وتدريجاً بجانب المنحدر الغربي ، وعبرنا عدة اخاديد تجري الى الليطاني . جنوبي قرية يحمر تماماً ، مضيق بعيد الغور ، شق ضفته اليسارية واد قصير . صعدنا منه فوصلنا يحمر الساعة الحادية عشرة والدقيقة

١ هكذا في الاصل ، وهي قرية لوسيا في البقاع . — المعرب .

الثلاثين . تقع بحمر بين الصخور في نقطة على شفير الهوة . سكانها متاولة . هنا معصرة للنبيذ محفورة في الصخر . قد تكون هذه المعصرة قديمة ، وربما كانت ضفاف الهوة في هذا المكان اكثر ارتفاعاً منها في اي مكان آخر ، فقد قدّرنا ان العمق لا يقل عن الف قدم . والصخر هنا اقل تلازاً منه في اسفل الجدول . وفي عدة اماكن منه متآكل او منزلق الى الاسفل . فاصبح اعلى الهوة متسعاً واختلف اسفلها بين السعة والضيق . والهوة هنا اعمق واضيق منها قرب بلاط . يندفع النهر الفضي المزبد في بطنها من منحدر الى آخر ، ويزدان بازهار الدفلى المنتشرة على جانبيه .

الكوة

كهوف ومغائر طبيعية . القياسات المسجلة . وصف الجسر والهوة . جسر طبيعي .

تابعنا سيرنا شمالاً حتى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ، ثم بدأنا نهبط في الهوة لنصل الى الكوة .

هنا تنبسط الارض المجاورة بقعةً مفتوحة صخرية ، بعض اجزائها منحدرة ، ولكنها محروثة ، وتحتفظ بعض اقسامها باخضرارها . تتكفىء سلسلة الجبل الشرقية في عطفة نصف دائرية تقريباً . هنا واد صغير يشق طريقه قفزاً الى النهر تحته . بدأنا النزول في هذا الوادي الصغير القافز ، وما عتمنا ان عطفنا الى اليسار ، ودرنا حول الشاهق الصخري ، ثم انحدرنا عرضاً في الاحدور باتجاه الجنوب الغربي ، فوصلنا الكوة في اسفله الساعة

الثانية عشرة . كان الطريق الذي هبطناه منحدراً ، وفي بعض الاماكن منه كنا نسير على شفير الاحدور . ولكنه ليس شاقاً الا في مكان واحد حيث الصخور زلقة ، فاضطررنا الى الترجل في نزولنا . ولكنا امتطينا خيولنا طيلة الطريق في رجوعنا . هذه الطريق عامة ومنتظمة ، تمر فوق الكوة ، صعداً الى لبنان ، وتتابع الى جزين وغيرها ، ولكن يندر السفر عليها . بعد ان برحنا اعلى الضفة ، رأينا جماعة نازلة من الجبل الى الجسر بطريقها الى دمشق كما عرفنا فيما بعد .

اما منظر الهوة الطبيعي فهو قفر للغاية وجذاب وفخم . واذا اطل النازل على النهر البعيد تحته ، يرى كهوفاً فسيحة وقناطر في جدار الصخور المقابلة ، ويرى فوقها مغاور بعضها صناعية ، يقال انها كانت سابقاً ملجأ للصوص . عندما تستقر اقدام المسافر في اسفل الهوة يرى نفسه مسجوناً ضمن جدرانها العمودية المسننة التي ترتفع من اربعماية قدم الى خمسماية فوق الجسر . في الازمنة القديمة تساقطت الصخور من فوق الى النهر ، فضيقت مجراه ، وفي بعض الاماكن حجبته بكامله . وعلى مرور الزمن تراكمت الاتربة وخلافها على هذه الصخور ، فكوّنت جسراً عريضاً فوق مجرى ضيق متقلص . اما في الجهة الشمالية فلم يكن تراكم الاتربة كافياً لتغطية الصخور ، فبقيت فجوة ضيقة ومسننة نبتت فيها اشجار التين وغيرها من الاشجار والانجم . عرض الطريق في منتصف الجسر عشر اقدام وهو على شكل رصيف . والى جنوبي هذه الطريق سطح منخفض عنها عرضه حوالى خمس عشرة قدماً او عشرين . والقياسات التالية سجلها المستر تومسون سابقاً :

	اقدام
عرض المجرى	٢٢
عرض الجسر كله	٦٨
عرض الطريق	١٠
ارتفاع الطريق فوق الماء	١٠٥
سمك الجسر او القنطرة	٩٠

اما فتحة الجسر في الشمال حيث يدخل النهر فهي مغطاة ومحجوبة بالاشجار والعليق ، وكذلك في الجنوب حيث يخرج النهر من تحت الجسر . واذا تأمل الناظر في هذه الفتحة من نقطة ما على الضفة اليسرى تحت الجسر ، يرى كأن الصخور تكوّن زاوية فوق المجرى على شكل سطح بيت هولاندي حاد . وهذه ايضاً اكثرها مغطى باشجار التين . والنهر يتساقط ، ويرمي ، ويزبد ، ويهدر فوق الصخور في مجراه المنحدر المسنن في ابدع شكل تصويري جذاب . اما جدران الهوة العالية فعارية تقريباً ، ولكن في الاسفل ، بالقرب من سطح الماء ، تكثر اشجار التين والدوالي ، تخالطها ازهار الدفل الزاهية .

يصعب جداً الوصول الى الماء تحت الجسر ، حيث تبدو الهوة بابهى اشكالها الخيالية وافخمها . ولبلوغ هذه الغاية يجب على الراغب في ذلك ان يتسلق مسافة كبيرة على الجهة الغربية ، ويمر تحت صخور ضخمة من الطبقات المطفّئة البارزة نفسها . والصخور هذه مائلة الى الجنوب ، وقد كونت ببروزها وانحنائها كهفاً كبيراً .

يتعرض المجازف لبعض الاخطار حتى يصل الى الماء اذ تعترض سبيل تقدمه صخور عمودية . هنا يتقلص مجرى النهر الى اثنتي عشرة

قدماً او خمس عشرة ، ويندفع فيه الماء بتهور عظيم . تحت هذه النقطة تماماً ، سقط صخر عبر المجرى الضيق فكاد يملأه ، وبرز قبالته من الجهة الشرقية صخر آخر على مسافة لا تزيد عن قدمين او ثلاث منه ، فتكوّن من الصخرين جسر طبيعي آخر يكاد طرفاه يتصلان . انه منظر ساحر حقاً يملأ العين روعة وجلالاً .

تلك هي الكوة التي ظلت زمناً مجهولة من السياح حتى زارها الدكتور سمث في العام ١٨٤٤ [١] .

١ راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٩، ص ٣٧٣ . وزار الكوة بعض من جماعة اللفتنت لينتش في العام ١٨٤٨ . راجع حديثهم عنها في الصفحة ٤٨٠ في Narrative . وزارها ايضاً غراف ف. شليفن Graf v. Schlieffen. راجع: Ritter, XVII. pp. 333, 335.

بين الكوة والنبي صفا

زراعة الكروم . سحمر . عيتنيت . جسر القرعون . قرية القرعون . مرج شميسة . لبايا .

الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة تركنا الحاجب الواقع فوق الكوة ورجعنا ادراجنا عشر دقائق الى يحمر ، ثم عطفنا الى اليسار عبر الحقول تحاشياً من الدوران حول زاوية في الطريق، للوصول الى طريق تؤدي الى النبي صفا . اكثر الحقول التي مررنا بها زرعت كروماً فحسب . لم تكن سوق الجفان مثبتة على مساميك ، ولكنها ملقاة بترتيب على الارض او مساقة على جوانب صخور كبيرة او ممددة فوقها . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين وصلنا الطريق المذكورة اعلاه على مسافة نصف ميل الى الشمال الشرقي من يحمر .

هنا بدت لنا سحمر ، وهي قرية اخرى يسكنها متاولة ، واقعة على ضفة النهر اليسرى ، على مسافة ساعة فوقنا . على الطريق شجرتان او ثلاث تدل على اتجاه مشغرة ، وكذلك بدت لنا عيتنيث ، وهي قرية واقعة شمالي مشغرة ، على السفح الشرقي من لبنان [1] .

١ المواقع الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين : سحمر ٢٧ درجة . يحمر ٢١٠ درجات . قمة نيحا الجنوبية ٢٩٦ درجة . اشجار مشغرة ٣٤٠ درجة . عيتنيث شمالا . سجلت هذه المواقع (لعل المؤلف يقصد عيتنيث في محافظة البقاع . — المعرب .)

على الجهة المقابلة ، وراء الليطاني ، فم وادي الصفصاف ، على ارتفاع عظيم جنوبي الطريق الصاعدة من الكوة . على مسافة قصيرة منا شمالاً ، تبتدىء الارض بالهبوط . وهذا المكان هو القسم الشمالي من البروز العريض الذي يعبر الليطاني في هـذه النقطة . الارض في اسفل البروز اكثر انخفاضاً ، ولكنها ترتفع تدريجـاً باتجاه الشمال . البقعة الطلقة ، في الشرق ، تمتد بعض المسافة . وسلسلة الجبل عن يميننا تتحول تدريجاً فتقرب من النهر فوق سحمر تماماً . تواصل هوة النهر امتدادها الى قرب سحمر ، ولكنها هنا اقل عمقاً . يقع جسر القرعون على مسافة ساعة كاملة فوق سحمر ، وهو يعـبر الليطاني على ست قناطر مـن الحجر . ضفته هنـا رسابية . وقد اكتسب الجسر اسمه من قرية القرعون التي تبعد عنه نحواً مـن نصف ميل الى الشرق . تمر الطريق من صيدا الى دمشق فوق هذا الجسر ، وهي الطريق التي سار عليهـا موندريل في العام ١٦٩٧ م . تمر الطريق منحدرة الى مشغرة ، فجب جنـين ، وعيثي ، ثم تصعد انتي لبنان وتنضم الى الطريق الآتية مـن المحيدثة ، مارة بالبقاع قبل الوصول الى ديماس [1] .

في العام ١٨٤٤ . راجع، عن مشغرة ، الصفحة ٤٢١ من المجلد الثالث للمؤلف .

١ راجع موندريل، من ٢٤ الى ٢٦ نيسان .

يذكر موندريل في عبوره انتي لبنان نهيرا صغيراً اسمه«اين ينتلو Ayn Yentloe» ربما لانه آت من قرية ينطا حيث الينبوع قريب منها .

راجع ج.ل. بورتر J. L. Porter في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤، ص ٤٢ .

سار بركهاردت على الطريق نفسها من جب جنين الى دمشق في العـام ١٨١٢ ،

تابعنا طريقنا متجهين شرقاً بشمال ، فصعدنا تدريجاً فوق الآكام وسلاسل الجبال المنخفضة ، وهي صخرية ومتقطعة ، وتملأ الفراغ باتجاه سلسلة الجبل الشرقية . ضللنا الطريق ، وسرنا على غير هدى في طريق لا منفذ لها . وبعد مشقة وعناء وصلنا الى رأس سلسلة الضهر نحو الساعة الثالثة والدقيقة العشرين ، فالفيناه عريضاً متسعاً . عند هذه النقطة يبتدىء التشعب في الجبل فتتكون سلسلتان على مسافة قصيرة الى الشمال ، تضمان بينهما مرج شميسة الواقع في منخفض عن يسارنا ، وهو سهل او حوض ارض جميل يشبه الكأس ، تحيط به الآكام من سائر جهاته . تربته خصبة ومحروثة ، ولكنه غير مأهول . ينزح ماؤه في الشمال الغربي الى وادي مِشك الذي يجري الى الليطاني باتجاه الشمال ٦٥ درجة غرباً ، على مسافة نحو من نصف ساعة شمالي سحمر . تمتد من السهل الصغير صعداً عدة اودية صغيرة ، فيتجه واحد منها الى الشمال الشرقي ، وآخر شمالي كفرمشكي ، وهي قرية تشرف على وادي التيم ، ويمتد غيره جنوبي كفرمشكي باتجاه النبي صفا . اما الوادي الرئيسي فيصعد جنوبا في تشعب السلسلة المذكورة . الى هذا الوادي الرئيسي تهبط الطريق من الجنوب وتسير على الضهر . بعد عبور السهل ، تصعد الطريق الى مجدل بلهيص الواقعة على قمة الاكمة الشمالية ، ثم تنزل الى كامد اللوز في سهل البقاع . تنضم اليها في المرج طريق اخرى تأتي من النبي صفا ، وطريق تنزل في وادي مشك حتى جسر القرعون . تقع مزرعة الشميسة الصغيرة التي سمي المرج باسمها ، على

والرحلة تستغرق يومين على القوافل . راجع رحلته ، ص ٢٠٨ .

الاكمة ، عن يسار فجوة في السهل ، يخرج منها وادي مشك .

تعود الارض الى الارتفاع شمالي مرج شميسة فتتخذ شكل بقعة مرتفعة عريضة ، غير مستوية ، تشغل كل الفضاء الواقع بين وادي التيم والليطاني – خلا سهل صغير بجانب النهر – ، وتمتد شمالاً حتى وادي فلوج تقريباً . تقع مجدل بلهيص على القسم الجنوبي الشرقي من البقعة المذكورة وتشرف على المرج . اما من الغرب فتبدو جهتها الامامية عريضة ، ولكنها عارية من المناظر . تقع قرى القرعون وبعلولا ولالا [1] وجب جنين على سفح هذه الضفة من الجنوب الى الشمال . القرعون وجب جنين قريتان كبيرتان واقعتان في الاسفل على طرف السهل ، وبعلولا ولالا في الجهة العليا . اما جب جنين فهي عند الزاوية الشمالية الغربية ، وبالقرب منها جسر على الليطاني [2] . يمتد من هذه الزاوية خط من الآكام المنخفضة عبر الليطاني حتى سفح لبنان . يشق النهر مجراه وسط هذه الآكام بهوة قليلة العمق ، تشبه تلك التي يجري فيها على مسافة قصيرة تحتها . هذه الآكام ، مع بقعة الارض العريضة العالية المذكورة سابقاً هي الحد الجنوبي لسهل البقاع . تقع كامد اللوز ، التي كانت سابقاً ، بلداً كبيراً ، على بروز من البقاع يمتد صعداً الى الجنوب الشرقي بين جب جنين ووادي فلوج [3] .

الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين عبرنا الوادي والطريق

١ لعل المؤلف يقصد بعلول ولالي . – المعرب .

٢ راجع رحلة بركهاردت في سوريا ، ص ٢٠٧ .

٣ يقول ابو الفدا ان « مدينة » كامد كانت قبلا عاصمة هذا الاقليم . راجع : Tab. Syr. ed. Kohler, p. 93.

الواقع في اول المفرق [1] . ثم تسلقنا صفاً من الصخور امامنا ، فوصلنا الى رأس حرف الجبل في اقصى الشرق الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين . يحتفظ هذا الجزء من الجبل بعرضه وتكثر الصخور الكبيرة المنتشرة على سطحه . عبرنا هذا الحرف فوصلنا الى لبّايا الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وهي قرية صغيرة على الحاجب الشرقي المشرف على وادي التيم [2] . في لبايا ناووس قديم ضخم . بعد توقفنا خمس دقائق ، تابعنا السير بجانب الحاجب الشرقي لهذا الحرف الصخري ، باتجاه الشمال الشرقي ، فوصلنا الى النبي صفا الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين . تقع النبي صفا في فجوة على هذا الحرف ، بين وادي التيم ومرج شميسة ، ولكنها مع ذلك اكثر ارتفاعاً من وادي التيم . هنا التقينا بالبغالين فضربنا خيمتنا في حقل تحت القرية . بالقرب من خيمتنا ناووسان كبيران ، الواحد بجانب الآخر ، غطاء احدهما قائم على حرفه . اسم القرية العربي الخاص هو ثلثاثا (Thelthatha) كما سجلناه في لوائحنا السابقة . اما النبي صفا ، فالمفهوم منه انه اسم ولي .

١ المواقع الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين : مجرى الوادي ٤٦ درجة . مجدل بلهيص ٣٦ درجة . قمة نيحا الجنوبية ٢٩٣ درجة .

٢ المواقع من لبايا في العام ١٨٤٤ : بكيفا ٨٥ درجة . بيت لهيا ٩٠ درجة . قنابة ١٠٩ درجات . الضنية ١٣٧ درجة . سفينة ١٥٩ درجة . عين عطا ١٣٨ درجة . خلوة الكفير ١٧٤ درجة ونصف الدرجة . ميمس ١٩٤ درجة . شويا ١٩٠ درجة ونصف الدرجة . خلوات البياضة ٢٠٨ درجات . الخيام ٢١٧ درجة .

هيكل قديم

المناظر من النبي صفا .

اما الشيء الهام الذي استرعى انتباهنا وجذب انظارنا اليه في النبي صفا ، فهو هيكل قديم لم تبقِ منه الايام سوى آثار دارسة . استقر الهيكل في هذا المكان يواجه الشرق قبالة حرمون رأساً ، ويفرض مرآه فرضاً عليه . هذا الهيكل اكبر من الهيكل الذي شاهدناه في الهبارية ، ولكن حجارته اصغر من حجارة ذاك وغير منحرفة الزوايا . سمك الحجارة ثلاث اقدام . اما الحجارة المنضدة فوق رأس العمود حتى الطنف ، فأخف من تلك ، والمثلث الذي يعلو البناء اكثر اتقانا ، وشكل البناء اجمالاً ابهى منه واجمل . ولكنه في حالة تصدع وتهدم ، ولم يبق قائماً منه سوى قسم من الحائط الشمالي ، وكذلك الزاوية الشمالية الشرقية ، وعمدها المربعة ، والحجارة المنضدة فوق رؤوس العمد ، وقسم من المثلث الذي يعلو البناء . اما منظرها هذا ، قائمةً وحدها ، شامخة فوق سائر اطلال الهيكل ، فحري بالاعتبار ، وجدير بلوحة فنان وريشته . تحت المذبح الواقع في الطرف الغربي ، سرداب يُنزل اليه بدرج . في الجهة الشرقية ، عمدٌ ربما كانت تسند رواقاً عفت آثاره . يبدو الجدار مؤلفاً من ثلاثة عشر مدماكاً ، سمك المدماك منها ثلاث اقدام . الحجارة فوق رؤوس العمد اربع اقدام ونصف القدم . والقياسات الآتية سجلها المستر تومسون في زيارة سابقة :

	اقدام
الطول من الشرق الى الغرب	٧٢ ونصف

العرض من الشمال الى الجنوب ٣٥
ارتفاع الحائط ٤٣ ونصف
قطر العمد ٠٣

اذا اطل المرء من النبي صفا على حوض او سهل وادي التيم الاعلى ، يراه ممتداً الى مسافة بعيدة باتجاه بين الشمال والشمال الشرقي . اما موقع اعلى قمة في جبل الشيخ من النبي صفا فهو الى الجنوب الشرقي بجنوب ، ولكن ارتفاعه لا يبان من هنا كما يظهر من اماكن اخرى . ولم يظهر منه سوى قسم من سلسلته الرئيسية . اما الكتل السفلى فتحجبها السلاسل الاقل ارتفاعاً عند سفحه . وترى السلسلة الغربية الكبيرة منحدرة باتجاه الشمال الشرقي . يخرج من ورائه واد ، ثم يدور بسرعة حول طرفه الشمالي ويتحول الى الجنوب الغربي الى وادي التيم . شمالي هذا الوادي تماماً ينتهي حرفا جبل او ثلاثة حروف تمتد باتجاه بين الشرق والشمال الشرقي ، تقع بينها مدينة راشيا ولكنها لا ترى من هنا . ويبدو ان هذه الحروف تمتد معارضة لمنحدرات انتي لبنان الغربية من اليسار ، وتظهر متصلة بها حتى هذه المسافة فقط . تمتد سلسلة من اعالي جبل الشيخ نزولاً ، باتجاه بين الشرق والشمال الشرقي ، وتظهر انها لا تكاد تتصل مطلقاً بانتي لبنان ، بل تهبط باتجاه سهل دمشق .

بين النبي صفا وراشيا

تل التينة او الزيتونة . حوادث العام ١٨٤٥ . المحيدثة .
ضهر الاحمر . سلطان يعقوب . مجدل عنجر . مواقع
بعض القرى . خربة روحا . بكا . مدوخا . عيثي .
حمارة . عقبة . كامد . عين عرب . ينطا .

الثلاثاء اول حزيران . — سرنا الساعة السابعة ، وجهتنا كفرقوق رأساً ، ومنها نتخير الطريق التي نسلكها الى دمشق كما تقضي ظروف الساعة . هبطنا الى حوض وادي التيم في صبب طويل منحدر ، فوصلنا طريق دمشق الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين الى القرب من ينبوع ماء وحوض . كان الى يميننا تل جميل يدعى تل التينة ، ويسميه البعض تل الزيتونة . هنا هاجم المسلمون والدروز مسيحيي حاصبيا ووادي التيم السفلى في اثناء فرارهم الى زحله في السنة ١٨٤٥ . الى جنوبي التل سهل جميل . وعلى مسافة الى الشمال ، انكشف بطن الوادي العريض عن تموج ، وعدم استواء ، تتخلله آكام متقطعة منخفضة ، مع ان الناظر اليه من فوق يراه كالسهل المستوي .

سرنا الآن نحو ساعة باتجاه الشمال الشرقي بشمال ، على موازاة الآكام الغربية . الساعة الثامنة والدقيقة العشرين كان عن يميننا مجرى ماء صغير جاف وبقعة ارض بركانية وراءه . نحن هنا مقابل كفرمشكي . تحولنا اكثر الى اليمين ، وعبرنا مجرى الماء ، وصعدنا

الى نجد فسيح مكوّن من الصخر البركاني الاسود . كان اتجاهنا الى الشمال الشرقي بشرق . الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين وصلنا الى حافة منحدر على جانب النجد الشرقي الذي يفضي الى الاخدود الرئيسي في الحوض العريض . على حافة المنحدر حقل منخفض . بعد خمس دقائق كنا عند مجرى الماء ، فصعدنا منـــه الى الضفة الشرقية . امامنا الوادي الفسيح يمتـد صعداً وراء المحيدثة ، باتجاه البقاع ، وعلى جانبه الغربي آكام منخفضة ، وقد بدت لنا منخفضة لان حوض الوادي في هذا المكان كثير الارتفاع . الاقليم كله مكشوف ومعرّض للريح ، واشجاره قليلة . من هنا نرى سلاسل الجبال القصيرة عن يميننا ، تمتد بين الشرق والشمال الشرقي بيننـا وبين جبل الشيخ ، وليس لها اي اتصال مباشر بانتي لبنان . لم نر من النبي صفا سوى اطرافها الغربية تبدو كأنها نتوءات من الجبل . من هنا نرى الشعب الكبير الهابط مـن وراء سلسلة جبل الشيخ الغربية ، يدور بسرعة الى الجنوب الغربي ويدخل السهل بعد ان تنضم اليه اخاديد اخرى من الشمال الشرقي .

لم يطرأ اقل تغيير على الاتجاه الذي كنا نسير فيه ، اي الشمال الشرقي بشرق . طوّفنا صعداً وتدريجاً بين آكام منخفضة ، ووصلنا الساعة التاسعة والدقيقة العشرين الى ينبوع صاف في سهل اكثر ارتفاعاً ، فكانت امامنا قرية ضهر الاحمر على مسافة نصف ميل . هنا بدت لنا بيوت راشيا ، على مسافة ميل ونصف الى اليمين ، على الطرف الشرقي من حرف جبل يرتفع فوق السهل ، يقع جنوباً ٢٥ درجة شرقاً . تقع المحيدثة من هنا شمالاً ١٨ درجة غرباً على وجه التقريب .

والى القارىء المعلومات الآتية التي تمكنت من الحصول عليها، وهي تتصل بالقسم الشمالي من وادي التيم، وعلاقة هذا الوادي بالبقاع [1].

المحيدثة، وتلفظ عادة المحيتة، وهي قرية كبيرة سكانها يونان مسيحيون [2] ودروز، تقوم على نتوء من خط الآكام الغربية، على نقطة تحول هذه الآكام رأساً الى الشمال، فتكون زاوية عظيمة [3]. يتابع السهل امتداده الى الشمال، فتصبح هذه الاكام حده الغربي، وسفح انتي لبنان حده الشرقي. عرضه ثلاثة ارباع الميل. يمتد خط الآكام الغربي على موازاة انتي لبنان بدون تقطع تقريباً، ثم ترتفع في مكان ما منها الى قمة عالية، تقع عليها قرية السلطان يعقوب. ثم تنحدر هذه الآكام تدريجاً حتى تضيع بالسهل الكبير الواقع على مسافة قصيرة شمالي مجدل عنجر. اما الفضاء الواقع بين خط الآكام هذا وانتي لبنان، فيحتفظ بشكله الشبيه بالوادي، حتى يلتقي بالبقاع عند نبع عنجر. ولكن القسم الاعلى من وادي التيم، ومقلب الماء الخاص به، هو على مسافة نحو ساعة شمالي المحيدثة ونصف ساعة جنوبي عين (او نبع) فلوج.

١ في العام ١٨٤٤ زار الدكتور سمث هذا الاقليم ودقق في البحث فيه حتى عين فلوج. وها ملاحظاته امامي، وانا مدين لها كثيراً في ما كتبته عن شمالي وادي التيم وعلاقته بالبقاع.

٢ يعني المؤلف الروم الارثوذكس. — المعرب.

٣ المواقع من المحيدثة في العام ١٨٤٤ : كفرمشكي ٢٢٧ درجة. كوكبا ابو عربة ٢٢٧ درجة. قنابة ٢٠٨ درجات. عين عطا ١٩٨ درجة. بيت لهيا ١٩٢ درجة. تنورة ١٩٠ درجة. راشيا ١٦١ درجة. ضهر الاحمر ١٤٥ درجة. كفرديتس (لعل المؤلف يقصد كفردنيس. — المعرب.) ١٠٠ درجة. خربة روحا ٧٢ درجة. مدوخا ٥٢ درجة.

وبعدئذ عبرتُ القسم الشمالي من هذا الوادي المتوسط، عند مجدل عنجر، فوجدته ينحدر الى فوق باتجاه الجنوب [1]. يتتابع هذا الارتفاع حتى السلطان يعقوب حيث بطن الوادي يساوي ارتفاع رأس وادي التيم الابعد الى الجنوب. اما بقعة الارض المتداخلة فيبلغ طولها نحو الساعة، وهي منخفضة وتشكل حوض ارض عميقاً في الوادي صالحاً للزراعة، مصرفه الى البقاع من فجوة في الآكام الغربية. اسم هذا المنفذ او المصرف وادي فلوج. تقع عين فلوج على جانب الوادي الجنوبي وهي ينبوع جميل رائق [2]. اما المسافة وسط الآكام فهي نحو نصف ميل.

والى القارىء مسافات الامكنة الآتية الواقعة من النبي صفا، شمالاً، على خط الآكام الغربي، او ذات صلة به [3]:

من النبي صفا:

كفرمشكي	ساعة
كوكبا ابو عربة	
المحيدثة (من كفرمشكي)	ساعة ونصف

١ راجع الثامن من حزيران في المجلد الثالث للمؤلف.

٢ المواقع من عين فلوج في العام ١٨٤٤: سلطان يعقوب ٣١ درجة. حمارة ٥١ درجة ونصف الدرجة. مصر حماره ٥٩ درجة. بكا ١٠٦ درجات.

٣ المسافات مأخوذة عن ملاحظات الدكتور سمث الخطية حتى عين فلوج (خلا كفرمشكي). اما المسافات الباقية فمأخوذة عن بركهاردت، رحلة في سوريا، ص ٣٢. ومن المقابلة بين المسافات يتبين لنا مما ذكره بركهاردت عن الامبيت el-Embeite والاحيمت el-Heimte انهما اسمان لمكان واحد ويطابقان المحيثة. ومع ذلك فالمسافات التي يذكرها هنا لا يوثق بها كثيراً. ورد هذا في تقريره عن رحلته الاولى، وهو دون ما تميزت به ملاحظاته فيما بعد من المتعة والدقة.

رافض

البيرة

مقلب الماء (من المحيدثة)　　ساعة

عين (او نبع) فلوج　　نصف ساعة

السلطان يعقوب　　«

عين الصويرة　　ساعة

مجدل عنجر　　نصف ساعة

على جهة الوادي الشرقية بجانب سفح انتي لبنان ، تقع القرى التالية :

خربة روحا : على ضفة وادي عرب الجنوبية عند دخوله السهل . موقعها من المحيتة شمالاً ٧٢ درجة شرقاً .

بَكّا : عالية على مرتفع في الجبل .

مدوخا : على منحدر الجبل في الناحية الشمالية الغربية من واد يبعد قليلاً شمالي بكا وهو ابعد شعب وادي التيم ، ينحدر من الشمال على ٧٥ درجة شرقاً .

عيثي : تجاه السلطان يعقوب ، على مسافة عشر دقائق صعداً و في واد عند دخوله السهل[1].

حمّارة : على بعد خمس وعشرين دقيقة الى الشمال . فوق حمّاره . على اكمة بارزة من الجبل الشرقي ، يقوم قصر قديم هو قصر حماره .

١ راجع ما كتبه دي فوريست في الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية ، المجلد الثالث، ص ٣٦٢ .

الصويرة : على مسافة ساعة جنوبي عنجر تجاه عين الصويرة.

جنوبي السلطان يعقوب تماماً ، توجد فجوة في الآكام او ظهر منخفض اسمه عقبة كامد . تمر وسط هذه الفجوة الطريق الآتية من كامد اللوز وجب جنين الى عيثي ، وهي جزء من الطريق الشمالية التي تسير بين صيدا ودمشق[1] .

تعبر طريق دمشق ، بعد مرورها بالمحيتة ، سهل وادي التيم عرضاً ثم تدخل فم وادي عرب . ابعد الى فوق على مسافة نصف ساعة توجد بقعة ارض اشبه بروضة طلقة ، ينز الماء من مواضع كثيرة فيها .

عين عرب : قرية كبيرة سمي الوادي باسمها . موقعها على الطرف الجنوبي من الروضة المذكورة . وتدل المطاحن العديدة في اسفلها على غزارة مائها في الشتاء . اعلى الى فوق يتغير اسم الوادي فيصير وادي بكا . تبعد قرية بكا الصغيرة ساعة فوق عين عرب وتقع على رأس سلسلة جبل صخرية في اعلى نقطة من الطريق حيث تعبر الجبل[2] . وهي مكشوفة من الغرب ، وليس ثمة ما يصد النظر او يحجب المنظر .

في بكا آثار قديمة ، منها اطلال هيكل يوناني صغير جدرانه قائمة جزئياً ، وقطع اعمدة ، وتاج كورنثي . وتقع بكا على مرتفع ، في اتجاه بين الشمال والشمال الشرقي من كفرقوق . وابعد قليلاً ،

١ راجع ص ٢٤ ؛ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ المواقع من بكا في العام ١٨٤٤ : سلطان يعقوب ٣١٩ درجة . مدوخا ٢٩٣ درجة . وادي فلوج ٢٩٣ درجة . المحدثية ، الاتجاه نحو ٢٥٠ درجة .

على مسافة نصف ميل شمالي الطريق، تقع قرية ينطا [1]. الارض حولها متقطعة، وغير منتظمة، وينزح ماؤها الى واد في الجنوب الغربي، يجري الى حوض كفرقوق.

لم يكن الوادي الكبير، الذي يُعتبر من تمديدات وادي التيم الى البقاع، معروفاً من السياح الافرنج حتى الآن. والفرنجي الوحيد الذي مر فيه هو بركهاردت [2]، ولكن وصفه ناقص. ومن لم يزر هذا الاقليم لا يتمكن من التعرف الى مميزاته بمجرد قراءة ما كتبه بركهاردت عنه. في العام ١٨٤٤ سار الدكتور سمث من الجنوب حتى عين فلوج. الطريق الكبيرة من دمشق الى بيروت تنفذ من انتي لبنان تجاه مجدل عنجر وتقطع القسم الاسفل هذا من الوادي الجانبي. وراء ينابيع عنجر، يرتفع خط من الآكام فيكوّن وادياً يمتد على جانب سفح انتي لبنان حتى بعلبك. في بعض اقسام هذا الوادي يجري الماء الى الجنوب، وفي البعض الآخر الى الشمال. وقد عبرت هذا الوادي طولاً [3].

يظهر مما تقدم ان سلسلة الجبل المتداخلة بين جبل الشيخ والقسم الجنوبي من لبنان وهي المعروفة بالضهر، ليست حَيداً بالمعنى الحقيقي، منفرجاً من انتي لبنان وممتداً بانحراف ليلتقي باحياد لبنان كما

١ قابل ذلك مع ما كتبه ج. ل. بورتر في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤، ص ٤٢ وما بعدها.

٢ قد يكون فورر فون هيمندورف Fürer von Heimendorf مر من هذا المكان في العام ١٥٦٦ م، ولكن هذا لا يظهر من حديثه في الصفحة ٢٨٠. راجع .Nürnb في العام ١٦٤٦.

٣ راجع التاسع من حزيران في المجلد الثالث للمؤلف.

وصفتها سابقاً [1]. والاصح ان يقال ان الضهر يبتدىء من خط الآكام التي تمتد مع بعض التقطع من بعلبك على موازاة سفح انتي لبنان، فتصير حرف جبل هو الضهر، عند رأس وادي التيم، واقعاً بين وادي التيم والليطاني، ثم على مسافة ابعد الى الجنوب يرتفع الى جبال حونين وصفد.

وتتابع الطريق سيرها من الينبوع حيث توقفنا، فتمر بضهر الاحمر رأساً الى كفرقوق، ومنها الى دمشق مارة بديماس. قررنا التحول الى راشيا التي كنا نراها من هنا.

١ راجع البحوث التوراتية .Bibl. Res، الطبعة الاولى، المجلد الثالث، ص ٣٤٤ و ٣٤٥ للمؤلف. (ان المؤلف يصحح هنا الوصف الجغرافي الذي ذكره سابقاً عن الحرف المسمى الضهر الذي يعترض بين جبل الشيخ والقسم الجنوبي من لبنان. — المعرب).

بين راشيا ورخله

قصر الامراء الشهابيين . مساحة راشيا . عدد سكانها .
ارتفاعها. المناظر منها. عيحا. هيكل عيحا القديم. كفرقوق.
اعمدة . نقوش يونانية .

تركنا الينبوع الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين ، وضربنا عبر السهل جنوباً ٢٥ درجة شرقـاً . وصلنا الى اسفل المنحدر الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين . بعد عشرين دقيقة كنا على قمته في الناحية الشرقية من المدينة .

تقع راشيا على الطرف الشرقي من حرف جبل يهبط فوراً الى نجد ضيق يعلو نحو ثمانمـاية قدم او الف فوق السهل الذي عبرناه . بني القسم الشرقي من المدينة على هذا النجد . اما بيوت القسم الغربي فترتفع الى رأس الحرف وتتجه الى الجنوب الغربي . والى جنوبي المدينة واد جميل . وفي اعلى البلد قصر الامراء ، وهم فرع من آل شهاب[١] .

راشيا هي عاصمة اقليم وادي التيم الاعلى . لا تزيد مساحتها على نصف مساحة حاصبيا . ويقدر عدد سكانها باربعة آلاف نفس . ولا يقل ارتفاعها عن اربعة آلاف قدم فوق سطح البحر . وهي تشرف

١ المواقع من راشيا : المحيدثة شمالا ١٩ درجة غرباً . كفرقوق شمالا ٦٠ درجة شرقاً .

على منظر فسيح شامل متنوع يمر امام الناظر تباعاً ، فلا يكاد النظر يمل من الاودية المرتفعة ، حتى تنفسح امامه السهول الخضراء المنبسطة ، فاذا لم تشبع فضوله ، تطل عليه سلاسل الجبال الآخذة برقاب بعضها من الغرب والشمال والشرق . وتطل عليه جبهة لبنان الشرقية بثلوجها الناصعة ، من تومات نيحا الى جبل صنين . اما ناحية انتي لبنان الغربية والسهل المجاور فتحجبها سلاسل جبال متداخلة بينها ، ولكن تُرى جلية ً الآكامُ والسهول المتوسطة بين السلسلتين الكبيرتين وقمم انتي لبنان الوعرة المشوشة وخطوطه . جبل الشيخ قريب جداً منا ، واعلى قممه المتوجة بالخطوط البراقة تقع جنوبي المدينة مباشرة . نحن هنا اقرب اليه من اي مكان آخر ، ولكن مركزنا المرتفع والحرف المنخفض الذي يفصلنا عن سفحه لا يسمح بتقدير ارتفاعه كما لو كنا في موضع آخر . اما الماء جنوبي المدينة ومن سائر جهات جبل الشيخ الشمالية الغربية والشمالية ، فينزح الى وادي التيم من مضيق عميق واقع الى الجنوب الغربي من راشيا . ويمر المجرى بين سفينة في الشرق وضنّيبة في الغرب ، ويصل الى الحاصباني قرب الينبوع الكبير . وهذه المجاري العليا كلها جافة الآن ، ولكن في الشتاء تتجمع فيها المياه بغزارة وتندفع بقوة وسرعة .

تمتد سلسلة جبل الشيخ الغربية المنخفضة التي ورد ذكرها مراراً في سياق كلامي ، من طرفه الشمالي قرب راشيا ، الى الطرف الجنوبي من حرمون قرب بانياس ، مسافة عشر ساعات او احدى عشرة ساعة او نحو ثلاثين ميلاً ، والانقطاع الوحيد فيه يحدثه وادي شبعا فحسب . تنزح مياه هذه الناحية الواقعة جنوبي شبعا الى وادي العسل ،

فتصب في الحولة قرب بانياس. وينزح جزء ابعد الى الشمال الى وادي شبعا. اما المياه الباقية في الجزء الاكثر بعداً الى الشمال فتجري في المضيق تحت راشيا. في اليوم الاخير من آب ١٨٥٢، تسلق القس بورتر J. L. Porter المقيم في دمشق جبل الشيخ من راشيا، وكانت ترافقه جماعة، وباتوا ليلتهم بالقرب من قمته[١]. يقول القس بورتر ان قمته العليا مكونة من ثلاث قمم منفصلة عن بعضها. قمتان منها في الشرق وواحدة في الغرب، ولكنها جد قريبة من بعضها، يراها الناظر اليها من اسفل الجبل كأنها قمة واحدة.

آثار قديمة

على القمة الجنوبية الشرقية من هذه القمم الثلاث آثار هامة. حول صخر ارتفاعه نحو خمس عشرة قدماً، اسس حائط مستدير، قطره ستون قدماً، بني بحجارة منحوتة نحتاً دقيقاً يدل مظهرها على استغراقهما في القدم. وسط هذه الدائرة، حفرة في الصخر المذكور عمقها ثماني اقدام، اعلاها مكشوف، لا اثر عليها للدقة.

١ راجع وصف المستر بورتر لهذه النزهة والمنظر من الجبل، في كتاب المكتبة المقدسة، في شهر كانون الثاني من العام ١٨٤٥.
راجع خصيصاً ص ٤٨ وما بعدها.
راجع ايضاً ص ٣٩٧ من المجلد الثالث للمؤلف.

قلعة عنتر

في الجنوب ، ضمن الحواطة المار ذكرها ، وعلى حافة المنحدر تماماً ، كوم كبيرة من الحجارة المنحوتة ، بعضها منحرف الزوايا . في المكان نفسه اسس هيكل صغير حسب الظاهر ، ولكن لم يُعثر على اعمدة او نقوش . اسم هذا الطلل قلعة عنتر . والمرجح ان هذا المكان كان مقراً للعبادة السورية الفينيقية القديمة.

كانت الهياكل تحيط بحرمون من سائر اطرافه ، ويذكر جيروم هذا المعبد القائم على قمته . اما القبائل السورية الفينيقية التي كانت تقطن بجوار الجبل فكانت تحترم قدسيته [١].

كانت كتل الثلج الكبيرة تملأ الاخاديد حول القمة . وكانت صور في الازمنة القديمة وصيدا تأخذان حاجتهما من الثلج في فصل الصيف من حرمون ، كما تأخذ بيروت ثلجها الان من جبل صنين [٢].

لم يتمكن المستر بورتر من تعيين ارتفاع جبل الشيخ لخلل طرأ على البارومتر الذي يحمله . يقدر روسغر Russegger ان ارتفاعه

١ راجع المصادر الاتية :

Movers die Phonizier, I. p. 688.

Eusembius, in Onomast. art. Ærmon. says, سطران باللغة اليونانية ترجمها جيروم كما يأتي : « diciturque esse in vertice ejus insigne templum, quod ab ethnicis cultui habetur.»

٢ Hieron, in Onomast. art. Ærmon, « de quo nunc aestivae nives Tyrum ob delicias feruntur. »

تسعة الاف قدم ، ولكن المستر بورتو يعتبر هذا الارتفاع اقل مما هو حقيقة اذا قيس بصنين والقمم التي فوق الارز[1] .

تمر الطريق الرئيسية من راشيا الى دمشق ، بعيحا ، ورخلة الى قطنا . وهي ، بين سائر الطرق التي تصلح للسفر ، اقرب من سواها الى الجهات العليا في الجبل فتمر تحتها . وتتشعب طريق اخرى الى كفرقوق وديماس .

تركنا راشيا الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة ، وسرنا على الطريق الاولى لزيارة عيحا . وهذه الطريق تسير عبر النجد الضيق في اعلى المنحدر الشمالي من سلسلة الجبل الاخيرة الواقعة الى جانب سفح حرمون . وبعد خمس عشرة دقيقة كنا نطل عن يسارنا على سهل جميل منخفض ومستدير ، قطره ميلان او اكثر ، تحيط به سلاسل الجبال من الشمال والشرق والجنوب ، وتحيط به من الغرب سلسلة جبل اكثر انخفاضاً ، تمتد من جوار راشيا باتجاه بين الشمال والشمال الشرقي . تقع كفرقوق على اكمتين منخفضتين في الناحية الشرقية من هذا السهل الجميل ، وترى وراءها طريق الى دمشق مارة في مكان منخفض في الجبل .

١ راجع المصادر الاتية :

Russegger's, Reisen, I. pp. 717, 718.

Biblioth. Sacr. 1854, p. 54.

ويقدر لينتش ارتفاعها بنحو تسعة الاف قدم . راجع حديثه عنها Lynch's Narrative, p. 483. وهي مسجلة على خارطة بيترمان Petermann العام ١٨٥١ على ارتفاع عشرة الاف قدم ، ولكني لا ادري ما هي مستنداته . ولكنا لا نخطيء اذا اعتبرناها اكثر ارتفاعاً من صنين .

عيحا وهيكلها القديم

وصلنا الى عيحا الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين . وهي تبعد نصف ساعة عن راشيا . تقع عيحا عالية على رأس منحدر الحرف الذي يلي جبل الشيخ . تمر الطريـق بالقرية ، ثم تصعد عرضاً في اخدود منحدر من الحرف نفسه ، وتتحول هناك الى الشمال الشرقي . وبعد ان تعبر قطعة ارض مرتفعة ترتفع عن يمينها منحدرات حرمون ، تهبط الى رخلة حيث تلتقي بالطريق التي نسير عليها . عيحا قرية صغيرة وحقيرة ، ولكنها موقع هيكل آخر قديم مهدم ، استُعملت اكثر حجارته في بناء اكواخ القرية ، او طمرت تحت الردم . حجارته كبيرة ومنحوتة جيـداً ، ولكنها غير منحرفة الزوايا . ويظهر ان ابعاد البناء اكثر امتداداً من تلك التي شاهدناها في النبي صفا .

بين عيحا وكفرقوق

تركنا عيحا الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين ، ودرجنـا على طريق تسير مباشرة الى كفرقوق متجهين شمالاً ٢٠ درجة شرقاً . لا يزال امامنا صبب منحدر يهبط الى السهل المستـدير . وصلنـاه الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخـامسة . في هبوطنا الى السهل شاهدنا شجرة سنديان عظيمة هي من اكبر الاشجار في البلاد ، شيد تحتها ضريح ولي مسلم . السهل باسره مستوٍ ولم نرَ فيه منفذاً للماء الذي يصب فيه . في فصل الامطار تنتشر المياه على سطحه

فتكون بركة . في الجهة الشمالية الغربية منه ينبثق الماء في الشتاء من شق في الصخر ، كما يقال ، مما يساعد على اغزار الماء في البركة . وينبثق ينبوع آخر ، كما يقال ، في الناحية الجنوبية الشرقية . وعندما يشارف الربيع على الانتهاء ، يبتدىء الماء بالهبوط ، ثم يختفي تماماً ، كما يقال ، في مكان انبثاقه . حينئذ تحرث الارض وتزرع المزروعات الصيفية . في قعر الشق الرئيسي يستمر جريان المياه ، كما صرح بذلك الذين نزلوا اليه بواسطة الحبال . ويعتقد النـاس هنا ان الجدول هو نفسه الذي ينبثق عند الحاصباني . والقصة القديمـة المتداولة عن رمي تبن في بحيرة فيالا يتداولونهـا هنا عن هذه الهوة والينبوع . عندما تكون الامطار غزيرة ، تعلو المياه في البركة عدة اقدام ، كما لاحظنا حدهـا على الصخور وجوانب البركة نفسها . واحياناً كثيرة يظل الماء في البركة كل الصيف . اما اذا كانت الامطار قليلة ، فلا ترتفع المياه ، وقد تهبط قليـلاً ، وهذه كانت حالتها في الفصل الحالي .

توجد عدة انخفاضات شبيهة بهذه في انتي لبنان ، ولكنها اصغر منها وليس لمائهـا منفذ ، بل يجف تدريجاً او يغور في الارض . ويوجد انخفاض بالقرب من قرية دير العشاير التي وصلنا اليها مساء .

يرتفع هذا السهل ثلاثة الاف وخمسماية قدم انكليزي عن سطح البحر كما سجله القس المستر بورتر ، وهو يقل مئة قدم عن ارتفاع الزبداني [1] . السهل جميل ولكنه ليس شديد الخصب كما ظهر لنا . الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين وصلنا الى الفوهة الجنوبية

١ راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٤٤ .

الشرقية حيث ينبثق الماء كما يقال . وهذه الفوهة تجويف مستدير ، قطرها نحو خمس عشرة قدماً ، وعمقها ثماني اقدام او عشر ، ولكنا لم نر ماء في قعرها .

كفرقوق وآثارها القديمة

وصلنا الى قرية كفرقوق الكبيرة الواقعة على اكمتين ، الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين . وهي على مسافة ساعة من عيحا تقريباً . مررنا في القرية على الاكمة الشمالية ، فلحظنا وجود عدة اعمدة في اماكن مختلفة ، ونقوش يونانية مشوهة على سارية باب ، نقلها المستر تومسون بعد ذلك . تدل هذه الآثار على قِدَم هذا المكان . تابعنا السير الى ينبوع القرية العام والحوض الكبير ، وتوقفنا لتناول طعام الظهر تحت اشجار الجوز وراءه . رأينا راشيا من هنا رابضة على الطرف الشرقي ، او حيد الحرف الذي يلي الحرف الواقع على سفح جبل الشيخ ، بين سلاسل الجبال المشرفة على السهل ، ورأينا الثلوج المتراكمة على قمة الجبل كأنها قريبة منا ، ولكنها لم تكن مرتفعة[1].

تخرج من كفرقوق طريقان تؤديان الى دمشق مارتين بديماس . الاولى تعبر الجبل باتجاه الشمال الشرقي وتنضم الى الطريق المارة على بكا ونيطا . والثانية ، ابعد الى الجنوب ، تتسلق حرف الجبل

١ المواقع من كفرقوق : عيحا جنوباً ٢٠ درجة غرباً ، المسافة ميلان . راشيا جنوباً ٦٠ درجة غرباً ، المسافة ثلاثة اميال. طريق دمشق الشمالية شمالا ٥ ٤ درجة شرقاً.

المنحدر ، شرقي كفرقوق ، وتمر على دير العشاير الى ديماس . وقع اختيارنا على الطريق الثانية ، فاصطحبنا دليلاً مـــن القرية . بدأنا السير الساعة الثانية ، وبعد عشر دقائق بدأنا نتسلق المرتقى المنحدر باتجاه عام بين الشرق والشمال الشرقي .

بين كفرقوق ورخلة

وصلنا الى اعلى المنحدر الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وتابعنا الإتجاه نفسه عبر نجد مرتفع متقطع تغطيه آكام صخرية منخفضة ، وحروف جبال . كنا نتجه عرضاً الى حرف الجبل عن يميننا ، وهو الاخير الذي يفصلنا عن حرمون . كانت الطريق التي تمر من عيحا قد عبرته واصبحت الان تسير بجانب ناحيته الجنوبية الشرقية . التقينـــا هنا بخيّال درزي ، فاخبرنا ان عشرين درزياً متمركزين على الطريق تحت رخلة يسلبون كل من يمر هنـاك ، وقد اثخنوا رجلاً بالجراح البارحة ، ونهبوا ثلاثة اليوم . لم نعر ما سمعناه ادنى اهتمام ، ولم نبـدل من خططنا . وبعد توقف عشر دقائق تابعنا سيرنا ولم نعد نسمع شيئاً عن اللصوص .

الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة ، وصلنا الى سفح حرف الجبل الذي عن يميننا . هنا انخفاض يتكوّن منه حوض ارض لا منفذ لمائه الا من شق في الارض . الساعة الثالثة والدقيقة العشرين كنا على مقلب ماء يستدعي الانتباه فكأنه حائط مشيّد عبر رأس واد . الى الشرق منه تجري كل المياه الى سهل دمشق وتغور فيه

امتصاصاً . من هذه النقطة يشتد الانحدار باتجاه بين الشرق والشمال الشرقي ويتسع الوادي فيصير سهلاً صحراوياً . عثرنا في هذا السهل على آثار طريق رومانية طويلة تدل على انها ممر قديم بين دمشق ووادي التيم .

تابعنا الانحدار في الوادي حتى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين ، الى ان تحوّل الى الشمال الشرقي ، فارسلنا البغالين من هنا رأساً الى دير العشائر التي تبعـد ساعتين ليكونوا بانتظارنا . اما نحن فتسلقنا حرف الجبل عن يميننا دون ان نرى طريقاً نسير عليها ، ثم نزلنا وتابعنا سيرنا في واد قليل العمق باتجاه بين الجنوب والجنوب الشرقي ، حتى رأسه . هبطنـا الى واد آخر في الاتجاه نفسه حتى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة ، ثم ضربنا طريق دمشق الآتية من عيحا وراشيا في زاويتين قائمتين . تحوّلنا صعداً على هذه الطريق خمس دقائق باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي ، فمررنا على ناووسين مطروحين على جانب الطريق ، فوصلنـا الى رخله وهيكلها المهدم .

رخله

موقع رخله . هيكلان قديمان . آثارها . برقش . هيكل وقلعة قديمان . رمز البعل .

تقع رخلة في حضن الجبال . يمتد النظر منها فوق المضيق الفسيح الى الجنوب الغربي ، حتى منخفضات جبل الشيخ . اما من الشرق فيعترض النظر حرف جبل منخفض ، يبرز من الناحية الشرقية من الجبل العالي ، الى الشمال الشرقي . ينحدر وسط هذا الحرف ، مضيق عميق متعرج يتجه الى الجنوب الشرقي ، ولكنه لا يتيح للناظر لمحه من السهل الشرقي الكبير . والينبوع المنبثق في رخله يكسب تلك الانخفاضات الوعرة خصباً واخضراراً .

موقع الهيكل

يقع الهيكل في الناحية الشرقية ، وهو اكبر واضخم هيكل رأيته حتى الان ، على بساطة في بنائه ، وربما اغرق في القدم . جدرانه الضخمة واعمدته الفخمة تهدمت ، وتفرقت حجارته الهائلة بدون انتظام . اتجاهه كان الى الغرب ، يواجه ثلج حرمون . في الوسط باب كبير وبابان صغيران عن جانبيه . في الطريق الشرقي بروز نصف مستدير كالذي نراه في الكنائس اليونانية . في الجهة

الداخلية من هذا البروز ، صفان من الاعمدة عليها تيجان ايونية ، تمتد في جسم الهيكل حتى المدخل . الحجارة كبيرة ودقيقة الصنع . كل ما فيه يدل على دقة واتقان مع بساطة . لم نلاحظ الحجرين الموضوعين قرب الباب الكبير اللذين ذكر بوركهاردت ان عليهما شكل عصفور باسط جناحيه . اما ابعاده فقد سجلناها كما يأتي :

	اقدام	قراريط
جسم الهيكل ، الطول	٨٢	٨
جسم الهيكل ، العرض	٥٧	
البروز النصف المستدير ، العمق	١٩	٤
البروز النصف المستدير ، الوتر	٢١	٨
طول الهيكل ، كله	١٠٢	
الاعمدة ، طول الساق	١٨	١
الاعمدة ، علو التاج	٢	
الاعمدة ، قطر الساق	٣	

لهذا الهيكل ميزة لم يلاحظها احد في غيره . على الجدار الجنوبي من الخارج ، قرب الزاوية الجنوبية الشرقية ، على ارتفاع قليل جداً عن الارض ، فدرة كبيرة ، ابعادها ست اقدام تربيعاً ، نُقشت عليها حلية على شكل نوط ضخم (مدليون) يشتمل على :

١ ــ دائرة خارجية ، او حاشية مزخرفة زخرفاً بارزاً ، قطرها خمس اقدام .

٢ ــ دائرة داخلية ، او حاشية اكثر بروزاً ، قطرها اربع اقدام .

٣ ــ وسط هاتين الدائرتين الشكل الامامي لوجه بشري حُفر

حفراً دقيقاً اكثر بروزاً من بروز الحاشيتين . طول الوجه ، من الذقن الى اعلى الشعر ، ثلاث اقدام واربعة انشات ، وعرضه قدمان واربعة انشات . اما الملامح فقد شوهت عمداً ، ولكنها لم تزل واضحة ومرضية . يتبادر الى الذهن ، حال النظر اليها ، ان القصد منها تمثيل الشمس ، ولكن الحاشية لا تمثل اشعة الشمس . قد يكون هذا الرسم رمزاً للبعل الذي تقدم له فروض العبادة في الهيكل .

على تل صغير الى الشمال الشرقي من هذه الاطلال هيكل صغير جداً ومتهدم [١] .

لم يلاحظ آثار رخله سوى نفر قليل من السياح ، مع انها واقعة على الطريق الكبيرة بين راشيا ودمشق . مر سيتزن على هذه الطريق وجاء على ذكر هذه الاطلال ، ويتضح من كلامه عنها انه لم يفحصها بنفسه [٢] . وزارها بركهاردت ايضاً في نزهة من دمشق [٣] . وجاء ريتشاردسون Richardson الى هذا المكان ولكن معلوماته عنه ناقصة [٤] .

كنا نود الذهاب الى برقش على مسافة ساعة او اكثر جنوب شرقي رخله حيث توجد اطلال هيكل يشبه هيكل رخله ، وخرائب

١ يتحدث بركهاردت عن صرح اخر ، له العديد من الاعمدة الصغيرة المكسرة على بضع مئات من الخطوات الى الجنوب . راجع ص ٤٩ . واخبرنا دليلنا عن هيكل اخر في جهة ما من الوادي تحتنا .

٢ Reisen, I. p. 316.

٣ Travels in Syria, p. 49.

٤ Travels, II. p. 456.

قلعة عـــلى مرتفع في الجبل ، لم يذكرها سوى بركهاردت [١] .
ولكن النهار آذن بالزوال ويجب ان نوجه خطانا شطر دير العشاير .

١ Travels in Syria, p. 50.

بين رخله ودير العشاير

معلومات جغرافية عن الطريق . هيكل قديم . ابعاده
المسجلة . اطلال اخرى .

تركنا رخلة الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ورجعنا الى طريق دمشق . سرنا ثماني دقائق او عشراً ، ثم تحولنا الى طريق عامة ، سرنا فيها مسافة قصيرة في بقعة وعرة ومهجورة . عن يميننا حرف جبل كثير الصخور يحجب عنا الرؤية من الشرق تماماً ، وعن يسارنا الحروف والآكام المتقطعة التي سرنا بينهما قبلاً . الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة بدأنا نهبط بسرعة بجانب واد يجري الى الشمال ، تزينه زهور ارجوانية جميلة . الطريق ممر جبلي وعر ، يعرفه الدليل ، ولكن يندر السفر عليه . في هذه الجهة ، خيل الينا اننا رأينا آثار طريق قديمة تنحدر الى الوادي . في اسفل الصبب المنحدر ينفسح الوادي الضيق عن سهل جميل يمتد من الجنوب الى الشمال ، تحيط به الجبال من سائر الجهات .

نحن الآن على مرتفع . الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين كنا نشرف من الشمال على سائر نجد الزبداني وسهله ، ونتجه اليه في نزولنا . الى اليسار لاح لنا جبل الزبداني كما يسمونه من مسافة بعيدة ، والى اليمين جبال بلودان ، وهي اعلى قسم في انتي لبنان ، تضم بينهما الخفض الجميل او السهل . النجد الاقرب الينا كان

متموجاً ومتقطعاً ، ينحدر بلطف الى الشرق ، تتخلله حروف وطيئة وتقاطعه اودية عميقة . وهو لا يزال مخضلاً جميلاً ، يحتفظ بجزء كبير من اخضرار الربيع .

تابعنا السير شمالاً الى جانب السهل بين سلاسل الجبال الصخرية العالية من الجانبين . الساعة السادسة تحولنا الى الشمال الشرقي ، ودرنا حول كتف الحرف الشرقي الذي ينعطف هنا مسافة قصيرة ، ثم يتحول ثانياً الى الشمال ، فيشمل انعطافه بقعة ارض اكثر اتساعاً وتموجاً . وصلنا الساعة السادسة والنصف الى دير العشاير الواقعة على المنحدر الشرقي في اعلى نقطة من البقعة الواسعة . الى الشرق منها سهل وطيء وبحيرة صغيرة في سفح الجبل الشرقي ليس لمياهها منفذ . موقعها جميل ، تحبط بها ارض خصبة ، ولكنها منعزلة عن غيرها من القرى حتى انك لا ترى قرية على اية جهة منها . ضربنا خيمتنا بالقرب من ينبوع هناك ، على العشب المحتفظ باخضراره . سكانها قليلو العدد ، سيئو الاخلاق ، دروز ومسيحيون على السواء ، ولكنهم لم يسيئوا الينا بشيء ولا ازعجونا .

هيكل دير العشاير

هنا ايضاً اطلال هيكل كبير فخم يتجه الى الشرق ويختلف في بعض الاعتبارات عما شاهدناه الى الان . فهو قائم على دكة من الحجر مرتفعة تمتد الى مسافة اربع وعشرين قدماً ونصف القدم من البناء في الجهة الامامية ، ونحو اثنتي عشرة قدماً على كل من

الجهات الثلاث ، ويختلف ارتفاعها باختلاف ارتفاع الارض. يزين الدكة طنف على طول ناحيتها العليا ، وآخر معكوساً فوق اسفلها قليلاً . حجارة الهيكل غير منحرفة الزوايا ، وفي زواياه عضادات تيجانها ايونية . يظهر ان الرواق شُيّد بدون اعمدة . وعلى كل فالاعمدة لا اثر لها الان . اكثر الجدران لم تزل قائمة ، ولكن بعض اجزائها مهدّمة ، فاصبحت بعض العضادات في الزوايا قائمة وحدها . لون الحجارة قاتم اكثر منه في اي مكان آخر ، والعمل اقل اتقاناً ودقة منه في الهياكل الاخرى . في الطرف الشرقي تحت الدكة ، حيث ترتفع نحواً من عشرين قدماً ، مدخل يعلوه ساكف حجري كبير . وهذه ابعاده كما سجلناها :

	قدم	انش
الدكة ، طول	١٢٦	
الدكة ، عرض	٦٩	
الهيكل ، طوله من الداخل	٨٨	٩
الهيكل ، عرضه من الداخل	٣٥	٣
فضاء المذبح ، طول	٢٧	٨
جسم الهيكل من المذبح الى الرواق	٤٦	٧
الرواق ويشمل الجدار الخلفي وهو ٣ اقدام	١٤	٦
الحجر الكبير (الساكف) طول	١٢	٥
الحجر الكبير (الساكف) عرض	٤	٥
الحجر الكبير (الساكف) سمك،	١	٦
ارتفاع الجدار ، تقديراً	٥٤	

هيكل آخر

الى الجنوب الشرقي من الهيكل تماماً ، على منحدر الارض او السطح نفسه ، اطلال رحبة تشبه الهيكل شكلاً وقدامة . ولكنها دكت الى الحضيض ، وبعثرت ، وبنيت فوقها بيوت القرية ، فاصبح من العسير فهمها او حل رموزها . وقد رأينا عدة اعمدة غير كاملة مبعثرة في انحاء مختلفة . ويتبادر الى ذهن الناظر ان هذه الاطلال كانت فناءً متسعاً رحباً ، متصلاً بالهيكل فوقه او على صلة به ، او ربما كانت هيكلاً آخر اكبر منه . ويغلب على ظني ان النظرية الاولى هي المرجحة . احجار هذه الاطلال الاخيرة اكبر من تلك ، وقَطْعها منتظم ، ومبنية بدون ملاط .

قلت سابقاً ان حرمون كله محاط بالهياكل[1] ، وها قد زرنا للآن البانيوم Panium في بانياس ، والبقايا المحطمة في قلعة بسطرا ، والاطلال الفخمة في الهبارية ، والنبي صفا ، وعيحا ، ورخله ، ودير العشاير ، ومركز الخرائب في بكا وبرقش . وسمع المستر تومسون بوجود خرائب مشابهة في عين عطا وعين حرشة وفي عدة اماكن غيرهما . وهذه كلها تقع فوق حرمون او حوله . والبقاع وجواره تغص بالصروح القديمة ، ناهيك بهياكل بعلبك وهي منتهى الفخامة والجلال . من هم الذين اسسوا هذه الابنية الثمينة الفخمة ؟

١ راجع ص ٤٣٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

بين دير العشائر ودمشق

معلومات جغرافية عن الطريق . محطة للسياح . الصحراء .
خطأ البغالين على مفرق الطريق . نهر بردى وهوته .
الزبداني . المزة . صنع اللبن . الوصول الى دمشق .

الاربعاء ٢ حزيران . — تركني المستر تومسون هذا الصباح مع جون ورتبات وقد اعتزمنا الذهاب الى دمشق . اما هو فرجع مع خادمه الى حاصبيا . المسافة الى حاصبيا يوم كامل ، ولكنه قطعها بعشر ساعات فحسب . لقيه سلابان من بيت القنطار في اشد الاماكن وعورة في الجبل ، ولكنهما اخليا سبيله فور تثبتهما من شخصيته ، وعرضا عليه الرجوع معه الى حاصبيا وحراسته في الجبال . كانا مدججين بالسلاح حتى اسنانهما وراجعين من غزوة على القرعون في الجهة الجنوبية من البقاع . وقد سر المستر تومسون بالتخلص من رفقتهما ووصل حاصبيا سالماً ، مع ان جماعة من عصابة اللصوص هذه كانت تقطع الطريق وتنهب المارة بين راشيا وحاصبيا وحتى على مدخل حاصبيا نفسها .

اتجه المستر تومسون غرباً واتجهنا شرقاً . تركنا دير العشاير الساعة السابعة والدقيقة العاشرة ونزلنا الى السهل الاكثر انخفاضاً ، فكانت بركته الصغيرة عن يميننا . والبركة هذه ليس لمائها منفذ كما يقال ، ولكنه يجف في اواخر الفصل . كان اتجاهنا العام بين الشرق والشمال الشرقي . الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين كنا

على الكتف الشمالية الغربية من الجبل وهي تهبط بجيد فوق البحيرة . هنا مقلب ماء منخفض . دخلنا في واد مفتوح قليل العمق ، على جانبيه آكام متدرجة . الساعة الثامنة انضمت طريقنا الى الطريق الآتية من جب جنين وبكا من اليسار . والساعة الثامنة والدقيقة العاشرة وصلنا الى حيث تلتقي طريقنا بالطريق العامة من بيروت بعد نزولها عن اكمة الى اليسار . على ملتقى هذه الطرق ينبوع رائق في الوادي اسمه عين ميثلون[1] ، وبالقرب منه اسس خان قديم مهدم . وهكذا يسمى الوادي في ناحيته السفلى . اصبح اتجاهنا الآن شرقاً بجنوب . الوادي يزداد ضيقاً وعمقاً كلما تقدمنا فيه ، وجوانبه تزداد ارتفاعاً ووعورة ، فيصبح ممراً جبلياً يجري فيه الجدول الذي يخرج من الينبوع . بعد ذلك اصبح الريف اكمياً متموجاً . الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين انعطف الوادي والجدول الى اليمين . اما نحن فصعدنا المنحدر اليساري عرضاً وعطفنا حول الجهة الجنوبية من اكمة اعترضت طريقنا ، ثم صعدنا اليها فوصلنا الى ديماس الساعة التاسعة . ديماس قرية كبيرة واقعة على مرتفع على الناحية الجنوبية الشرقية من الاكمة المذكورة ، وهي محطة يقف عندها السياح والقوافل . في اعلى القرية عقد طويل قنطرته مستديرة وحجارته كبيرة تظهر عليها دلائل القدم .

مررنا حتى الآن وسط بقعة ارض متسعة ومرتفعة تصل سلاسل الجبال الواقعة الى جنوبي دير العشاير وشرقيها ، بسلسلة جبل بلودان الاكثر ارتفاعاً منها في الشمال . وهكذا تتكون من

[1] لعل المؤلف يقصد ميسلون . — المعرب .

هذا الاتصال سلسلة جبل تفصل نجد دير العشاير والزبداني عن النجد التالي الاكثر انخفاضاً ، الواقع على المنحدر الشرقي في انتي لبنان .

والنجد التالي المذكور ، وهو امامنا الان ، ينحدر كثيراً الى الشرق ، كما هو واضح ، وكان في البدء مدرجاً غير مستوٍ . الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة كانت وجهة سيرنا لا تزال شرقاً بجنوب . وصلنا الى مفرق الطرق ، فسرنا الى اليسار حول اكمة لنجتنب احدوراً شديد الانحدار على الشعبة الاخرى . الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين ضربنا ثانياً في وادي ميثلون وجدوله وعبرنا الى جانبه الايمن . هنا يجري الوادي الى الشمال الشرقي ، ويتابع جريانه حتى ينضم الى بردى بالقرب من الجديدة . تابعنا صعودنا تدريجاً فوصلنا الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين الى الصحراء ، وهي سهل صحراوي يبلغ ارتفاعه هنا ثلاثة الاف واربعماية قدم فوق سطح البحر ، كما سجله المستر بورتر . انها صحراء حقيقية ، اذ انها باجمعها قاحلة وغير محروثة . وهي تمتد الى الجنوب الغربي حتى سفح جبل الشيخ ، ويحجبها من الجنوب الشرقي خط آخر من الآكام او سلسلة جبل هي جبال دمّر والصالحية التي تمتد نزولاً من طرف جبل الشيخ نفسه او بالاحرى من تحت طرفه . يمتد هذا السهل الصحراوي ايضاً مسافة بعيدة الى الشمال الشرقي وراء بردى . اما هوة نهر بردى فتتاخمها الآكام . في الشمال والشمال الشرقي البعيدين ، تظهر سلسلة جبل منحدرة وراء وادي حلبون من الغرب الى الشرق باشكال تصويرية أخاذة [1] .

[1] زد معلوماتك عن الصحراء بمراجعة ما كتبه المؤلف في الجزء الثالث ، في السابع من حزيران العام ١٨٥٢ .

كان اتجاهنا في الصحراء نحو الجنوب الشرقي بشرق . تبعد الصحراء ساعة واحدة عن ديماس . وفور دخولنا اليها وصلنا الى مفرق في الطريق . فالطريق التي تسير الى اليسار تؤدي الى بردى وجسر دمر ، وتعبر سلسلة الجبل وراء الصالحية ، فتشرف على منظر سهل دمشق الذائع الصيت . كنا اعتزمنا السير على هذه الطريق المذكورة ، ولكن بغالينا الذين كانوا وحدهم على معرفة بهذا الاقليم ، ساروا على الطريق الثانية ، ولا ادري اكان ذلك عن خلاف فيما بينهم او عناد ، ولكنا اكتشفنا الخطأ بعد فوات الاوان فلم نتمكن من اصلاحه . سرنا ساعة ونصف الساعة في طريق قفر مظلمة ينقبض لها الصدر وتحبس على المسافر انفاسه . لم يكن بردى وواديه الجميل بعيدين عن يسارنا ، ولكن لم نر اثراً لهما . ندر ان رأينا شجرة او نجماً على جبل او اكمة او في سهل . في السهل الصحراوي عن يميننا ، وعلى مسافة قصية منا ، مزرعة صبّورة البائسة ، وهي لا تبعد كثيراً عن صف الآكام التالية . موقعها من مفرق الطريق جنوباً ٦١ درجة غرباً ، تجاه ثلوج حرمون مباشرة . وليس من قرية امامنا سواها ، بل كل ما حولنا صحراء قفر .

الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين كان عن يميننا جدول صغير ينساب متعرجاً وسط السهل . الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين نزلنا اليه فاذا هناك ينبوع غزير رائق يتفجر ، اسمه نبع العرّاض . اما تفجره فيقال انه دوري ، وهو يجف تماماً في بعض الفصول . بالقرب من الينبوع اسس خان مهدم يحمل الاسم نفسه . ينعطف الجدول المذكور الى الشمال الشرقي ويصب

في بردى بالقرب من الهامة . اما اسم الوادي الذي يجري فيه هناك فهو وادي يعفور . ابعد الى تحت في الوادي نفسه ينبوع اغزر من الينبوع المذكور سابقاً ، والحور يكسو حافتيه .

وراء الينبوع تصبح الصحراء بقعة متموجة من الآكام الصحراوية . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنا الى رأس واد عميق ينحدر نحو الشمال الشرقي الى بردى غربي دمر . لم يبق النهر بعيداً عنا ، وكنا نرى الاشجار منتشرة على ضفافه . عبرنا الى اليمين حول رأس الوادي ، فوصلنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين الى قمة الحرف الذي يشق النهر طريقه فيه . امامنا الان حرف آخر ازاءه يفصله عن الحرف الذي نحن عليه واد عميق ، ولم يكن الحرفان سوى مفرقين للحرف الواحد الرئيسي . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنا الى قمة الحرف الآخر بعد ان كابدنا ما كابدناه من المشقة في النزول المنحدر والمرتقى الطويل . هنا بدأت طلائع دمشق وسهلها الرائع تبدو للعيان . هنا مفترق طرق . تابعنا سيرنا شرقاً وانحدرنا مسافة طويلة فوصلنا الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين الى نقطة ناتئة اشرفنا منها على منظر فخم يشمل السهل الفسيح وجنائنه الكثيرة من الاشجار المثمرة وغيرها ، والمدينة المختبئة تقريباً بين اوراقها . ولكن المشهد من مقام الولي وراء الصالحية اكثر روعة . الجو يغشوه سحاب رقيق شفاف حجب عنا رؤية البحيرات البعيدة . هبطنا احدوراً طويلاً منحدراً فاوصلنا الساعة الواحدة الى قرية المزة[1]

[1] يذكر الادريسي قرية المزة . راجع :
Edrisi, I. p. ETP 350, ed. Jaubert.

الواقعة على سفح الحرف الكلسي العاري القاحل ، وعلى فم الهوة العميقة المنحدرة المسننة الضيقة التي يخرج منها نهر بردى الى السهل. اما الهوة هذه فتستلفت الانظار بتقطع بطنها ، وتفكك الطبقات الصخرية فيه . هنا توقفنا لتناول طعام الظهر في جنة باسقة الاشجار المثمرة ، بجانب الترعة الاولى المسحوبة من النهر الى الجنوب .

نحن الان عند سفح انتي لبنان الشرقي بعد ما عبرنا سائر الحروف والانجاد في القسم الجنوبي منه . اما الحوض حول كفرقوق ، مع انه لا منفذ له ، ومع انه بارتفاع سهل الزبداني تقريباً ، فيبدو انه بدون ريب يخص منحدر الجبل الغربي .

اما مقلب الماء العالي الذي عبرناه ابعد الى الشرق ، فيمتد الى الشمال الشرقي وسط البقعة المرتفعة حول ينطا ، ويكوّن اخيراً جبل الزبداني . يفصل جبل الزبداني هذا سهل الزبداني عن حوض الجديدة الصحراوي في الغرب . وهذا الحوض يضاهي مركز حوض كفرقوق ولكنه اعلى منه ، وتنزح مياهه الى الشرق وسط الحرف بواسطة وادي القرن . ضربنا شمالي رخله وانحدرنا في المفرق الذي يشق الحروف القائمة ابعد الى الشمال والمتاخمة نجد دير العشاير والزبداني . في مرورنا وسط الحرف التالي جئنا الى ديماس والصحراء الفسيحة . اما نزولنا عن حرف الصالحية الاخير ، فقد اوصلنا الى طرف السهل الكبير . ان الفواصل شمالي بردى ، كما سنرى ، هي اقل انتظاماً ، ولاسيما الحرف الذي يفصل نجد الزبداني عن الصحراء ، اذ انه ينبسط فيصبح بقعة جبلية متسعة .

تركنا المزة الساعة الثانية والدقيقة الخامسة ، وسرنا شرقاً رأساً الى المدينة وسط الجنات الكثيرة ، المشتملة على كل نوع من الاشجار

المثمرة التي تغطي السهل . الجادات المؤدية الى المدينة عريضة نوعاً ، ومغلقة على جوانبها بحيطان من التراب على ارتفاع خمس اقدام او ست . اما هذه الحيطان فتبنى من كتل التراب المرصوص ، حجم الكتلة الواحدة قدمان مربعتان او اكثر ، وهي كالاجر قبل شيه ، وتشبه اللبن المكسيكي . وهذه الكتل تعمل في المكان الذي تبنى فيه . اما كيفية صنعها فهي بوضع التراب في قالب خشبي ورصه رصاً قوياً فيصبح كتلة واحدة ، ثم ينزع القالب عنها . وهذه الحيطان تتحمّل عادة اعباء العديد من السنين . اما الماء فيجري في كل مكان ، على الطرقات وفي الحقول . عبرنا ثلاث ترع بين المزة والمدينة ، كلها مسحوبة من نهر بردى . وتوجد ترعة رابعة على هذه الجهة . اما الترع التي على الجهة الشمالية فاكبر من سواها . كان كل شيء يقع نظرنا عليه ينبئنا بالاقتراب من مدينة عظيمة .

الساعة الثانية والدقيقة الاربعين كنا على احدى البوابات في الناحية الجنوبية الغربية من المدينة ، هو باب السريجي ، حيث لا وجود لماموري الجمارك . دخلنا المدينة وبدأنا التجوال في شوارعها وازقتها الضيقة بطريقنا الى المحلة المسيحية التي تشغل كل الناحية الشرقية . كنا في المدينة اغراب ، نسأل عن بيت الدكتور بولدنغ الذي تعرفت اليه في بيروت . ولحسن حظنا التقينا برجل يعرف الذين برفقتنا من حاصبيا ، فاخبرنا ان كل شيء جاهز في بيت القس المستر روبصن الذي يود مرافقتي في المرحلة التالية من رحلتي هذه . بشرى تلقيناها بسرور . الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة كنا نترجل امام بيت المستر روبصن المترمل ، الذي لقيت فيه ما انا باشد الحاجة اليه من الراحة والاستجمام طيلة اقامتي

بدمشق .

الارساليتان الارلندية والاميركية

كانت المدينة مقسمة في الحقل التبشيري بين ارساليتين ، وهما الارسالية التابعة للكنيسة المشيخية الارلندية ، والارسالية التابعة لشراكة الكنيسة المشيخية المجددة في الولايات المتحدة . فكان القسان السيدان روبصن وبورتر يمثلان الارسالية الارلندية . اما الارسالية الثانية فكان يمثلها القسس بارنيت ، وفريزر ، ولانسنغ ، والدكتور بولدنغ وهو طبيب الارسالية . كانت الارساليتان على اتم الاتفاق كأنها ارسالية واحدة في العمل التبشيري وبكل ما يتعلق به ، الا في علاقاتها مع جمعيتيها في بلديها . كان المستر روبصن اقدم عضو بين سائر الاعضاء ، فقد قضى في هذا الحقل التبشيري هنا ثماني سنوات . كان المستر روبصن والمستر بورتر كلاهما في البيت . اما اكثر الاميركيين فقد غادروا منازلهم ليتدبروا امر مصيفهم في بلودان ، وهي قرية واقعة عالية على الحرف العالي شرقي الزبداني ، وتشرف على ذاك السهل الجميل ، ولكن الدكتور بولدنغ رجع يوم السبت ، فسنحت لي فرصة المحادثة معه ومع المستر فريزر .

بقيت في دمشق حتى صباح الاثنين التالي ، اي اربعة ايام . في هذه الايام الاربعة لم يمل المستر روبصن والمستر بورتر من العمل معي والتجوال في المدينة وخارجها وزيارة الاماكن المختلفة الهامة . صرفت اليوم الاول ، اي الخميس ، في كتابة الرسائل ، وتمتعت بالراحة

التي كنت باشد الحاجة اليها . الجمعة جلنا طويلاً في المدينة باحثين عن الآثار القديمة فيها وعن الاشياء الغريبة النادرة . يوم السبت ركبت مع المستر بورتو في جولة خارج المدينة وفي الشوارع التي لم اتمكن من زيارتها قبلاً .

الاحد كان ميعاد الخدمة الدينية التي كانت تقام في غرفة كبيرة في بيت الدكتور بولدنغ ، هُيئت خصيصاً لهذا الغرض . الساعة الثامنة قبل الظهر كان المتكلم المستر وترتبات باللغة العربية . والساعة الحادية عشرة كان الوعظ باللغة الانكليزية ، قام به المستر فريزر . والساعة الرابعة كانت الخدمة ملقاة على عاتق المستر روبصن . اما عدد الحاضرين فكان من الخمسة والعشرين شخصاً الى الثلاثين . تناولت الشاي مع الدكتور بولدنغ وتمتعت بمساء شائق معه وعائلته .

زرت يوم السبت الدكتور مشاقة ، وهو الطبيب الوطني اللامع النشيط الذي اصبح معروفاً بعلاقته بالحركة البروتستانتية . فهو سريع الخاطر في الكتابة وقوي الحجة وكتاباته تعبد الطريق لانتشار حقيقة الانجيل . والدكتور مشاقة لا يعرف من اللغات سوى اللغة العربية ، وهو دائم الحركة والتفكير ، وخطيب مفوّه يطرق المواضيع المتنوّعة بفصاحة لم نألفها في شرقيّ .

تعرفت في بيت المستر روبصن على اديب آخر هو انطون بولاد . والمذكور راهب ارثوذكسي ضليع ، وقف نفسه بحماسة على التعمق والاستقراء في طوبوغرافية دمشق وضواحيها . فقد اخذ على عاتقه كتابة سائر اللوائح العربية الملحقة بالطبعة الاولى من هذا المؤلف ، كتبها كلها بخط يده ، واستحصل للمستر بورتو على

لوائح باسماء القرى حول دمشق وفي السهل .

ان مستوى التعليم بين الدمشقيين منحط في الوقت الحاضر ، مع ان المدينة اشتهرت سابقاً بمن انجبت من الكتّاب والعلماء[1] .

١ بعث بوربنغ Bowring تقريرا يقول فيه انه لم يجد بائع كتب في دمشق او حلب ، ولا يتمكن كاتب من تحصيل قوت يومه من نسخ المخطوطات . راجع تقريره رقم ١٠٩ .

اما سيتزن فيقول انه وجد ثلاثة بائعي كتب مسلمين ، اثنان منهما يجلدان الكتب . راجع ص ٢٧٠ من المجلد الاول لزيزن .

امـا الان فيتمكن المرء من مشترى المجلدات من الافراد الذين يقتنون الكتب . راجع سيتزن في المكان نفسه . بهذه الطريقة اصبح بامكان المرسلين العثور على مخطوطات نادرة ونفيسة .

دمشق

السهل : حدوده ، اقسامه ، تربته . الانهر . الينابيع .
الري . البحيرات الثلاث: اسماؤها ، المياه التي تصب فيها ،
مساحتها ، اسماكها .
الزراعة : الحبوب ، الاثمار ، الجنائن ، البساتين ، التبغ ،
حطب الوقيد .

ان الاحاطة بطوبوغرافية هذه المدينة القديمة والتعمق في درس تاريخها يحتاجان وحدهما الى مجلد . ولكن اقامتي القصيرة في دمشق اوحت لي ببعض الانطباعات العامة ، انقلها الى القارىء ، ولست اقصد سوى تدوين ما شاهدته بنفسي او عرفته من مصدر ثقة .

سهل دمشق

حدوده .

من الشمال والغرب : سلسلة جبل تمتد من تحت طرف جبل الشيخ الشرقي الى الصحراء بالقرب من تدمر .

من الجنوب : الجبل الاسود .

من الشرق : الجبل الاسود ، وجبل مانع ، وجبل اغار .

رأينا سابقاً ان سلسلة انتي لبنان الاخيرة ، والاكثر انخفاضاً

باتجاه الشرق ، تبدأ من تحت طرف جبل الشيخ الشرقي نفسه[1] . تمتد هذه السلسلة باتجاه عام الى الشمال الشرقي ، وهي سلسلة من الصخور الكلسية العارية . تقطع هذه السلسلة كلها هوة بردى عند المزة ، ثم تقطعها عند برزة . على بعد ساعتين الى الشمال الشرقي من المزة هوة واد اصغر من هوة بردى ، تنحدر من منين وحلبون . واجزاء هذه السلسلة تتغير اسماؤها باختلاف الاماكن الممتدة فيها . فهي تسمى قلبات المزة جنوبي هوة بردى ، وتسمى جبل قاسيون[2] بين هوّتي بردى وبرزة . ابعد الى الشمال تسمى جبل قلمون ، وهذا يمتد حتى الهرم المرتفع البارز في جبل تنيه . وراء هذا البروز الاخير تنحرف هذه السلسلة الى اتجاه بين الشرق والشمال الشرقي ، وتمتد شرقاً الى الصحراء بالقرب من تدمر[3]. هذه السلسلة

١ راجع ص ٤٤٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ هكذا يسميه ابو الفدا ايضاً .

Tab. Syr. ed. Kohler, pp. 100, 164.

أيكون جبل قاسيون هو مونس كاسيوس Mons Casius القديم ؟

٣ ان الطريق الشمالة الى حمص وحماه وحلب تعبر جبل قلمون عند سفح جبل تنيه الشمالي الشرقي تماماً . وراء جبل قلمون عدة حروف اخرى تشابهه ، تمتد من انتي لبنان الى الصحراء الشرقية . تفرق الطريق الى تدمر بالقرب من القطيفة على مسافة خمس ساعات ونصف الساعة من دمشق وراء الحرف الاول ، ثم تسير حتى تدمر بجانب سهل متسع تحده سلاسل من الاكام . راجع ما كتبه ج . ل . بورتر في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحات ٤٤٤ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٦٨١ وما بعدها .

في مخطوطة المستر بورتر سجلت المسافات على طريق تدمر كما يلي :

من سفح جبل تنية باتجاه الشمال الشرقي الى جرود ، ثلاث ساعات ونصف الساعة .

من جرود الى القريتين احدى عشرة ساعة .

من القريتين الى تدمر ثماني عشرة ساعة ونصف الساعة .

الطويلة هي حد سهل دمشق الكبير من الغرب والشمال .

يرتفع القسم الواقع في منتصف جبل قاسيون شمالي هوة بردى الف وستماية قدم فوق السهل . يتوج قمته مقام ولي . ويمتد النظر منه الى مسافة شاسعة ١ . على مسافة نحو ميل الى الجنوب الشرقي من سفح هذه النقطة المرتفعة ، وعلى ميل ونصف شرقي مخرج بردى من هوته ، يمتد جدار مدينة دمشق الغربي فتصبح المدينة كلها ، خلا قسم صغير منها ، واقعة جنوبي النهر . تمتد قرية الصالحية على سفح قاسيون مباشرة . اما جبل الشيخ المكلل بالثلج فيرى من المدينة شامخاً فوق سائر حروف انتي لبنان ، ويقع جنوبـــاً ٨٥ درجة غرباً .

اذا القينا نظرة الى الجنوب الغربي باتجاه القسم العالي في السهل حول سفح جبل الشيخ الشرقي ، نرى صفاً من الاكام يبدأ هناك ويمتد شرقاً . وهذه الاكام تزداد ارتفاعاً كلما تقدمت في امتدادها ، وتنتهي بسلسلة جبال وطيئة عند نحها على بعد ساعتين او ثلاث جنوب دمشق بشرق . تسمى هذه السلسلة جبل الاسود ، وهو الحد الجنوبي للسهل . لا يتجاوز معظم ارتفاع هذه السلسلة فوق السهل

١ ليست هذه النقطة المرتفعة في الجزء الواقع في منتصف جبل قاسيون يكللها مقام ولي ، هي التي يتغنى بها السياح . ان النقطة التي يتغنى بها السيـــاح بحق هي التي تقع على ارتفاع اقل من تلك يكللها مقام ولي ، وهي تقع على طرف جبل قاسيون الغربي على حافة الهوة تماماً .

ويذكر ابو الفـدا جبل قاسيون ، ويتحدث عن الاسطورة الاسلامية القائلة ان قايين ذبح اخاه هابيل هناك .

راجع : Tab. Syr. ed. Kohler, p. 100.

الخمسماية قدم[1]. بقع وادي نهر الاعوج وراء صف الاكام هذا، تتاخمه من الجنوب سلسلة جبل مانع[2] الاكثر ارتفاعاً. اما اعلى قمم جبل مانع فتقوم شرقي الكسوة، وترى ممتدة الى اليسار الى ما وراء قمم جبل الاسود. الى يسار سائر هذه الجبال يسرح الطرف فوق سهل مطمئن شاسع يصل حتى جبال حوران التي تظهر كأنها نقطة مظلمة في الافق.

يمتد سهل دمشق، من جهة الشرق، الى البحيرات الثلاث التي تجري اليها مياه بردى والاعوج، وساعود الى التحدث عنها فيما بعد. ويمتد السهل ايضاً الى مسافة ثلاث ساعات او اربع وراء البحيرات، او بالحري ينحدر صعداً متدرجاً الى سفح صف من الآكام الصنوبرية تمتد الى ثلاث ساعات او اربع من الشمال الى الجنوب وتسمى التلول (اي التلال)، وتسمى ايضاً جبل اغار. اما الاكمة الوسطى بين هذه الاكام الصنوبرية فتسمى تل دكوة وهي اعلاها. وهذه الاكام ترى من دمشق كأنها على حدود الافق البعيد. يمتد من طرف التلول الجنوبي سهل شاسع يصل الى جبل حوران. ويمتد من الشمال ايضاً سهل آخر باتجاه الشرق، يعجز النظر عن رؤية آخره[3].

١ راجع ما كتبه ج. ل. بورتر عن الجبل الاسود وارتفاعه في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤ ص ٣٤٣.

٢ كذا في الاصل. — المعرب.

٣ راجع ما كتبه ج. ل. بورتر عن التلول والسهول في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤، ص ٣٣٣ وما يليها والصفحتين ٣٣٨ و ٤٥١.

اقسام السهل

الغوطة الشمالية . الغوطـة الجنوبية . المرج الشمالي .
المرج الجنوبي . وادي العجم . عدد القرى . عدد السكان .

تقدر المسافة من دمشق الى البحيرات بست ساعات ، او بنحو عشرين ميلاً من الصالحية . اما معظم عرض السهل من الشمال الى الجنوب فهو نحو سبع ساعات ، ولكنه يصبح ضيقاً باتجاه الجنوب الغربي . هذه هي ابعاد سهل دمشق وهو يُقسم الى خمس كوَر .

الغوطـة : تشمل الغوطة الجزء الغربي من السهل مضافاً اليه المدينة نفسها ، وتمتد نحو ساعتين ابعد الى الشرق . اما الى الجنوب فتمتد الى خط يتجه شرقاً بجنوب من طرف الميدان الجنوبي فحسب . يقسم نهر بردى الغوطة الى قسمين ، الغوطة الشماليـة والغوطة الجنوبية .

المرج : يقع المرج شرقي الغوطة حتى البحـيرات ، ويمتد اكثر منها الى الجنوب . يقسم نهر بردى المرج ايضاً الى قسمين ، المرج الشمالي والمرج الجنوبي .

وادي العجم : يشمل وادي العجم كل اقسام السهل الجنوبية الواقعة بين الكوَر المذكورة اعلاه والجبل الاسود ، وكذلك وادي نهر الاعوج . اما وراء وادي العجم فيقع لواء حوران في الجنوب الشرقي ، وجيدور ، اي ايتوريا Iturea القديمـة ، في الجنوب .

فيما يلي عدد القرى في هذه الكوَر الخمس ، وعدد سكانها نقلاً

عن سجلات الحكومة ، ولكن المرسلين يقدرون ان عدد السكان كما اعطته الحكومة هو اقل من الرقم الحقيقي ، وينقص عنه عشرين بالماية على الاقل :

	عدد القرى	عدد السكان
الغوطة الشمالية	١٩	١٦٨٠٦
الغوطة الجنوبية	١١	٢٣٧٠
المرج الشمالي	٢٣	٤١٧٦
المرج الجنوبي	٣٠	٦١٧٠
وادي العجم[١]	٥١	١٨١٨٧
المجموع	١٣٤	٤٧٧٠٠

وهذا الرقم لا يشمل سكان المدينة نفسها .

التلال

خرائب قرى سابقة. اكمة الصالحية. نقوش اشورية بارزة.
اجر مجفف بالشمس .

ان سطح السهل مطمئن من اوله الى آخره . يتبعثر على هذا السطح المنبسط عدد من التلال او الاكيمات في انحاء عديدة . اكثر هذه الاكيمات تجمعت وتكومت من خرائب قرى سابقة ، فالمساكن المبنية من التراب تفتتت وسقطت على التوالي ، وشيّد

١ اظن ان وادي نهر الاعوج أدرج في هذه اللائحة مع وادي العجم .

مكانها مساكن بمواد جديدة . وهكذا على كرور الايام ، تجمعت تلك الخرائب والبقايا ، فاصبحت اكيات في حالتها الحاضرة ، كما حصل في القرى المصرية . قد تكون بعض هذه الاكيات صناعية من عمل اناس من جيل سابق . اما الصالحية التي تبعد ثلاث ساعات ونصف الساعة عن المدينة ، فهي من اكبر الاكيات في السهل . وجد المستر بورتر بلاطة من الحجر الكلسي بجانب اكيمة الصالحية ، عليها نقش اشوري بارز ، ولا تزال طبقات من الآجر المجفف بالشمس باقية الى الآن في المكان الذي جرف نهر بردى ترابه [١] .

التربة

ان تربة سهل دمشق صلصالية رملية خصبة . الطبقة التحتية مكتّلة ، مركبة من حصى ملساء مدورة وصوان يخالطها الرمل . والقسم الكبير من وادي العجم هو من الصخر البركاني الاسود الصلب . اما تركيب الجبل الاسود فكله من الصخر البركاني تقريباً . الصخر الكلسي في اقاليم انتي لبنان العالية متلاز ، وله رنة معدنية اذا قرع عليه . وهو ابيض وهش بالقرب من دمشق . وفي صخور جبل قاسيون الهشة اصداف جميلة .

١ راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٦٧٩ .
Journ. of Sac. Lit. Jan. 1855, p. 469.

الانهر والينابيع

نهر بردى . اسمه القديم . مصدره . مجراه . مصبه . غزارة
مائه . الترع المسحوبة منه . ترعة يزيد . ترعة طورة .
ترعة العقرباني . ترعة بانياس . نهر الاعوج . اسمه القديم .
امانة . فرفر . النهر المكبرت . نبع عين القصير . نبع
عين الحاروش .

ان ما يتحلى به سهل دمشق من الجمال ، وما يمتاز به من الخصب ، مصدرهما الرئيسي نهر بردى الذي يسميه الاقدمون كريسورهواس Chrysorrhoas ، وقد قمت بزيارة ينابيعه بعد ان دونت ما اتصل بي من المعلومات عنه . ينبع نهر بردى في السهل المرتفع جنوبي الزبداني في انتي لبنان ، ثم يندفع منحدراً من الجبل باتجاه الجنوب الشرقي ، ويخرج من هوته الى السهل عند المزة . هنا يتحول الى الشرق ، ويجري بجانب سور المدينة الشمالي ، ويتابع مجراه عبر السهل الى البحيرتين الشماليتين . يصعب تقدير كمية المياه التي يجلبها هذا النهر الى السهل ، ولكنها جد غزيرة . وهو نهر جبلي عميق ومتسع ، ويندفع بقوة في مجراه . ومع ان الترع المسحوبة منه لتزويد المدينة والسهل بالماء لا تقل عن التسع او العشر ، والبعض منها جد غزير ، فانه يستمر في جريانه بغزارة ، كأن لم يؤخذ شيء من مائه ، ويدخل البحيرة الوسطى بقناتين . اما ماؤه فصاف وجميل .

اما اكبر ترعتين ، وهما يزيد وطورة ، فتقعان الى الجهة الشمالية . الترعة الاولى مسحوبة منه من فوق دمر بالقرب من الهامة ،

والثانية مسحوبة فوق دمر قليلاً ، وكلاهما مسحوبتان جنباً الى جنب وسط الهوة الضيقة . اما ترعة يزيد فتموّن الصالحية ، وحقول قريتين اخريين او ثلاث شمالي المدينة . وتروي ترعة طورة ، التي تجري تحت الصالحية ، وهي اكبر رافد بينهما ، بقعة شاسعة على جانبي الطريق الشمالية الكبيرة حتى عدرة ، على بعد اربع ساعات ونصف الساعة من المدينة . وهناك تتحول الى الجنوب الشرقي وتجري الى البحيرة الشمالية[1] . في الشمال ترعة ثالثة اصغر منها تبدأ شرقي المدينة تماماً ، وتموّن عدة قرى .

في الجانب الجنوبي عدة ترع صغيرة ، احداها مسحوبة من فوق دمر ، واخرى تحتها ، وثالثة في الهوة . والترعتان الاوليان تنقلان الماء الى قرى في السهل ، والثالثة تزوّد البساتين في تلك الناحية ، والقسم الجنوبي من المدينة . والترعة الرابعة بانياس ، وهي اكبرها على هذا الجانب ، تبدأ على مقربة من المدينة وهي المزوّد الرئيسي للسكان . الترعة الخامسة ، وهي العقرباني ، مسحوبة وسط المدينة الى قرية عقربا . وترعة سادسة مسحوبة تحت المدينة تماماً ، وتموّن عدة قرى ابعد الى الشرق . وتوجد عدة ترع اخرى مسحوبة من مجرى النهر الاسفل ، تنقل الماء الى الاقسام الوطيئة في الغوطة والمرج[2] .

١ راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٤٥٥ .

٢ ان اسماء اكثر الترع لا تزال هي اياها كما يذكرها ابن الوردي في القرن الرابع عشر .

See App. to Abulfed. Tab. Syr. ed Kohler, p. 174 sq.

ويذكر الادريسي في القرن الثاني عشر في جملة ما يذكره الترع التالية: بريد(يزيد)،

ذكرت سابقاً ان نهر بردى هو كريسورهواس الاقدمين ، ويذكر بلني انه مصدر خصب لدمشق [١] . اما استرابو فيقول ان الترع تستنزف ماءه [٢] . وفي القرن الخامس يسميه ستيفن البزنطي Stephen of Byzantium بردينز Bardinez ، وهذا يعني ان الاسم بردى كان سابقاً مألوفاً بين الناس [٣]. يذكر الكتاب المقدس نهرين في دمشق هما امانة Amana (او ابانة Abana) وفرفر Pharphar ، والارجح ان بردى هو امانــة [٤] لسببين : السبب الاول هو ان امــانة ذكر اولاً ، ومن الطبيعي ان يذكر النهر الاهم والاغزر اولاً ، والسبب الثاني هو ان جزءاً من انتي لبنان يجاور حرمون اسمه امانة ، وهو يوافق المكان الذي ينبع منه

بورة (طورة) ، قناة المرج (المزة) ، باناس . ولكن هذا الاختلاف في الاسماء (خلا اسم الترعة الاخيرة) ليس سوى تغيير في النقاط التي تلازم الاحرف العربية كما يظهر.
راجع :
Edrisi par Jaubert, I. p. 350.

١ Plin. H. N. 5. 16 « Damscum ex epoto riguis amne Chrysorrhoa fertilem. »

٢ Strabo, 16. 2. 16 p. 755.

٣ Steph. Byz.
ولكن سيلاريوس يرتاب في صحة ما يقول ستيفن البيزنطي :
Notit. Orb. II. p. 373.
But see Vitriugo on Isa. c. 17, init. iv.

٤ ذكر هذان النهران في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الخامس، العدد الثاني عشر .
The reading of the Hebrew in Keri is Amana, which stands also in the margin of the English version. This is douptless the better reading.

بردى في الجبل [١].

وعلى هـذا الاعتبار يكون النهر الثاني ، اي فرفر الذي جاء ذكره في الكتاب المقدس ، هو نهر الاعوج [٢] ، وهو حقـاً النهر الوحيد المستقل الذي يستحق ان يطلق عليـه اسم نهر في اقليم دمشق . والاعوج هذا يتكوّن من عدة انهر صغيرة عند سعسع او بالقرب منها . يأتي احد هذه الانهر الصغيرة من ينبوع بالقرب من بيت جن الواقعة على الطريق بين سعسع وبانياس ، وابعد الى تحت ينضم اليه رافد يجري من ينبوع غزير عند منبج [٣] . وينضم اليه رافد اغزر ، منابعه في الشمال الغربي ، بين اودية جبل الشيخ ، فينحدر من قرية عرني ، ويمر شمالي كفرحوَر [٤] . يخرج الاعوج من سعسع ويجري اولاً الى الشمال الشرقي باتجاه دمشق وهو بعد « نهر صغير قوي » [٥] ، ثم يدور ملتويـاً شرقاً بجنوب تقريبـاً ، ويجري في مجرى لولبي حتى الكسوة القـائمة على ضفته الشمالية ، ثم ينعطف بلطف بعـد الكسوة حول قمم جبل مانع الاخيرة

١ جاء ذكر نهر امانة في نشيد الانشاد ، الاصحاح الرابع ، العدد الثامن . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٩ ، ص ٣٧٠ وما بعدها .

٢ ان جل ما اعرفه عن هذه المسألة هو ان مونرو Monro هو اول من اشار الى ان نهر فرفر هو نهر الاعوج نفسه . راجع :
Summer ramble, etc. II. p. 54.

٣ زار القس المستر و. م. تومسون هذه الينابيع ووصفها . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٩ ، ص ٣٦٨ .

٤ يظهر ان هذا النهر هو نفس النهر الذي يسمى الصابراني على اسم قرية بيت صابر. ويخطيء بركهاردت باطلاقه ذلك الاسم على جزء نهر الاعوج الاعلى . راجع ص ٣١٢ .

٥ Schubert, III. p. 271.

المرتفعة ، ويجري معوجاً وسط السهل المرجي ، ويدخل البحيرة الجنوبية التي لا تبعد كثيراً جنوبي قرية هيجاني . اما مياهه فلا تصل دائماً الى البحيرة . في تشرين الثاني من العام ١٨٥٢ ، كان مجراه جافاً كل الجفاف تحت قمم جبل مانع [١] . على ضفة نهر الاعوج اليسرى فوق جون ، سحبت ترعة كبيرة لري حقول تلك القرية وحقول غيرها من القرى [٢] . وعلى الضفة اليمنى عند الكسوة سحبت منه ترعة اخرى لري الجنائن والبساتين في عدَليه وحرجله الواقعتين الى تحت [٣] . اما القسم الاعلى من الاعوج فيجري « في مجرى عميق من حجارة حوران السوداء [٤] » ، ولكن التراكيب البركانية السوداء تنتهي عند جون [٥] .

لا يمر وسط السهل اي نهر هام غير ما ذكرنا ، ولكن تدخله نهيرات متنوعة من الاودية والينابيع في الغرب والشمال ، فتمتصها التربة بسرعة حال دخولها وتستنزفها لاخصابها . يأتي احد هذه

١ راجع ما كتبه ج. ل . بورتر في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٣٣٩ .
قابل الصفحات ٦٢ الى ٦٥ ، والصفحة ٣٤٤ .

٢ راجع ما كتبه و . م. تومسون في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٩ ، ص ٣٦٧ .

٣ راجع ما كتبه ج. ل. بورتر في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٣٤٤ .

٤ راجع ما كتبه بركهاردت بهذا الخصوص ، ص ٣١٢ .

٥ راجع ما كتبه و. م. تومسون في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٩ ، ص ٣٦٧ .
ويقول الدكتور ويلسن « ان الصخور الرخامية السوداء والصخور الطباشيرية تلتقي عنده (اي الاعوج) ، على المستوى نفسه . فتكون الصخور الرخامية السوداء ضفته اليمنى ، والصخور الطباشيرية ضفته اليسرى . اما الصخور الرخامية السوداء فتنتهي حيث تتركه طريق دمشق . راجع بلاد التوراة ، المجلد الثاني ، ص ٣٢٤ .

النهيرات الصغيرة من الوادي الواقعة فيه قرية قلعة جندل وراء قطنا[1] . ويأتي نهر آخر من ينبوع بالقرب من مرعبا الواقعة في الوادي تحت منين وحلبون ، ويجري منحدراً الى برزة فيسقيها وقسماً من السهل[2] . يبـدأ نهير آخر من ينبوع جميل بالقرب من قرية الحفاير الصغيرة في الصحراء الشمالية ، وينحدر في مضيق عميق الى سهل دمشق فتمتصه التربة حال دخوله . بجانب سفح هذه الآكام قنـاة قديمة لا تزال باقية في السهل ، وتبدو متجهة الى دمشق ، والظاهر انها كانت تستمد ماءها من هذا النهير[3] . يدخل ايضاً نهير رابع الى القسم الشمالي الشرقي من السهل جارياً من ينبوع بالقرب من الرحيبة في سهل جرود ، يسمى النهر المكبوت ، مع ان ماءه عذب جيـد . وهو نهر جميل يمر وسط مكسورة ويروي السهل وراءها . تمتص التربة ماءه صيفاً ، ولكن في الشتاء يصب في البحيرة الشمالية .

الينابيع

مخطط بركهاردت . عين القصير . قرية القصير . عين الحاروش .

في السهل نفسه توجد احياناً ينابيع طبيعية ربما كان منهـا الينبوع الذي يبعد ربع ساعة عن قطنا ، والذي يزودها بالماء ،

١ راجع ما كتبه ج. ل. بورتر في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٦٥ .
٢ The same ; Ms. note.
٣ The same ; Biblioth. Sac. 1854, p. 692.

وتستنزف الحقول الواقعة على بعض المسافة تحتها ما بقي من مائه . وهذا الينبوع لا يجري شرقاً عبر طريق الحج ولا يتجاوزها ، كما يظهر على مخطط بر كهاردت [١] . اما الينبوع الآخر فهو عين القصير ، وهو يقع في السهل بالقرب من سفح الآكام الشمالية ، ويبعد خمساً وثلاثين دقيقة عن دوما باتجاه بين الشمال والشمال الشرقي . توجد ايضاً ثلاثة ينابيع جنباً الى جنب ، والجدول الذي يخرج منهـا يروي بقعة كبيرة من الحقول والكروم ، وما يفيض عنها يصب في الطورة . على مسافة عشرين دقيقة تحت الينبوع ، قرية خربة هي القصير . اما القناة القديمة التي ذكرناها قبلاً فتمر فوق الينبوع ولكنها لا تمت اليه باية صلة [٢] .

اما اكبر ينبوع في السهل ، فهو عين الحاروش على مسافة ساعة ونصف الساعة مـن دمشق باتجاه الجنوب الشرقي بجنوب . يجري من هذا الينبوع نهر جميل ويتجه الى الشرق ويروي خمس قرى كبيرة وجناتها وحقولها [٣] .

الينابيع الصناعية

حفر الآبار . اتصالها ببعضها . نهر سبينه . نهر البردي .
استرجاع قسم من الماء .

تُستعمل في سهل دمشق طرق اخرى صناعية للري على نطاق

١ J. L. Porter in Biblioth. Sac. 1854, p. 65.
٢ The same ; Ms. Note.
٣ The same ; Biblioth. Sac. 1854, p. 332.

واسع ، كما تُستعمل ايضاً في سهول جرود والقريتين على الطريق الى تدمر . ففي نواحي السهل التي لا يمكن وصول الترع اليها من النهر او الجداول الاخرى ، ينظمون او يصنعون ينابيع صناعية . اما طريقة بنائها فكما يلي : تحفر بئر او حفرة الى عمق ما ، فيظهر الماء ، وهذا غالباً ما يكون على عمق عشرين او ثلاثين قدماً . ثم يُسار مع انحدار السهل باتجاه بين الشرق والجنوب الشرقي الى مسافة مئة قدم او اكثر ، وتحفر بئر اخرى دائرية يتصل قعرها بقعر البئر الاولى ، فيجري الماء اليها . وهكذا تحفر الآبار بالتوالي متصلة ببعضها حتى يصبح الماء في البئر الاخيرة على سطح الارض ، فيجري جدولاً ويوزع على الحقول . يستغرق ظهور الماء بالطريقة هذه مسافة نصف ميل او ميل واحد تبعاً لانحدار السهل المحفورة فيه هذه الآبار . بهذه الطريقة يسترجع قسم من الماء الذي استهلك سابقاً في اعمال الري ، فيُستعمل ثانية للغرض نفسه .

يُستدل على هذه الترع المسحوبة تحت سطح الارض بصفوف طويلة من الاكيمات الدائرية حول فوهات الآبار . تبدأ بعض الصفوف من هذا النوع بالقرب من الميدان . يرى المار جنوباً بجانب طريق الحج ، على مسافة نحو ساعة من المدينة ، جدولاً صغيراً في مجرى صناعي عميق حُفر بهذه الطريقة . وعلى مسافة ربع ساعة منه ، جدول آخر شبيه به اسمه نهر سبينه ، وهو يروي قرية بالاسم نفسه على مسافة قصيرة شرقاً . على مسافة عشر دقائق من هذا الاخير ، وعلى البعد نفسه من سفح جبل الاسود ، نهر اكبر منه اسمه البردي جمعت مياهه بالطريقة نفسها ، تبدأ

ترعته على مسافة عشرين دقيقة غربي الطريق وبعد خمس دقائق وراء الاشرفية القرية الدرزية. وهـــذا النهر يروي قرية البويدة الواقعة على نحو ساعة شرقي الطريق، ويُستنزف في الجنائن والحقول تحتها[١]. في القسم الشمالي الشرقي من السهل وراء مكسورة ذكرت لنا ترعتان من هذا النوع[٢]. ويقال ايضاً ان بين المدينة والبحيرات عدة سلاسل متتابعة من هذه الترع، يبدأ الصف منها حيث يبدأ ماء سابقاتها يتوزع على سطح السهل[٣].

اما الان فكثير من هذه الترع قد سدت بالاوساخ والتراب ولم تعد تصلح لنقل الماء، ولكن اكمامها لا تزال تدل عليها. اما الوقت الذي صُرف، والعمل الذي توالى، والدقة التي تُوخيت، والمصاريف التي تكبدت في التجارب المتنوعة لري السهل فمما لا يمكن احصاؤه. وقد يبدو ان السكان عاشوا اجيالاً عديدة في الماضي، كما لا يزالون يعيشون في الوقت الحاضر، على الجهود التي بذلها اسلافهم.

١ راجع ما كتبه ج. ل. بورتر في المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤، ص٣٤٢ و ٣٤٣.

يظهر نهر البردي على مخطط بركهاردت خارجاً بالقرب من قطنا وجارياً الى البحيرات. اما على مخطط برغوس Berghaus فيبدو خارجاً من مسافة مرتفعة على جانب حرمون. وهو لا يجري مطلقاً الى البحيرات.

٢ وهذا مثله. راجع ما كتب عنها في المكتبة المقدسه، العام ١٨٥٤، ص ٤٥٤.

٣ وهذه الترع مثل التي قبلها، ذكرت في ملاحظة مخطوطة.

البحيرات

البحيرة الجنوبية . البحيرة الشرقية . بحيرة هيجانة .

ينحدر سهل دمشق بتؤدة الى الشرق او بالاحرى الى ما بين الشرق والجنوب الشرقي مسافة نحو عشرين ميلاً ، فيصل الى معظم انخفاضه حيث ينتهي بحوض عريض يشتمل على ثلاث بحيرات . اما وراء هذه البحيرات الثلاث فيسترجع السهل ارتفاعه التدريجي الى مسافة اثني عشر ميلاً او خمسة عشر حتى صف التلول . وهذه البحيرات والحوض الكبير لا مصرف لهـا ، فهي اذاً الحوض او الاناء الطبيعي لمياه سائر انهار سهل دمشق وينابيعه .

اما هذه البحيرات فهي حتى الان غير معروفة نسبياً [١] ، ولم يزرها اي سائح . مر بجوارها مرسل او اثنان ، وقد دونتُ في يومياتي سائر الملاحظات والاستعلامات التي تمكنا من اعطائي اياها . ولكن في تشرين الثاني من السنة نفسها (١٨٥٢) ، ذهب القس روبصن وبورتو وبارنيت خصيصاً في نزهة لاستكشافها ، وقد نشر المستر بورتو تقريره الضافي عنها [٢] . ولذلك فسأكتفي بتدوين خلاصة مختصرة عن نتيجة الابحاث التي اجروها .

تستقبل البحيرتان الشماليتان مياه بردى وكل مياه القسم الشمالي من السهل . امـا البحيرة الواقعة في اقصى الجنوب فتسمى بحرة

١ يتحدث ابو الفـدا عن هذه البحيرات الثلاث ويعتبرها بحيرة واحدة .
راجع Tab. Syr. Suppl. ed. Kohler, p. 157.

٢ راجع المكتبة المقدسة ، نيسان العام ١٨٥٤ ، من الصفحة ٣٢٩ الى ٣٤٤ .

القبلة اي البحيرة الجنوبية ، وهي تقع اكثر من الاخرى الى الغرب . والثانية تسمى بحرة الشرقية ، اي البحيرة الشرقية . اما البحيرتان فمن حجم واحد تقريباً ، ويراوح قطرهما من ستة اميال الى سبعة ، ودائرتها نحو عشرين ميلاً . تفصل البحيرتين قطعة مرتفعة من الارض الصلبة عرضها نحو ميل تقريباً . تغطي قسماً من سطح البحيرتين بقاعٌ من الماء الصافي ، وتغطي القسم الآخر اجمات شاسعة من القصب المتموج الطويل الذي يرتفع من عشر اقدام الى عشرين قدماً . يمتد جانب بركة القبلة الغربي من جديدة الخاص في الجنوب الغربي الى عطيبة في الشمال الشرقي مسافة نحو ساعتين . يصب في هذه البحيرة رافدان رئيسيان لبردى ، الواحد يصب جنوبي عطيبة تماماً ، والثاني على بعض المسافة منه جنوباً . ويشهد السكان عموماً ان بردى يصب ماءه دائماً في البحيرة ، وان ماء البحيرة لا ينضب مطلقاً . واذا حدث ما يغير هذه الشهادة ، فذلك يحدث في سني القيظ الغير عادية ، وهذا نادراً ما يحدث . اما في البحيرة الشرقية فيصب رافد آخر من بردى شمالي عطيبة . ويصب فيها ايضاً الفائض من ماء طورة . وفي فصل الشتاء يجري اليها النهر المكبرت منحدراً عن طريق مكسورة . ولكن يقال ان المزوّد الرئيسي الهام لهذه البحيرة هو الماء الذي يفيض عن البحيرة الاخرى في فصل الشتاء ، وهذا يتسرب اليها بواسطة خندق عميق وعريض بالقرب من الجزء الجنوبي الغربي منها ، وهو يصب بانتظام منسجم حتى لتخاله صناعياً ، ولكنه ليس كذلك . ويقال ان البحيرتين تقتربان من بعضهما في مواضع عدة عندما ترتفع المياه فيهما ، حتى انهما تلتقيان في واد ضيق . ولكن هذا غير عادي ، والبقعة التي

تفصل بينهما تختلف اتساعاً بين النصف ميل والميل الواحد .

يقال ان هذه البحيرات تزود اسواق دمشق بمقدار من الاسماك الطرية [1] ، وتلجأ الخنازير البرية الى اجمات القصب فيها .

اما البحيرة الثالثة فتقع الى الجنوب والجنوب الشرقي من قرية هيجانة ، فتسمى بحرة هيجانة . تفصل هذه البحيرة عن بحرة القبلة بقعة من الارض اكثر ارتفاعاً منها ، اتساعها ساعة من الزمن ، وليس ثمة علاقة بين البحيرتين . والبحيرة هذه اصغر من البحرتين الاخريين ، قطرها نحو خمسة اميال ، ودائرتها لا تتجاوز كثيراً الخمسة عشر ميلاً . يصب النهر الاعوج في زاويتها الشمالية الغربية ، على بعد نحو عشرين دقيقة من قرية هيجانة . في تشرين الثاني من العام ١٨٥٢ كانت البحيرة جافة تماماً وكذلك النهر ، ولكن القصب المتموج ولون التربة دلا على حدود ماء البحيرة في فصل الشتاء . ويقول السكان المجاورون للبحيرة انها نادراً ما تنضب تماماً ، فيصب في البحيرة مجرى ماء شتوي اسمه اللوا ، يأتيها من الجنوب ويدخلها من زاويتها الجنوبية الغربية .

قرى السهل الثلاث

مكسورة . عطيبة . هيجانة .

اما قرى سهل دمشق الثلاث الواقعة في اقصى الشرق منه ، فهي مكسورة ، وعطيبة ، وهيجانة ، وهي واقعة في خط مستقيم ،

[1] Seetzen, Reisen, I. p. 304.

وموقعها من دمشق شمالاً ٢٧ درجة شرقـاً . اما سائر البقعة الشاسعة الواقعة جنوبي البحيرات وشرقيها فهي غير آهلة بالسكان في الوقت الحاضر . وهي محرقة وقفر في الخريف ، ولكن في الربيع تتوافر فيها المراعي الخصبة وتنتشر عليها قطعان بني صخر وولد علي الكثيرة فتغطيها .

خرائب اديرة

في منتصف الطريق بين البحيرات والنلول ، على السهل المرتفع وراء البحيرات ، ثلاث خرائب يظهر انها اطلال ابنية كبيرة ، تبعد عن بعضها عدة اميال يسميها العرب ديوراً (اديرة) . لم تنعم هذه الاطلال بزيارة احد ، ولا يعرف لها اصل او مميزات . وقد تكون « الاماكن التي تحمي من العدو » ، او هي مراكز محصنة يتحدث عنها ابو الفدا في كلامه عن البحيرات ١ .

الزراعة

ان اكثر افسام السهل المجاورة للمدينة مخصصة لزراعة الاشجار المثمرة والخضار . اما في الاقسام البعيدة فيكثرون من زراعة الحبوب المتنوعة لاستهلاك الانسان والحيوان . فالتبـغ ، والقطن ، والكتان ، والقنب ، والفوة ، والخروع تزرع بكثرة . ولكن التبغ

١ Tab. Syr. Suppl. ed. Kohler, p. 157.

لا يسد الا جزءاً يسيراً من الاستهلاك . اما شجرة الفوّة فاكثر ما تزرع في سهل النبك [١] .

اما الاشجار فأكثرها من الزيتون وبساتينها تزود دمشق بربع ما تستهلكه من الزيت المستعمل للاكل ، والوقيد ، وصنع الصابون [٢] . ويرى الحور الطويل الممشوق باوراقه الفضية في انحاء عديدة لاسيما على ضفاف وادي بردى وجداوله ، وهي الاشجار الوحيدة تقريباً التي تنتج الخشب للبناء . اما حطب الوقود فيؤخذ اكثره من الزيتون والمشمش [٣] . وانك لترى القليل من النخيل والسرو والدلب . اما عظمة دمشق فهي في جناتها وبساتين او غابات الاشجار المثمرة التي تحيط بها على اميال عديدة وتحجبها عن الانظار . الخضار من كل نوع كثيرة ورخيصة ، وغزارة الماء تساعد على زراعتها ونموها ولاسيما نمو الاشجار المثمرة . ان انتاج سائر اصناف الثمار تقريباً حول دمشق هو اما في السهل او في وادي بردى . وقد رأينا ، خلا الزيتون ، الاثمار التالية او سمعنا بها ، وهي : البرتقال ، الليمون الحامض ، الكباد (في ساحات المساكن) ، التفاح ، الاجاص ، السفارج ، الدراق ، المشمش ، اللوز ، الخوخ ، البرقوق ، العنب ، التين ، الرمان ، التوت الجوز ، البندق والفستق الى آخر ما هنالك من الاصناف [٤] .

١ Bowring's Report, pp. 17, 18, 93.

٢ Ibid. pp. 16, 92.

٣ Seetzen, Reisen, p. 29.

٤ Comp. Lands of the Bible, II. p. 326.

Von Trolio, p. 440.

ويقول شوبيرت ان اشجار المشمش اكثر انتشاراً من سواها ، ثمرها لذيذ ، وكثيراً ما

اما الخمرة الدمشقية فتعد بين اجود الخمور السورية . والعنب ينضج باكراً في شهر تموز ، ويقال انه يظل معروضاً في الاسواق ثمانية اشهر[١] .

هذا هو السهل النفيس ، وهو ركن هذه المدينة الشرقيـــة العظيمة . وقد احسن ابو الفدا بقوله عنها : « ان غوطة دمشق هي احدى الجنات الاربع التي تفوق اجمل الاماكن في العالم . امـا هذه الجنات الاربع فهي : ١ – غوطة دمشق ، ٢ – شعب البوّان ، ٣ – نهر ابلله ، ٤ – صغد سمرقند . اما غوطة دمشق فتفوق الثلاث الاخرى[٢] . ويجاريه جوليـــان Julian في ذلك فيسمي دمشق : « مقلة الشرق كله[٣] . »

المدينة

الاسم العبري . الاسم العربي . الاسم العـــامي . المدينة القديمة . الشوارع . الشارع المستقيم . حـــارة المسيحيين . البيوت . مسكن القنصل البريطاني .

تحتضن دمشق غابة فسيحة من الاشجـــار المثمرة ، وتخترقها وتحيط بها الانهر المتلألئة ، فهي غارقة وسط نعيم ارضي . ذلك

يأكلها الاهلون فجة .Reise lll

١ Seetzen, Reisen, I. p. 140.
٢ Abulfeda, Tab. Syr. ed. Kohler, p. 100.
٣ Epist. 24, ad Serapion.

هو موقع دمشق التي طارت شهرتها في الآفاق . وهي من اقدم مدن العالم . واني اقتربت منها يسحرك جمال مدخلها ، لا فرق بين ان تأتيها عن طريق سلسلة انتي لبنان ، او على الطريق الشمالية الكبيرة من حماة وحلب ، او من الصحراء الشرقية .

والمدينة ، كما ذكرت سابقاً ، تقع على بعد ميل من سفح جبل قاسيون . اما مركزها الجغرافي فلا يختلف كثيراً عن ٣٣ درجة و ٣٢ دقيقة و ٢٨ ثانية شمالاً من خط العرض ، و ٣٦ درجة و ٢٠ دقيقة شرقاً من خط الطول قياساً من غرينويتش [١] . ويقول شوبيرت ان ارتفاع موقعها فوق سطح البحر هو الفان ومئة وست وثمانون قدماً باريسية [٢] ، او ما يعادل نحو الفين وثلاثماية وثلاثين قدماً انكليزية .

اما الاسم داماسكوس Damascus فهو من التسمية العبرية

١ هذا هو موقع دمشق الذي يعينه بيرغوس (راجع المذكرة عن مخططه ص ٢٨) . اما انا فلم ار بياناً احدث منه او يفضله مما نشر عن دمشق حتى الان . وليس خط الطول المذكور سوى خط تقريبي مقتبس عن كتب الادلة . اما كيبرت Kiepert فيضعها على مخططه الحديث على دقيقة او دقيقتين ابعد الى الغرب . اما خط العرض فهو من ملاحظات سيتزن وكوري Corry . راجع بيرغوس .l. C

٢ Reise, III. p. 283.

Russegger has 2304 par. feet.

Reisen, I. p. 729.

اما القياسات التي سجلها المستر بورتر فهي الفان ومئتا قدم انكليزية . والمعدل هو القياسات التي سجلها شوبيرت بالضبط .

ويقول المستر بورتر ان جبل قاسيون يعلو ثلاثة الاف وثمانماية واربع عشرة قدماً انكليزية فوق البحر ، او الفاً وستماية واربع عشرة قدماً فوق السهل . Ms. note.

القديمة دا"مسك Dammesk [1] . وفي الصيغـــة العربيـة دمشق Dimeshk ، وهذا الاسم لا وجود له الا عند المؤلفين الجغرافيين [2] اما الاسم المتعارف عند العامة فهو الشام ، وهو الاسم العـــام لسوريا ، ويعني اليسار او الشمال [3] .

ان الاكثرية الساحقة من سكان دمشق هم المسلمون . ودمشق مدينة مركزية للدين الاسلامي ، يجتمع فيها الحجاج السوريون ومنها يذهبون الى الحج كل سنة .

احصاء السكان

وفيما يلي احصاء سكان دمشق والصالحية ، القرية المجاورة لها ، مأخوذاً عن احصاءات الحكومة المصرية في العام ١٨٣٨ :

اسلام ودروز		٧٤٩٤٦
يهود		٤٦٣٠
مسيحيون ارثوذكس	٥٩٩٥	
روم كاثوليك	٦١٩٥	
سريان	٢٦٠	

١ Abulfeda, Tab. Syr. p. 100.

٢ Schultens Vita Salad. Ind. art. Damascus.

٣ وهكذا كايوره Cairo فتكتب القاهرة باللغة العربية ، ولكن الاسم الشائع المعروف هو مصر ، وهو اسم Egypt ، اي القطر المصري . راجع المجلد الاول للمؤلف ، ص ٢٣ (i ٣٥) .

سريان كاثوليك	٣٥٠	
موارنة	٤٠٥	
ارمن	٤٠٥	
ارمن كاثوليك	٢٣٥	
لاتين	١١٠	١٣٩٥٥
ارقاء وخدم	٤٠٠٠	
جنود	٦٠٠٠	
اجانب ومحميون[١]	٥٠٠٠	١٥٠٠٠
		١٠٨٥٤٩ المجموع

ولكن هذه الارقام تعتبر اقل من الحقيقة بكثير . ففي العام ١٨٥٢ كان عدد سكان دمشق وحدها يقدر عموماً بمئة وخمسين الف نفس[٢] .

موقع المدينة القديمة

تقع المدينـة القديمـة بكاملها جنوبي بردى الذي ينساب بجانب سورها الشمالي . وفي الازمنة الحديثة امتدت ضاحية منها عبر النهر

١ اي تحت حماية دولة او شخص ما . — المعرب .

٢ اما تقديرات بورينغ عن سكان دمشق والقرى المجاورة فهو اقل مما جاء في الاصل . راجع تقاريره ، الصفحتين ٤ و ٧ .

الى الناحية الشمالية الغربية . ثم امتدت ضاحية اخرى منها اكبر كثيراً من تلك الى الجنوب الغربي والجنوب ، ثم شيّد الميدان بجانب طريق الحج باتجاه الجنوب .

بعد هذا الامتداد والاتساع ، اصبح شكل المدينة البيضي القديم يشابه طيارة للاولاد عديدة الزوايا ، طويلة الذيل ، يمتد ذيلهـــا جنوباً [1]. اما الآن فيحيط بهذه المجموعة سور حديث ، بينما لا يزال السور الجنوبي القديم يجر ذيله ماراً في منتصف المدينة حتى القلعة .

اما محيط دائرة المدينة على طول السور الخارجي الحديث ، فهو نحو اربعة اميال [2].

١ بني الميدان خلال القرن الماضي .

وفي العام ١٦٧٧ وصف مونـدريل دمشق بقوله « انها شكل مستطيل مستقيم ، يتجه طرفاها الى الشمال الشرقي والجنوب الغربي تقريباً . منتصفها جد هزيل ، ولكن طرفيها يبرزان فيزدادان حجماً ، ولاسيا طرفها الشمالي الشرقي . » راجع رحلته الخ ، ٢٧ نيسان .

اما رسم دمشق لنيبوهر فهو جد ناقص مع تناقض .

٢ يقول الدكتور ويلسن انه صرف ساعة وعشرين دقيقة في دورته راكباً حول الاسوار .

Lands of the Bible, II. p. 364.

ويقول سيتزن ان قطر مدينة دمشق من البوابة الشرقية الى البوابة الغربية هو ثلاثون دقيقة ، ومن الشمال الى الجنوب ساعة .

Reisen, I. p. 277.

شوارع دمشق

قناة وسط الشارع . مصاب للاقذار . الشارع المستقيم .
تعدد الابواب .

تترك بعض شوارع دمشق تأثيراً حسناً في الناظر اليها ، ولكنها عموماً حقيرة وقذرة ، ضيقة ومعوجّة . وهي مبلطة ببلاط بركاني اسود على الطريقة الشرقية . في منتصفها قناة او ممر اوطأ منها . في بعض الشوارع حفر كبيرة او مصاب للاقذار عميقة ، لا يخلو المرور فوقها من الخطر[1] . اما الشارع الرئيسي في المدينة فيمتد من الباب الشرقي باتجاه مستقيم نوعاً وسط المدينة حتى احد الابواب الغربية . في هذا الشارع تكثر المارة جيئة وذهاباً ، ويتعرف المرء فيه الى التجارة الشرقية . يختلف اسم هذا الشارع عند المسلمين باختلاف النواحي التي يمر فيها ، ولكن المسيحيين يعتبرونه « الشارع الذي يسمى المستقيم » المذكور في العهد الجديد ، وهو الشارع الذي اقام فيه بولس الرسول وقتاً قصيراً[2] . ويروى — ويعتقد الرواة بما يروون ، ويصدق الجمهور الرواية — ان صفاً من الاعمدة كان يمتد سابقاً على جانبي هذا الشارع ، وان بقية هذه الاعمدة لا تزال موجودة داخل البيوت المجاورة . فاذا صحت الرواية فتكون هذه النظرية مستندة الى اساس ، ولكني لم اسمع ان احداً رأى هذه الاعمدة .

١ قابل ما جاء في المتن عن شوارع دمشق بتقرير بورينغ ، ص ٩٨ .
٢ راجع سفر اعمال الرسل ، الاصحاح التاسع ، العدد الحادي عشر .

للعديد من الشوارع ابواب كما هي الحالة في القاهرة . وهذه الابواب تقفل كل ليلة بعد مضي ساعة ونصف الساعة على غروب الشمس ، ولكنها تفتح لاي كان يريد المرور لقاء دفع بضع بارات . اما ابواب المدينة الخارجية فعديدة ويقال انها لا تقل عن الثلاثين او الاربعين . وفيما يـلي اسماء بعض الابواب الرئيسية : الباب الشرقي ، باب توما في الشمال الشرقي ، باب السلام في الشمال ، باب الصالحية في الشمال الغربي ، باب السريجي في الغرب ، باب الله في طرف الميدان الجنوبي حيث يخرج الحج .

تشغل حارة المسيحيين سائر القسم الشرقي من المدينة . تجاورها حارة اليهود مـن الغرب ، ولكنها تقع بالاكثر جنوبي الشارع الرئيسي المستقيم . اما ما بقي من المدينة والضواحي في الشمال الغربي والجنوب فيقطنها المسلمون .

بيوت دمشق

هيكل خشبي . بيوت الاثرياء . الينابيع الفوارة . بيت القنصل البريطاني . الدفل النادر .

ان البيوت على جوانب الشوارع في دمشق مبنية عموماً من هيكل خشبي مليء بتراب صلصالي من السهل . اما البيوت التي في اسفلها بضعة مداميك من الحجارة فتعد من البيوت المتقنة . هذه البيوت متينة نوعاً ، وتستمر عدة سنين اذا ظل الاعتنـاء الشديد بها متواصلاً . اما اذا أهمل امرها وغفل عنها اصحابها فلا تلبث ان تسقط . اما مساكن الاثرياء فليست من الخارج اقل

ضعة وحقارة عن سواها ولا تلفت اليها الانظار ، ولكن اكثرها مزدانة بالنقوش الجميلة ، تتفجر فيها الينابيع الفوارة ، وتنورها الانجم الزاهرة .

بيت القنصل البريطاني

ذهبنا لزيارة المستر « وود » القنصل البريطاني في بيته ، وكان في الوقت نفسه يعمل وكيلاً للقنصل الاميركي . كنت مكلفاً برسائل له ، ولكنه كان غائباً عن البيت ، يُعد مصيفه في بلودان . استقبلتنا السيدة زوجته ، فصرفنا معها ساعة بهجة وحبور . كان القنصل يقطن في الحي الاسلامي ، في احد البيوت التي تمتاز عن غيرها من البيوت الاسلامية . ولم يكن البيت يختلف في منظره الخارجي الذي يلي الشارع عن غيره من البيوت . كان مدخله مبنياً بشكل يمنع من يكون خارجاً عن رؤية ما في الداخل . فكانت ساحة البيت الداخلية محاطة بجدران البيت المزخرفة . في الساحة حوضان كبيران مليئان بالماء الجاري . وكذلك حوضان اصغر منهما . وفي الساحة ايضاً اشجار كثيرة وانجم زاهرة كالبرتقال والكباد وما شابهها . كنت ترى الدفل زاهياً بين الانجم ، بينها نوع نادر من الدفل الابيض ، لم يحصلوا عليه الا بعد الجهد والمشقة . في الجهة الجنوبية من الساحة مخدع او رواق تؤمه العائلة نهاراً في الايام الحارة . يجاور هذا الرواق بهو الاستقبال . وقاعة الاستقبال هذه لا تنقصها الفسقية الفوارة في ناحيتها السفلى . اما ارضها فمفروشة بالرخام ، والجدران العالية

تزهو بالزينة على النمط الشرقي . ويقال ان هذا البيت هو نموذج عالٍ لاحسن بيوت دمشق ، وربما ادخلت عليه بعض التحسينات من الذوق الاوروبي . حقاً ان الساحة آية في الاناقة . ولا ينقص الظرف بيوت التجار اليهود الاثرياء ، فهي في داخلها تضاهي سواها كما وُصفت لنا[١] .

تزين جدران البيوت آيات من القرآن الكريم اذا كان صاحب البيت مسلماً ، او من الكتاب المقدس اذا كان صاحب البيت مسيحياً .

القلعة

تقوم القلعة في القسم الشمالي الغربي من المدينة القديمة ، على نهر بردى الذي يغسل جدارها الشمالي . وهي حصن مربع الاضلاع كبير وشامخ ، تعززه الابراج ويحيط به خندق . ويقال ان داخل القلعة يشبه مدينة صغيرة . والقلعة في شكلها الحالي ربما ترقى الى العصور الوسطى ، ولكن في بعض اقسامها آثاراً تدل على استغراق في القدم ، وهذا ما سأتكلم عنه فيما بعد .

المعابد

المساجد عديدة في دمشق ، ويقال انها تربو على

١ Lands of the Bible, II. p. 338, sq.

الثمانين[١] . اما قبابها ومآذنها فتضفي على منظر المدينة ألواناً من الجمال متنوعة ، ولا ينقص بعض مآذنها الذوق الرفيع . اما المسجد الرئيسي فهو الجامع الاموي الذي كان قديماً كنيسة مكرسة للقديس يوحنا المعمدان ، وسنآتي على وصفه فيما بعد ، عندما نتحدث عن الآثار القديمة في المدينة .

الكنائس المسيحية قلة نسبة الى الجوامع ، واقل منها المعابد اليهودية .

الخانات

يتردد على خانات دمشق التجار من المدن الاخرى ، ويؤمها رجال الاعمال من البلدان القصية ايضاً . وتزداد حركة الاعمال نشاطاً ، وتدب فيها الحياة سراعاً ، عند وصول القوافل .

اما اكبر الخانات الموجودة في دمشق وافخمها فهو خان اسعد باشا الذي شيد في منتصف القرن الماضي[٢] . تعلو الخان قبة فخمة . اما هندسة بنائه فمن العسير ان يفوقها بناء آخر في اناقتها ورشاقتها .

١ Russegger, I. p. 730.
Seetzen reports 143 as the number ; Reisen, I. p. 270.
ويقول سيتزن ان عدد المساجد يبلغ ١٤٣ .

٢ راجع تاريخ اسعد باشا في رحلة فولني . ظل اسعد باشا في كرسي الحكم طيلة خمسة عشر عاما . امتاز باستقامته ونزاهته وباعماله المبرورة وعمل الخير للعموم .
Volney's, Voyage, etc, II. p. 234.

الاسواق التجارية

الاسواق التجارية في دمشق هي احدى الغرائب فيها . فهي مجتمعة في ناحية واحدة من المدينة ، ولكنها منفصلة تبعاً لما تبيعه من السلع ، او للمهن التي يتعاطاها اصحابها . وهذه الاسواق غالباً ما تكون مسقوفة تشغل جوانبها صفوف الحوانيت الضيقة .

بعض هذه الاسواق جد متسعة ، منها : اسواق الصاغة ، وصانعي الانابيب [1] ، وتجار الالبسة ، والادوات الحديدية ، والاقمشة القطنية الى آخر ما هنالك من السلع والحرف . ولا اعدو الحقيقة اذا قلت ان لكل سلعة تجارية او مهنة سوقها الخاصة بها من افخم الترف الى اصغر سلعة ضرورية للاستهلاك المحلي .

اذا نظرت الى وفرة التجار والصناع ، وتأملت الحشد المائج من المشترين والكسالى ، واصغيت الى العديد من الحلوانيين وبائعي الثلج والمرطبات يتسللون الخطى بين الجماهير المحتشدة ، يلبسون المتنوع من الملابس ، وغالباً ما تكون ثيابهم انيقة ، وانصت اليهم وهم يتخاطبون ويساومون ، ويتنازعون ، ويحاجّون ، واحياناً كثيرة يقسمون بأعلى اصواتهم ويغلظون ، وما ينتج عن كل هذا من الارتباك والتشويش ، فانك ترى منظراً خاصاً بالشرق ، ولا تجده الا في مدينة شرقية كبرى .

١ قد يكون قصد المؤلف صانعي البزابيز ، جمع بزباز ، وهو قصبة من حديد فم الكير ، وقد يعني قصبة التدخين . — المعرب .

التجارة والمصنوعات

شفار السيوف . الدمقس . عدد الانوال . التجارة مع
اوروبا . القوافل .

تتمركز مصنوعات مدينة دمشق وتجارتها جنباً الى جنب مع الاسواق والخانات . اما المصنوعات فلا تزال وافرة ، ولكنها فقدت من شهرتها الماضية . وانك لا ترى اثراً لشفار السيوف الدمشقية المشهورة . ولا يزال الدمقس ، الذي اكتسب اسمه في الازمنة القديمة من دمشق [1] ، يحاك فيها ، ولكن فاقته منسوجات اوروبا الغربية المشابهة له .

تقدر الانوال التي تحيك الاقمشة الحريرية القطنية معاً في دمشق باربعة الاف نول . اما التي تنسج الاقمشة القطنية الصرفة فتقدر باربعماية نول [2] . ولا ننس الخيوط الحريرية والفضية التي تصنع على نطاق جد كبير [3] ، وكذلك صناعة الذهب والفضة عموماً ، والسراجة الانيقة والتهاويل الملازمة لها ، والزيوت النفيسة ، والطيوب ، والبلاسم ، وادوات الزينة الى آخر ما هنالك من الاصناف . اما الصابون فيصنع بكميات كبيرة للاستهلاك المحلي ، ولا يصدر الى

١ راجع سفر عاموس : الاصحاح الثالث ، العدد الثاني عشر .
Heb. and Vulg.
See Gesen. Lex. art.

٢ راجع تقرير بوورينغ عن عدد الانوال في دمشق ، ص ٢٠ .
٣ راجع التقرير نفسه عن خيوط الفضة والذهب ، ص ٢١ .

الخارج [1] .

امـــا تجارة دمشق فاكثرها مع اوروبا بطريق بيروت وهي ميناؤها ، او مع بغداد التي تبعث لها بالمحاصيل الشرقية . في دمشق نفسها لا يوجد محل تجاري انكليزي ، والمحلات التجارية الاجنبيـة مركزها في بيروت .

اما عدد التجار المسلمين والمسيحيين الذين يتعاملون مع اوروبا فكثير . ويوجد اكثر من عشرين تاجراً يهودياً ، وهم عمومـــاً يفوقون سواهم بالثراء [2] .

تسير قافلة كبيرة بين دمشق وبغداد مرة في السنة واحياناً مرتين او اكثر ، وهي تتألف من الف وخمساية جمل او الفين . تمر الطريق بتدمر ، ومنها شرقاً بطريق القوافـل التي تسير بين حلب وبغداد . تعبر القافلة نهر الفرات عند هيت [3] .

الحمامات

تشتهر حمامات دمشق بجلال بنائها ونظافتهـا وترفها ووسائلها

١ التقرير نفسه عن عمل الصابون ، ص ١٩ .

٢ التقرير نفسه عن تجارة دمشق والمحلات الاجنبية، ص ٩٤ .

٣ التقرير نفسه عن القوافل بين بغداد ودمشق ، ص ٤٥ .

Lands of the Bible, II. p. 364, 365.

وفي اوائل حزيران من العام ١٨٤٣ شاهد الدكتور ويلسن القافلة القادمة من بغداد حال وصولها الى دمشق . اناخت جمالها في السهل خارج البوابة الشرقية حيث انزلت احمالها. كانت القافلة مؤلفة من اربعة الآف وخمساية جمل ، اكثر حمولتها بهارات واطيـــاب وتبغ وتشكيلة من البضائع الهندية .

المريحة . وشهرتها هذه لم تكتسبها عبثاً .

ومن احق من دمشق بالتفوق على غيرها من المدن الشرقية في هذا المضمار وفيها من وفرة الماء ما يكفل لها هذا التفوق[١] ؟

المقاهي

المقاهي في دمشق كثير عديدها وغالباً ما بالغ السياح في التحدث عنها وافرطوا في وصفها[٢] . تشتمل المقاهي عادة على ساحة شجراء وفسقيات فوّارة . واكبر هذه المقاهي واكثرها زواراً ورواداً تقع على نهر بردى وفوقه في جريانه وسط الجزء الشمالي الغربي من المدينة . زرت مقهى من هذه المقاهي الكبيرة تمتد منه شرفة فوق النهر تغمرها الاشجار والاوراق الظليلة . المصابيح الزجاجية الصغيرة تتدلى في كل ناحية منه ، ولا ريب ان سيكون لها تأثير سحري عندما تضاء كلها في الليل . اسفت لزيارتي لها في منتصف النهار لان ما وقعت عيني عليه كان يبدو رثاً وقذراً . كان عمل الرواد الرئيسي التدخين واحتساء القهوة والابتراد بالمرطبات والمثلجات[٣] . ولا يفوت القصّاص الشرقي

١ قابل ما جاء في المتن عن حمامات دمشق بما كتبه شوبيرت عنها .
Schubert, III. p. 301.

٢ يقول سيتزن ان عدد المقاهي في عهده بلغ مئة وتسعة عشر مقهى .
Reisen, I. p. 270.

٣ قابل ما ورد في المتن عن وصف المقاهي بما جاء في :
Lands of the Bible, II. p. 327.
ويقال ان الثلج او الجليد الذي تستعمله هذه المقاهي يؤتى به من جبل الشيخ ، ولكني

توسط الحلقة احياناً ، وهو الماهر في استدعاء انظار سامعيه ، والبارع في جذب ما في جيوبهم من النقد الصغير « الفراطة »[١].

جولة خارج المدينة

تل من الردم . جبل الاسود جبل مانع . انتي لبنان
جبل الشيخ . جبل قاسيون . طريق الصالحية . هوة
بردى . التلال . المأذنة الخضراء . قبة النصر .

ركبت مع المستر بورتو يوم السبت وخرجنا من باب المدينة الشرقي . بالقرب منه خارجاً تل من الردم عظيم الارتفاع يرى الناظر من سطحه منظراً جميلاً عاماً للجبال والسهل المحدقة بالمكان . في الجنوب سلاسل جبل الاسود وجبل مانع اللذين يجري بينها الاعوج . باتجاه الجنوب الغربي حروف انتي لبنان وجبل الشيخ يشمخ بتاجه البرّاق فوق سائر ما يجاوره . في الغرب سلسلة جبل قاسيون العاري القفر وقمته العالية ومقام الولي الذي يعلوها ، وهي تشابه جبال مصر . أبعد الى الجنوب ترى هوة بردى . والطريق من الصالحية تتعرج على جانب الهوة الشمالي الى قبة النصر

لم استعلم عن كيفية جلبه. هكذا كانت الحالة في ايام بوكرك ، والارجح انها كانت كذلك في العهود القديمة ، كما كانت الحالة في صيدا ايضاً .

Pococke, II. i. p. 125.

١ راجع ما جاء عن القصاص الشرقي :

Pococke, II. i p. 122.
O. v. Richter, pp. 141, 152.

المشهورة بجمال منظرهـا . أبعد الى اليمين هوة الوادي الآتي من حلبون ، ووراءَها قمة جبل تنيه العالية الصنوبرية الحادة . واكثر بعداً الى اليمين ، يتجه حرف الجبل شرقاً ثم يختفي في الصحاري جنوبي تدمر . وراء القسم الغربي منه ، يُرى حرف ثانٍ ، وهـذا ايضاً يمتد شرقـاً الى الصحراء [١] . وفي الشرق البعيـد وراء البحيرات ، على مسافة عشر ساعات او اثنتي عشرة ساعة ، تلوح رسوم التلول كأنها اشباح مظلمة .

ها نحن نوكب مجتازين ناحية المدينة الجنوبية الى الميدان . بعد مـا القيت نظرة على الشارع العريض الذي يخرج منه الحج ويدخل ، ورأينا الضاحية التي نمت بجواره ، ضربنـا وسط المدينة باتجاه الشمال الغربي بطريق المأذنة الخضراء [٢] ، ومررنا على المتاريس الضخمة الى المرج الواقع غربي المدينة .

المرج بقعة اوطأ نوعاً من السهل المجـاور . وهو بقعة جميلة طلقة تتلاءم مع اسمها . هي حقاً مرجة مخضوضرة يمر وسطهـا بردى والعديد من روافده متعرجاً ومبقبقاً [٣] . هنا رأينا جدولين

١ راجع ما كتبه ج . ل . بورتر عن هذه الحروف وغيرها الخارجة من انتي لبنان ، وعن الطريق التي تعبرها الى حمص ، في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، من الصفحة ٦٨٥ الى ٦٩٣ .

٢ قابل ما جاء في المتن عن الطريق التي يمر فيها الحج وعن المنارة الخضراء بما ورد في مؤلف بو كوك :
Pococke, II. i. p. 121.

٣ قابل ما ورد في المتن عن المرج بما جاء في :
Seetzen, Reisen, I. p. 283.
O. v. Richter, pp. 149,150.

كبيرين مسحوبين من الجانب الجنوبي. احد هذين الجدولين، وهو بانياس، يتفرع في القسم الغربي ويجري ليزود الفسقيات الفوّارة والجنائن داخل المدينة. والجدول الآخر، وهو العقرباني، يجري على مسافة تحته وبين صف من البيوت، هذا اذا لم تخني الذاكرة، ويجري ايضاً الى المدينة بقناة مكشوفة لري الحقول حول قرية عقربة، على مسافة ساعة من المدينة.

التكية او مستشفى الحجاج

المرج ملتقى الحج، حيث تقوم التكية، او مستشفى الحجاج. والتكية هذه حواطة كبيرة مربعة الاضلاع مقسومة الى ساحتين. في الساحة الجنوبية جامع كبير وجميل تعلوه قبة ومأذنتان. حول جدار الساحة يمتد صف من الحجيرات، امامها رواق او دهليز بأعمدة. فوق كل حجيرة قبة صغيرة، وقبة اخرى فوق الرواق امامها، وهذه تشكل صفين من القباب الصغيرة حول الساحة. اما هذا المنظر فغريب نادر. الساحة الاخرى تشابه الاولى خلا الجامع. هنا يُنزلون الحجاج الفقراء ويطعمونهم، ولاسيما الذاهبين الى مكة مع الحج او القادمين منها. اسس هذا المستشفى السلطان سليم الاول حوالى العام ١٥١٦ م لهذا الغرض

ويتحدث السياح الاقدمون عن المرج باسم : Ager Damascenus, so v. Trolio, p. 443.
Maundrell Apr. 29 th. etc. etc.

نفسه ، واقطعه دخل سبعة آلاف دوكات [1] Ducats من الاراضي والقرى كتكيّة القدس[2]. ويوجد ايضاً مستشفيـــات في شتى نواحي المدينة بينها ثلاثة مستشفيات للبرص[3] .

سوق الخيل

تتبعنـــا انحدار نهر بردى المطلق ، فعبرنا ماءه الرائق مراراً حتى مدخله الى ذلك القسم من المدينة الواقع شمالي السور القديم. في رجوعنا الى البيت أجبرنا على السير في دورة طويلة لان احد الشوارع التي سنمر بها بالقرب من سوق الخيل كان مزدحماً بالخيول الآبدة التي وصلت الآن من الصحراء. ويقال ان الخيل في هذه البقـــاع الغير آهلة بالسكان تُترك آبدة حتى الثلاث سنوات او الاربع من عمرها ، ثم تُمسك وتُجلب الى المدينة لبيعها فيها.

١ قطعة من الذهب البندقي كانت تساوي ريالين وربع الريال . — المعرب .

٢ راجع ما جاء عن المستشفى الذي بناه السلطان سليم الاول لايواء الحجاج الفقراء في :
v. Hammer's Gesch. d. Osman. Reichs, II. p. 488.
وراجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٢ (٣٢٢ ii) .
Comp. Seetzen, Reisen, I. p. 282.
O. v. Richter, p. 150.

٣ راجع عن المستشفيات في انحاء دمشق وعن مستشفى البرص :
Seetzen, Reisen I. p. 277.

شجرة الدلب

رأينا في طريقنا شجرة الدلب[1] الضخمة Platanus Orientalis وهي تعد احد اسود المدينة[2]. دائرة جذعها تسع وعشرون قدماً. ما اكثر ما شهدتْ هـذه الشجرة في ايامهـا من تقلبـات الزمن التي توالت على المدينة والثورات التي انتابتها!

الكلاب في الشوارع

تعج شوارع دمشق بالكلاب الشاردة التي تنام نهاراً في اي مكان، لكنها لا تؤذي احداً اذا لم تُهيج، فتبدو انهـا تعمل بالمبدإ القائل: «عش ودع غيرَك يعيش»، ولكن اذا دخل عليها كلب اجنبي فلا تلبث كلاب المحلة ان تهاجمه. لهوتُ قليلاً بمرأى كلب يتبع جنديين راكبين ووراءَه عشرون كلبـاً او ثلاثون تنبح بأعلى اصواتها، بينما الكلاب الغريب، وكأنه يشعر بالحمـاية العسكرية التي يتمتع بها، ظل سائراً بهدوء بجانب جواد صاحبه[3].

١ راجع ماورد في مؤلف Russegger, I. p. 738. عن شجرة الدلب الضخمة.

٢ بقصد المؤلف بعبارته هذه وصف عظمة الشجرة. — المعرب.

٣ يتحفنا رسغر بحديث فكه عن دخوله دمشق يرافقه كلبـان كبيران من كلاب الرعاة جلبها معه من جبال طوروس. ويصف الجهد والمشقة اللذين تعرض لها في مروره مع كلبيه بين كلاب المدينة المحتشدة في الشوارع.

Reisen, I. p. 727.

حق التصرف بالماء

ان غزارة ماء بردى ، وهي وحدها التي تشيع الخصب في المدينة والسهل وتضفي عليها جمالاً فتاناً وتزيد في راحة السكان ورفاهيتهم ، ليست بدون نواقص . فاذا اراد المرء ان ينال القسط الاوفر من اي شيء ، فان الغيرة لا تلبث ان تدب في الجماهير حفاظاً على حقوقهم . يتظلم المسيحيون من المسلمين ، وحجتهم ان هؤلاء يستولون على اكثر من حصتهم من الماء . وبما ان المسلمين يتمركزون في الغرب ، فالماء يصلهم اولاً . ولذلك فقد يكون لشكوى المسيحيين بعض الاساس . ان حق التصرف بالماء مضمون لسائر قرى السهل وبساتينه . وهذا الحق جد قديم ، وغالباً ما فُصل به قضائياً . والحقيقة ان نظام توزيع الماء هو بيد الحكومة كي ينال كل ذي حق حقه ويبطل التذمر . ويمكن القول ان كل نقطة من ماء بردى يجب ان تجري الى حيث يوجهها القانون .

غزارة المياه والرطوبة

ان وجود هذه الكميات الغزيرة من المياه ، ووجود الاحواض والفسقيات الفوّارة في ساحات البيوت وغرف الاستقبال فيها ، لما ينعش في ايام الصيف الحارة ، ولكنه له سيئاته في الاوقات الاخرى . فعندما تخف وطأة الحر تزدحم البيوت بعشرات الالوف

من البعوض فتسلب راحة النـاس وتنغص عليهم عيشتهم [1]، وتقض مضاجعهم. امـا في الخريف والشتـاء فالرطوبة تغشى الساحات والبيوت مما يفسح في المجال للبرد والامراض العصبية. وعلى العموم فان الغرف السفلى في البيوت رطبة وباردة في الشتاء، والغرف العليا حارة في الصيف. فلا غنى للسكان اذاً عن السكنى في الدور الاسفل صيفاً، وفي الدور الاعلى شتاءً، هذا اذا تمكنوا مادياً من ذلك.

احتذاء القباقيب

قد تكون الرطوبة في الساحات والبيوت السبب في ذيوع عادة بين النساء كثيراً ما يتحدث عنها السيـاح، وهي احتذاء القباقيب او الجراميق الخشبية النعل. ولكن هذه العادة لا تنحصر بالنساء من سائر الطبقات، بل غالباً ما تتعداهن الى الاسياد (الخواجات) والخدم من الرجـال. وها نحن الآن في حزيران، والخدم في بيت المستر روبصن يحتذون القباقيب العالية التي لا تقل عن اربعة انشات الى ستة علواً.

١ يتحدث رسغر عن الرطوبة التي تسببها غزارة المياه وعن عشرات الألوف من البعوض الذي يتولد منها فيسلب السكان راحتهم ويقض مضاجعهم. وقد اختبر ذلك بنفسه في اواخر شهر تشرين الاول:

Reisen, I. p. 737.

الكنائس المسيحية

سمعت ان في دمشق سبع كنائس مسيحية ، ولكني لم ازرها . تملك اديرة اللاتين كنيستين او ثلاثاً منها [1] .

كان السياح الفرنج حتى الماضي القريب ، وربما لا يزالون حتى الآن ، يؤمون دير الفرنسيسكان الاسباني «تيرّا سانتا» Terra Santa للراحة والاستجمام [2] . ولكن لما قمت بزيارتي هذه كان فندق قد حل محل الدير المذكور .

١ قابل ما جاء في المتن عن الكنائس المسيحية في دمشق مع ما ورد عنها في :
Seetzen, Reisen, I. p. 269,
Russegger, I. p. 737

٢ راجع ما جاء في مؤلفات السياح الذين زاروا دير الفرنسيسكان الاسبان في دمشق في المؤلفات الاتية :
So Lieut. Cols. Squire and Leake, in Walpole's Travels in the East, etc p. 317.
Irby and Mangles, p. 282. (86).
Russegger, I. p. 728.
Schubert, II. pp. 275. 288.
Stephen Schulz, in 1755, was refused admittance.
لم يسمح لستيفن شلز بالدخول الى الدير في العام ١٧٥٥ .
Leitungen Th. V. p. 426 sq.
Paulus Sammlung, VII. p. 171 sq,

الآثار القديمة

القلعة . سور المدينة القديمة. المقابر العامة. الباب الشرقي.
الجامع الاموي: تاريخه . خالد بن الوليد . ابو عبيدة بن
الجراح . عبد الملك بن مروان . اعمدة قديمة . الشارع
المستقيم .

ان الآثار القديمة في دمشق غير شاملة ، ولكنها اكثر مما كنت اتوقع . فقد لعبت باكثرها الايدي وحجبتها اعمال الاجيال المتأخرة عن الانظار ، فهي لا تستدعي انتباه السائح بهـذا السمو الذي يفرض نفسه فرضاً على الباحث ، ويحتاج البحث عنها وتفحصها الى جهد وسعي اكيدين .

القلعة

تقوم القلعة على ضفة بردى الجنوبية في المحلة الشمالية الغربية من المدينة . فاذا نظرنا اليها كما هي في حالتها الحاضرة ، فانهـا ولا ريب من اعمال الاجيال الوسطى . اما في اسسها والمواد التي استعملت في تشييدها فانها ترقى الى زمن اكثر اغراقاً في القدم . الجزء الجنوبي منها مبني بحجارة جد صغيرة ، وانحراف زواياها بعيد كل البعد عن الدقة والاتقان .

اما ابعد الى الشمال ، ولاسيما في البرج القائم في الزاوية الشمالية الشرقية ، فالحجارة اكبر من تلك وادق انحرافـاً في زواياها ، وقدمها واضح لا يحتاج الى برهان .

ومن المرجح ان الحجارة الصغيرة في الجنوب هي من المواد القديمة ، واذا لم تكن كذلك فقد تكون سوّيت وصغّرت لايجاد التناسق بينها وبين جدران القلعة التي اعيد بناؤها في الازمنة العربية .

سور المدينة القديمة

يبدأ سور المدينة القديمة من القلعة ويمكن اقتفاء آثاره على طول امتداده تقريباً او كلياً . فهو يمتد شرقاً بجانب ضفة بردى الجنوبية ، ثم ينعطف بسرعة الى الضفة الشرقية بطريق الباب الشرقي ، وبعد ذلك يتحول الى الجنوب الغربي فالغرب ، ويمتد في المدينة الحديثة ، واخيراً ينعطف عرضاً الى الشمال الغربي ويواصل امتداده الى القلعة .

في اجزائه السفلى وابراجه ، الكثير من الحجارة الكبيرة التي لا يُشك في قدمها .

لا ريب ان المكان الذي يشغله السور الآن هو المكان نفسه الذي كان مبنياً عليه في الماضي البعيد ، ولكن تبدو عليه آثار تدل على اعادة بنائه مراراً . وربما حدث ذلك بعد الخراب والدمار اللذين انزلتها به الحصارات المتوالية والزلازل .

جنوبي الباب الشرقي ، على الخصوص ، مبسطة من البناء الكبير الضخم ، بعض حجارته منحرفة الزوايا جزئياً ولكن بغير دقة واتقان . هنا ينفسح هذا السور القديم على مسافة شاسعة الى الريف .

المقابر العامة

تقع المقابر العامة في دمشق جنوبي البوابة الشرقية . اما الحفاظ عليها فاحسن منه علـــى مقابر ازمير والاستانة ، ولكن تنقصها اشجار السرو .

البوابة الشرقية

تبدو على هذه البوابة آثار الصنعة الرومانية القديمة . يقوم في وسط المدخل باب كبير تعلوه قنطرة مستديرة مزخرفة ، وعلى كلا جانبيه باب يماثله ولكنه اصغر منه . هـــذه الابواب مجدّرة الآن. ويدخل الى المدينة من جهة واحدة .

الجامع الاموي

لهذا الجامع وقع في النفس لا يدانيه اي اثر من الآثار القديمة في دمشق . وهو باجماع الرأي كان كنيسة مسيحية مكرسة للقديس يوحنا المعمدان قبل الفتح الاسلامي[1].

١ يقول ريسكه Reiske ان الكنيسة المسيحية التي هي الجامع الاموي الان كانت مكرسة ليوحنـــا الدمشقي ، ولكن هذا لم يشتهر الا بعد مرور قرن على الفتح الاسلامي . راجع ما جاء عنه في :

Abulfed. Annal. I. note 195.

لما سقطت دمشق بيد خالد وابن عبيدة[1] قائدي عمر ، قسم القائدان ملكية الكنيسة بين المسلمين والمسيحيين . ولكن عبدالملك ، خامس الخلفاء الامويين[2] الذي تبـــوأ العرش في العام ٧٠٥ م ، نقض الامتياز الممنوح للمسيحيين ، وكان قد مضى على العمل بـه نصف قرن ونيف ، وطرد المسيحيين من الجزء المخصص لهم في ذلك الصرح ، وحوّله الى احدى التحف الفنية في هندسة البناء العربية الرائعة . الى هناك كان المسلم الورع معتاداً ان يثوب « ليكرم اضرحة القديسين وليعجب بعظمة اعمدة هذا الجامع ، وفخامة قبابه المتناهية ، واناقة نقوشه ، والعديد من محاربه . » اما اقدس اجزاء الجامع فهو الكنيسة التي تحتوي عـــلى رأس يوحنا المعمدان كما تقول اسطورة اسلامية[3] .

يُدخل الى الجامع من البازار الكبير ، ويمكن المرء من هناك ان يلقي نظرة الى الداخل فيرى الاعمدة الفخمة ، والينابيع الفوارة

١ كذا في الاصل ، وقد يكون الخطأ مطبعياً . اما القائدان فهما خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح . – المعرب .

٢ هو عبد الملك بن مروان الذي امتدت خلافته من العام ٦٨٥ الى ٧٠٥ م. – المعرب .

٣ راجع ما ورد عن الجامع الاموي في :
v. Hammer's Gesch. d. Osman. Reichs, II. pp. 483-487.
ويصف الادريسي الجامع الاموي بعبارات براقة . راجع :
Edrisi, I. p. 351, ed. Jaubert.
Abulfed. Annal. I. pp. 428, 432.
Ejusd. Tab. Syr. ed. Kohler. p. 15 sq.
Ibn el Wardi, ib. p. 172 sq.

في ساحاته . يقال ان طول الجامع نحو اربعماية قدم .

تعرف شوبيرت الى صائغ فضة ماروني ، وتمكن بواسطته من التسلق الى سطوح البيوت المجاورة ، فاصبح قريباً جداً من انضاد الاعمدة ورؤوسها الكورنثية حتى ليكاد يلمسها بيده . فاقتنع بان جزءاً كبيراً من البناء على الاقل لم يكن كنيسة مسيحية في الاصل بل هيكلاً فخماً لِ جونو Juno [١] . وقد استدل على ذلك من بقية نقوش رومانية على الانضاد نفسها ، ومن عدة مجموعات من الاعمدة تقوم الان مستقلة عن البناء [٢] .

اعمدة قديمة

غربي الجامع الكبير تماماً ، اربعة اعمدة كبيرة وطويلة قائمة في صف واحد ، وعمود مربع على كل من الجانبين . قطر الاعمدة نحو ثلاث اقدام ونصف القدم . قد تكون هذه الاعمدة قوس نصر

١ هي زوجة المشتري وابنة الاله زحل اله الزرع . وهي ايضا الاهة الزواج . — المعرب .

٢ راجع وصف الجامع الاموي والنقش الروماني في :

Schubert's Reise, III. p. 297 sq.

ولكن مما يؤسف له ان شوبيرت لم ينقل النقش الذي رآه على الانضاد . ويبدو ان م . دي سولسي تسلق السطوح نفسها التي تسلقها شوبيرت خارج الجامع ، وهو يقول : « ان الجامع كان قبلا كنيسة مسيحية من عهد يوستنيانوس ، وان الكنيسة هذه حلت محل هيكل وثني ، ثم جاء دورها فحل مكانها الجامع . » ثم يزيد فيقول انه رأى نقوشاً يونانية ، ويظهر انه لم ينقلها ولم يقرأها .

Narrat. II. p. 579.

سابق او باب [1].

مررنا وسط شارع ضيق لا يبعد كثيراً عن الجامع ، فاحصيت لا اقل من خمسة عشر عموداً قديماً اصغر من تلك التي رأيتها غربي الجامع . وهذه الاعمدة لا تزال مبنية في جدران الى اليسار . واربعة اعمدة اخرى حول الزاوية الاولى . ومن الراجح ان هذه الاعمدة كانت جزءاً من رواق طويل ، يتصل بساحة بعض الهياكل او الابنية العامة . في شارع آخر لا يبعد كثيراً عن هذا ، قطعة عمود ضخم لا تزال في مكانها ، قطرها اربع اقدام وتسعة انشات [2] .

١ راجع ما كتب عن الاعمدة القائمة غربي الجامع الكبير في :

Schubert, ibid. p. 298.

Comp. de Saulcy, II. p. 580.

٢ يتحدث بوكوك عن مسجد في الزاوية الشمالية الشرقية من اسوار المدينة ، كان قبلا كنيسة على اسم القديس سمعان الستيليتي St. Simon Stylite (اي مار سمعان العمودي وهو اسم لثلاثة قديسين صرفوا حياتهم على عمود . الاول بالقرب من انطاكية توفي في العام ٥٩٦ ويحتفل بعيده في ٢٤ ايار . والثاني بالقرب من انطاكية ايضاً ، توفي في العام ٥٦٠ ويحتفل بعيده في الخامس من كانون الثاني . والثالث عاش في كيليكيا في القرن السادس وتوفي مصعوقاً . — المعرب .) وقبل ان يحول الى كنيسة كان هيكلا لسيرابيس Serapis (اله مصري من العهدين الطليموسي والروماني نجم عن اختلاط الثور المقدس بالاله اجنبي في مصر ، ثم جعل مماثلا لجوبيتر وبلاتون . — المعرب).

Pococke, II. i. p. 121.

ويتكلم شوبيرت كذلك عن هيكل على اسم سيرابيس.

Schubert, III. p. 299.

وربما اشار هذان السائحان الى دير اللاتين حيث كانا ينزلان · اما انا فلم اعثر على ما يشير الى هكذا كنيسة او هيكل .

الشارع المستقيم

اما الشارع المسمى الان « بالمستقيم » فقد ذكرته سابقاً [١]. اما مسألة قدميته ، فتتوقف كثيراً على وجود الاعمدة التي يقال انها مبنية في جدران البيوت على جانبيه . فاذا وجدت هذه الاعمدة كما ذكر عنها فانها تدل على ان الشارع قديم . ولكن المسألة الاخرى التي تظل غير مثبتة هي هل هذا الشارع هو نفسه المذكور في العهد الجديد ام لا .

الترع

تعتبر الترع المسحوبة من بردى بين الاثار القديمة في دمشق . ان اسماء هذه الترع هي نفسها الاسماء التي كانت لها في القرن الثاني عشر . ويقول استرابو ان الترع في عهده كانت تستنزف مياه النهر [٢] ، ومن الراجح ان الحقول كانت تروى حتى في عهد ابراهيم .

الاقنية

لست اعرف آثار اقنية قديمة في المدينة او بالقرب منها ،

١ راجع ص ٤٥٥ من المجلد الثالث للمؤلف عن الشارع المسمى بالمستقيم.

٢ راجع ص ٤٤٧ من المجلد الثالث للمؤلف والمصادر الواردة فيه عن انهر دمشق وترعها .

وليس من السهل ان يفهم المرء ضرورة الاقنية في دمشق . ذكرت سابقاً عن بقايا قناة في الجزء الشمالي من السهل ، وتبدو انها تمتد باتجاه المدينة ، وربما كان القصد منها ري الاجزاء العالية في السهل[1]. ولست اذكر اني قرأت شيئاً عن اقنية قديمة تتصل بالسهل او بالاقاليم وراءه . ولكن العديد من السياح يفترضون وجود قناة تمتد من ينبوع الفيجة او من نقطة ما لا تبعد كثيراً تحته ، الى تدمر ، وان النفق الذي يمتد تحت الارض تحت بسّيما كان جزءاً منها ، ولا يزال الدمشقيون يتحدثون عنها . وهذا يدل على وجود نفق آخر وسط سلسلة جبل قاسيون ، او قناة عالية بجانب الهوة جنوبي الصالحية ، او بناء عالٍ بجانب حدود السهل . ولكن لا يوجد اثر لكل ما ذكرناه[2] . وسنرى في بسيما ان النفق ربما كان لايصال الماء الى الصحراء[3] .

١ راجع الصفحتين ٤٤٨ و ٤٤٩ من المجلد الثالث للمؤلف عن الاقنية وخرائبها.

٢ لا تزال اثار القناة القديمة الممتدة عند جرجوع باتجاه صيدا جد واضحة وظاهرة للعيان . وهي صغيرة جدا اذا قيست بالقناة التي يقال انها تمتد من ينبوع الفيجة او من جواره الى تدمر . ولكني لم ار اثرا لتلك القناة المزعومة التي يجب ان تكون عشرة اضعاف القناة الممتدة الى صيدا وتفوقها اهمية . راجع الصفحتين ٤٥ و ٤٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ راجع ما كتبه المؤلف في ٧ حزيران عن النفق عند بسيما .

ذكر بوكوك هذه القناة المزعومة الممتدة الى تدمر :

Pococke, II. j. 136, 137.

وذكرها ايضاً فولني :

Volney, Ruins, p. 252.

وذكرها ايضاً سيتزن :

Seetzen, Reisen, I. p. 138.

اما بشأن منظر القناة الذي يبدو انه يختلف كثيراً عنه قديماً ، فراجع ما كتبه و. م. تومسون في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، ص ٧٦٣ وما بعدها .

النقود القديمة

لا يزال العديد من النقود الدمشقية القديمة موجوداً الى الان . وهي تدل على ان دمشق كانت عاصمة سوريا . والنقود هذه تحمل اسماء سائر الاباطرة الرومانيين من اغسطوس الى الكسندر سيفيروس . وتحمل سلسلة اخرى متأخرة الاسماء من فيليب الى غاليان Gallian ، وهي تدل على ان المدينة كانت مستعمرة [١] .

تاريخ دمشق

ان الزمن الذي ظهرت فيه دمشق على المسرح العالمي متغلغل في القدم ، ضائع وراء اظلال كثيفة من الاجيال البعيدة المتراكمة . فقد سبقت زمن ابراهيم في الشهرة [٢] ، وربما تكون الان المدينة الوحيدة التي كانت معروفة في ذلك العصر البعيد ولا تزال آهلة بالسكان ومزدهرة . ولا يتسع هذا المؤلف لاستيعاب اليسير المختصر في تاريخها الطويل الحافل .

١ راجع ما جاء عن النقود السورية القديمة التي تدل على ان دمشق كانت عاصمة سوريا المؤلفات الاتية :

Eckhel Doctr. Nummor. III. p. 329 sq.
Mionnet Descr. des Med. V. pp. 283-297.
Suppl. VIII. p. 193 sq.

٢ ورد ذكر دمشق في سفر التكوين ، الاصحاح الرابع عشر ، العدد الخامس عشر : « صوبة التي عن يسار (شمال) دمشق». وورد ذكرها ايضاً في سفر التكوين ، الاصحاح الخامس عشر ، العدد الثاني : « مالك بيت ابراهيم هو العازر الدمشقي » .

توارى ذكر دمشق في بطون التاريخ حتى عهد داوود في الملك . في ذلك العهد كانت سوريا مقسمة الى عدة رئاسات او دويلات صغيرة . وكانت دمشق عاصمة الملك . ففي الحرب التي اثارها داوود على ملك صوبة انتصر « سوريو دمشق » لهذا الاخير فاخضعهم داوود واقام حرساً في بلادهم [١] ، ولكن دمشق خلعت عنها النير في عهد سليمان . وفي عهد سليمان ، اسس رزون ، وهو خادم سابق لملك صوبة ، عرشاً ، وكان خصماً لاسرائيل كل ايام سليمان [٢] . وبعد ذلك امضى ابيام بن رحبعام معاهدة مع طبريمون ملك سوريا « الذي كان مقره في دمشق » ويظهر انه ورث ابيه حزيون [٣] عندما شن بعشا ملك اسرائيل حرباً على آسا ملك يهوذا ابن ابيام حوالى العام ٩٤٠ ق م . استنجد ابيام ببنهدد الاول ، وهو ملك سوريا وقتئذ ، وطلب مساعدته على اسرائيل . فلبى بنهدد الطلب واخذ عدة مدن في الجزء الشمالي الشرقي من

١ راجع ما جاء في سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح الثامن ، العددين الخامس والسادس ، عن حرب داود مع ملك صوبة .

وراجع ايضاً عن الحرب نفسها سفر الايام الاول ، الاصحاح الثامن عشر ، العددين الخامس والسادس .

٢ . راجع ما جاء في سفر الملوك الاول ، الاصحاح الحادي عشر ، الاعداد من الثالث والعشرين الى الخامس والعشرين ، عن رزون عبد ملك صوبة السابق الذي كان خصماً لاسرائيل طيلة عهد سليمان بالحكم .

٣ راجع سفر الملوك الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، العدد التاسع عشر ، عن العهد الذي كان بين ابيام بن رحبعام وطبريمون ملك سوريا الذي خلف اباه حزيون . قابل العدد المذكور مع العددين الثامن والثامن عشر .

اسرائيل [1] . اما ابنه بنهدد الثاني ، الذي كان متحالفاً مع اثنين وثلاثين ملكاً اقل منه شأناً ، فغزا اسرائيل حوالى العام ٩٠٠ ق م ، وهي يومئذ تحت حكم اهاب ، ولكنه دُحر مرتين وأجبر على طلب الصلح [2] . وبعد مضي ثلاث سنوات ، ولم يكن قام بالشروط التي فرضت عليه ، اثار اهاب ويهوشافاط ملك يهوذا معاً حرباً عليه ، فقتل اهاب في المعركة [3] . اعاد بنهدد الكرة وغزا اسرائيل مرتين في عهد يهورام ، ولكنه في كلٍ من المرتين كان يجبر على التراجع [4] .

في هذا العهد تغيرت السلالة السورية المالكة فاغتصب حزائيل خادم بنهدد ملكه بعـد ان قتله ، ونهض بمملكه دمشق الى

١ راجع سفر الملوك الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، من العدد السابع عشر الى الحادي والعشرين ، عن المساعدة التي قدمها بنهدد الاول ابن طبريمون ملك سوريا الى آسا ملك يهوذا في حربه من بعشا ملك اسرائيل .

٢ راجع الاصحاح العشرين من سفر الملوك الاول ، عن مآل الحرب بين الملك بنهدد الثاني والاثنين والثلاثين ملكاً حلفاءه ، وبين آخاب ملك اسرائيل حوالى العام ٩٠٠ ق م ، وعن الهزيمتين اللتين مني بها وطلبه الصلح . ومن بين الشروط التي قبلها بنهدد قوله لاخاب ملك اسرائيل : « تجعل لك اسواقاً في دمشق كما جعل ابي في السامرة » . راجع العدد الرابع والثلاثين من الاصحاح نفسه . والارجح ان هذا الشرط يشير الى مستعمرات تجارية .

٣ راجع الاصحاح الثاني والعشرين ، عن اتفاق آخاب ملك اسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا لمحاربة بنهدد ملك ارام بعد ثلاث سنين من امضائه شروط الصلح مع ملك اسرائيل ولم يتقيد بها .

٤ راجع سفر الملوك الثاني ، الاصحاح السادس ، من العدد الثامن الى الثالث والعشرين ، عن تراجعه مرتين مهزوماً في حربه ضد اسرائيل على عهد يهورام . راجع ايضاً في الاصحاح نفسه ، العددين الرابع والعشرين والسابع والعشرين .

ذروة رفيعة من الازدهار والقوة . حارب ملوك اسرائيل ويهوذا وقهرهم ، واستولى على كل الاقاليم الواقعة شرقي نهر الاردن ، وضرب مكوساً على اورشليم ، وحوّل اسرائيل الى مملكة ثانوية خاضعة لمملكته[1] . اما بنهدد الثالث ، ابن حزائيل ، فقد دُحر ثلاث مرات في حربه مع يهواش ملك اسرائيل ، الذي استرد المدن التي كان ابوه[2] قد خسرها . بعد وفاة يهواش افضى الملك الى يربعام الثاني في العام ٨٢٥ ق م. فضيق الخناق كثيراً على السوريين ، فاستولى على دمشق ، وامتدت فتوحاته حتى حماه[3]. ومع ذلك ، فبعد نصف قرن

١ راجع سفر الملوك الثاني، الاصحاح الثامن ، العددين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين، عن الهزيمة التي الحقها حزائيل ملك ارام بملكي اسرائيل ويهوذا، وعن الاقاليم والمدن التي استولى عليها والجزية التي ضربها عليهما .

وراجع ايضاً سفر الملوك الثاني، الاصحاح العاشر ، من العدد الثاني والثلاثين الى السادس والثلاثين .

وراجع سفر عاموس، الاصحاح الاول ، من العدد الثالث الى الخامس .

وراجع سفر الملوك الثاني، الاصحاح الثاني عشر، العددين السابع عشر والثامن عشر.

وراجع سفر اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الرابع والعشرين ، العددين الثالث والعشرين والرابع والعشرين .

وراجع سفر الملوك الثاني، الاصحاح الثالث عشر، العددين الثالث والثاني والعشرين.

٢ راجع ما ورد في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الثالث عشر ، العددين الرابع والعشرين والخامس والعشرين ، عن الهزيمة التي الحقها الملك يهواش ملك اسرائيل بالملك بنهدد الثالث واسترداده المدن التي خسرها ابوه في حربه مع حزائيل والد بنهدد، بعد ان هزمه ثلاث مرات .

٣ راجع ما جاء في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع عشر ، العددين السابع والعشرين والثامن والعشرين ، عن الهزيمة التي مني بها السوريون على يد يربعام الثاني خليفة يهواش وكيف استرد دمشق وحماه الى اسرائيل في العام ٨٢٥ ق م.

من هذه التفوحات ، نري فقح ملك اسرائيل يتحالف مع رصين ملك دمشق على آحاز ملك يهوذا ، واستولى رصين على ايلة الواقعة على البحر الاحمر [1] . ولما اشتد الضيق على آحاز استنجد بتغلث فلاسر ملك اشور . استولى تغلث فلاسر على دمشق ، فذبح رصين وسبا السكان الى قير . وهكذا في العام ٧٤٠ ق م ، اصبحت سوريا بكاملها ولاية تابعة للامبراطورية الاشورية [2] . وذكر ارميا دمشق ، كما ذكرها حزقيال مرة واحدة مدة السبي ، لعلاقتها التجارية مع صور ، وذكرها زكريا مرة بعد السبي [3] .

اما عن ثروات دمشق طيلة رزوحها تحت سلطة الامبراطوريات

١ راجع ما ورد في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الخامس عشر ، العدد السابع الثلاثين ، والاصحاح السادس عشر ، العددين الخامس والسادس من المعاهدة بين فقح ملك اسرائيل ورصين ملك دمشق الموجهة ضد احاز ملك يهوذا ، وكيف اسولى رصين على ايلة الواقعة على البحر الاحمر .

راجع ايضاً سفر اشعيا ، الاصحاح السابع ، من العدد الاول الى التاسع .

٢ راجع ما ورد في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح السادس عشر ، من العدد السابع الى التاسع ، عن استنجاد احاز ملك يهوذا بتغلث فلاسر ملك اشور ، وعن استيلاء ملك اشور على دمشق ومقتل الملك رصين وسبي السوريين الى قير ، وكيف اصبحت سائر سورية خاضعة للامبراطورية الاشورية حوالى العام ٧٤٠ ق م .

وراجع ايضاً سفر اشعيا ، الاصحاح الثامن ، العدد الرابع . قابل ذلك مع الاصحاح العاشر ، العدد التاسع من سفر اشعيا ، وكذلك الاصحاح السابع عشر من السفر نفسه ، من العدد الاول وما بعده .

Jos. Ant. 9. 12. 3.

٣ راجع ما جاء عن مدينة دمشق في سفر ارميا ، الاصحاح التاسع والاربعين ، العدد الثالث والعشرين وما بعده .

وراجع ايضاً سفر حزقيال ، الاصحاح السابع والعشرين ، العدد الثامن عشر .

وراجع ايضاً سفر زكريا ، الاصحاح التاسع ، العدد الاول .

الاشورية ، والبابلية ، والفارسية التي توالت عليها [1] ، فلا نكاد تجد لها اثراً في التاريخ . ويدل كلام حزقيال المذكور اعلاه انها كانت لا تزال سوقاً للصناعة والتجارة . وبعد معركة ايسوس التي اضطرم اوارها في العام ٣٣٣ ق م ، اصبحت سوريا بكاملها تحت سلطة الاسكندر ، فاستسلمت دمشق الى برمينيو Parmenio خيانة ، وكان داريوس ابقى فيها حرمه وكنوزه [2] . اما ملوك دولة السلوقيين السوريين اليونانية ، فقد جعلوا من انطاكية عاصمة لهم واهملوا دمشق . وفي حروبهم مع مصر كانت اقاليم فلسطين وسوريا المجوفة تسقط احياناً بيد البطليموسيين [3] . في العام ١١١ ق م ، اقتسم الاخوان انطيوخوس غريبوس Antiochus Grypus وانطيوخوس سيزيسينوس Antiochus Cyzicenus ،

١ راجع ما جاء عن خضوع دمشق للكلدانيين في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع والعشرين ، العدد الثاني .

وفي سفر ارميا ، الاصحاح الخامس والثلاثين ، العدد الحادي عشر .

وراجع عن خضوعها الى الفرس المصادر الاتية :

Arrian. Alex. 2. 11.
Strabo, 16. 2. 20. p. 756.
Q. Curt. 3. 12. 27.

٢ راجع المصادر الاتية عن استيلاء الاسكندر على سوريا كلها بعد معركة ايسوس التي احتدم اوارها في العام ٣٣٣ق م، وكيف لعبت الخيانة دورها بتسليم دمشق الى بارمينيو .

Arrian. Alex. 2. 15,
Q. Curt. 3. 12. 13.

٣ راجع المصادر الاتية عن الدولة السلوقية وعن حروبها مع مصر ، وجعل عاصمتها في انطاكية عوضاً عن دمشق :

Polyaen. 4. 15.
Comp. Zumpt. Annales, pp. 38, 39.

سوريا بينهما ، فكانت فينيقيا وسوريا المجوفة من نصيب الثاني ، فجعل مقره في دمشق [١] . اغتنم اليهود الذين تحت سلطة هيركانوس Hyrcanus فرصة ضعف هذا الامير لتوسيع رقعة بلادهم [٢] . وبعد ثورات اهلية كثيرة واضطرابات جمة ، استولى ديمتريوس يوكيروس Demetrius Eucærus ، وهو الابن الرابع لِغريبوس بمساعدة بطليموس لاثيروس Ptolemy Lathyrus المصري ، على دمشق ، ونصب نفسه ملكاً عليها ، وقسم امبراطورية سوريا بينه وبين اخيه فيليب [٣] . لبى ديمتريوس دعوة اليهود المعارضين لاسكندر جانيوس Alexander Jannaeus وزحف على فلسطين ، فدحر الاسكندر في سيشام في العام ٨٨ ق م . وغب رجوع ديمتريوس من فلسطين شن حرباً على اخيه فيليب ، ولكن البرتيين parthians عضدوا اخاه فخلعوه ونفوه الى بَوثيا

١ راجع المصادر الاتية عن اقتسام سوريا بين الاخوين انطيوخوس غريبوس وانطيوخوس سيزيسنيوس في العام ١١١ ق م ، وعن جعل دمشق عاصمة الاخ الثاني :

Diod. Sic. Fragm. 34. 30.

Porphyr. apud. Euseb. p. 62 Sealig.

Jos. Ant. 13. 10. 1.

٢ راجع المصدر الآتي عن اغتنام اليهود فرصة ضعف الامير هيركانوس لتوسيع رقعة بلادهم :

Jos. Ant. 13. c. 10.

٣ راجع المصدرين التاليين عن الحروب الاهلية بين اولاد غريبوس والاستيلاء على دمشق وقسمة مملكة سوريا بين ديمتريوس يوكيروس واخيه فيليب :

Jos. Ant. 13. 13. 4.

Porphyr. 1. c. p. 67.

Parthia حيث قضى نحبه [1] . استولى بعده اخوه الاصغر انطيوخوس ديونيسيوس على دمشق وحكم سوريا ثلاثة اعوام ، وسقط قتيلاً في معركة دارت رحاها بينه وبين اريتس [2] Aretas ملك الجزيرة العربية في العام ٨٤ ق م . حينئذ دعا الدمشقيون اريتس ليكون ملكاً عليهم ، وذلك لحقدهم دعيٍّ بالملك ، هو بطليموس منيوس Ptolemy Mennaeus [3] . لم يمض طويل وقت فاذا تيغرانس Tigranes ملك ارمينيا يستولي على سوريا ويخضع البطالسة . ولما كان ملك ارمينيا مجبراً على الدفاع عن بلاده من هجمات الرومانيين ، اخضع هؤلاء دمشق في اثناء ذلك بقيادة ميتلّوس [4] Metellus في العام ٦٤ ق م . استقبل بومبيوس Pompey في دمشق السفراء والهدايا من الملوك المجاورين . وفي السنة التي تلتها

١ راجع المصدرين الآتيين عن الحرب بين ديمتريوس واسكندر جانيوس ، وبينه وبين اخيه فيلب وانهزامه ووفاته :

Jos. Ant. 13. c. 14.
B. J. I. c. 4.

٢ الحارث الثالث ، استولى على دمشق وحوران سنة ٨٥ ق م . - المعرب .

٣ راجع المصدر الآتي عن استيلاء انطيوخوس ديونيسيوس على دمشق وحربه مع الحارس ملك الجزيرة العربية :

Jos. Ant. 13. c. 15.

٤ راجع المصادر الاتية عن استيلاء تيغرانس ملك ارمينيا على سوريا، ثم انهزامه امام الرومان واستيلاء هؤلاء عليها .

Strabo, 11. 14. 15. p. 532.
Jos. Ant. 13. 16. 4.
ib. 14. 2. 3.
Comp. Zumpt. Annal. p. 40.

اصبحت سوريا بكاملها ولاية رومانية [1] . اما مقر الولاة الرومان فكان بالاكثر في انطاكية ، وندر ان اقاموا بدمشق . جاء هيرودوس الصغير الى دمشق لزيارة الوالي (بروقنصل) الروماني سيكتس قيصر Sextus Caesar فولاه حكومة سوريا المجوفة الى حين [2] . وفي دمشق ايضاً بنى هيرودوس ، بعد ان اصبح ملكاً ، مسرحاً ومراضاً كما في المدن الاخرى الخارجة عن الايالات التي تحت سلطته [3] .

اشتهرت دمشق في تاريخ العهد الجديد [4] باهتداء بولس الرسول وعماده واعماله المبكرة [5] . في ذلك الزمن كانت دمشق خاضعة مؤقتاً لسلطة اريتس آخر [6] ملك بترا العربية ،

١ راجع المصدر الاتي عن استقبال بوميوس الروماني السفراء في دمشق وتقبل الهدايا من الملوك المجاورين وكيف اصبحت سوريا بكاملها ولاية رومانية :

Jos. Ant. 14. 3. 1.

٢ راجع المصدر الاتي عن جعل انطاكية مقراً للولاة الرومانيين وزيارة هيرودوس للوالي الروماني :

Ibid. 14. 9. 2, 4, 5.

٣ راجع المصدر الاتي عن بناء هيرودوس مسرحاً ومراضاً بعد ان اصبح ملكاً :

Jos. B. J. 1. 21. 11.

٤ هو الكتاب الذي يشتمل على الاناجيل الاربعة ، واعمال الرسل الخ ، تمييزاً له عن العهد القديم الذي يشتمل على الاسفار اليهودية والنبوات . — المعرب .

٥ راجع في سفر اعمال الرسل ، الاصحاح ، التاسع ، من العدد الثاني الى السابع والعشرين ، والاصحاح الثاني والعشرين ، العدد الخامس وما بعده ، والاصحاح السادس والعشرين العددين الثاني عشر والعشرين، عن اهتداء بولس الرسول الى المسيحية ومحاكمته واعماله وعماده .

وراجع ايضاً رسالة بولس الرسول الى غلاطية، الاصحاح الاول، العدد السابع عشر.

٦ هو الحارث ملك العرب الانباط اصحاب مدينة بترا او سلع . ويرجح

وكان يحكمها حاكم عسكري نيابة عنه . بذل اليهود جهداً لالقاء القبض على بولس بواسطة ذلك الحاكم ، ولكن الرسول تدلى في زنبيل من نافذة في الحائط وفر من المدينة [١].

من المستغرب ان لا يذكر يوسيفوس دمشق بعد عهد هيرودوس الا نادراً ، مع ان الكثيرين من اليهود كانوا يقطنونها في تلك الحقبة . وهذا المؤرخ نفسه يقول ان الاهلين ذبحوا عشرة آلاف يهودي في حادثة واحدة ، وان اكثر نساء المدينة كن من المهتديات الى الديانة اليهودية [٢].

كانت دمشق مقر اسقف مسيحي في العصور التي عقبت هذه

المؤرخون ان الامبراطور كاليغولا منحه دمشق هدية حوالى الزمن الذي كان فيه بولس الرسول هناك، واسترجعت في العام ٦٢ م . هاجم الحارث هيرودوس انتيباس حوالى العام ٢٨ م ، ودحره انتقاماً منه لانه طلق ابنته . في عهده امتدت مملكة الانباط العرب من الفرات حتى البحر الاحمر . وفي العام ١٠٦ م ، ضمت سائر المملكة الى الامبراطورية الرومانية وعرفت بولاية العرب . عاش الحارث الى العام ٤٠ تقريباً . - المعرب .

١ راجع في رسالة بولس الرسول الثانية الى اهل كورنثوس العددين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين عن سعي اليهود لالقاء القبض على بولس الرسول بواسطة حاكم دمشق العسكري الذي كان حاكما نيابة عن الحارث ملك الجزيرة العربية ، وكيف فر بولس من المدينة .

وراجع المجلد الثاني للمؤلف، ص ١٦٠ (٥٦٠ ومابعدها ii) عن تاريخ الحارث .

ولا تزال الاساطير الرهبانية المتناقلة تشير او تدل على الاماكن المختلفة المذكورة المتصلة بحياة الرسول بولس ، كما تدل على النافذة التي تدلى منها ، مع ان الحائط نفسه اعيد بناؤه العديد من المرات .

٢ راجع المصدر الآتي عن ذبح الدمشقيين لعشرة الاف يهودي ، وعن عدد اليهود من الجنسين الذين كانوا يقطنون دمشق :

Jos. B. J. 2. 20. 2.

الحوادث . اما مقامه فكان يعتبر الثاني في البطريركية الانطاكية [١] . وقد ذكر اسم ماغنوس Magnus الدمشقي بين اساقفة مجمع نيقيا كما ذكر في المجمع الديني الذي عقد في انطاكية في العام ٣٤٠ م [٢] . وفي العام ٥١٨ م ، كان توما ، وهو القائل بان للمسيح طبيعة واحدة ، اسقفاً في دمشق ، فطرده الامبراطور يوستينيانوس الاول Justin لانه رفض الاعتراف بمجمع كلسيدونه Chalcedon [٣] . ويذكر المؤرخون الكثيرون غيره . وفي الزمن الحالي يوجد اسقف ماروني في دمشق ، وفيها ايضاً مقر البطريرك الانطاكي الاسمى [٤] .

سقطت دمشق تحت سلطة الخليفة عمر في فجر الفتوحات الاسلامية في العام ٦٣٥ م ، بعد ان حاصرها قائداه خالد وابن عبيدة [٥] فأمدها الامبراطور هرقل Heraclius بالجيوش للتخفيف عنها ، ولكن اتعابه ذهبت ادراج الرياح . وبعد شهرين من الحصار أخذ جزء من المدينة عنوة واستسلم الجزء الآخر بشروط أتفق

١ راجع ما ورد في المصدر الاتي عن اسقفية دمشق وعن مقام اسقفها بين اساقفة البطريركية الانطاكية :

Le Quiem Oriens Christ. II. 834.

٢ راجع المصدر الآتي عن اسقف دمشق وعضويته في مجمع نيقيا ، والمجمع الديني الذي اجتمع في انطاكية العام ٣٤٠ م .

Ibid.

٣ راجع المصدر المصدر الاتي عن الاسقف توما اسقف دمشق القائل ان للمسيح طبيعة واحدة ، وطرده من قبل الامبراطور يوستينيانوس :

Ibid. 836.

٤ راجع المصدر الاتي عن الاساقفة المسيحيين في دمشق في العهد الحالي :

Ibid. 698.

٥ جئنا على اصلاحه سابقاً . — المعرب .

عليها [١] . جعل الخلفاء الامويون مقر حكومتهم في دمشق التي اصبحت ردحاً من الزمن عاصمة الشرق [٢] . اما العباسيون فاستقروا في بغداد وولوا على دمشق ولاة من قبلهم [٣] . في العام ٨٧٧ م [٤] ، استولى احمد ، وهو اول الحكام الطولونيين ، على دمشق وتدرج الى الاستيلاء على سوريا بكاملها ، ثم توالى عليها خلفاؤه طيلة ثلاثين عاماً تقريباً [٥] . قلب الخليفة المكتفي عرش الطولونيين ،

١ راجع المصادر الاتية عن الفتح العربي في سوريا واستيلاء العرب على دمشق في العام ٦٣٥ م ، وعن عجز الامبراطور هرقل عن استرجاعها :

Abulfeda, Annal. I. p. 222.

Elmakin p. 21.

v. Hammer's Gesch. der Osman. Reichs. II. p. 481 sq.

وتقول مصادر اخرى ان استيلاء العرب على دمشق كان سببه خيانة والد يوحنا الدمشقي . راجع المصدرين التاليين :

Elmakin, p. 27.

Asseman. Bibl. Or. II. p. 97.

٢ الخلافة الاموية من العام ٦٦١ — ٧٥٠ م . — المعرب .

٣ راجع ما ذكرته المصادر الاتية عن تاريخ الخلفاء الامويين في دمشق والعباسيين في بغداد :

Deguignes, Hist. des Huns, Introd. lib. VI. vii, viii.

Cibbon's, Hist of the Decline etc. b. 1, li.

وراجع المجلد الاول للمؤلف ، الصفحات ٣٩٠ و ٣٩٣ و ٤٠٠ (٣٨، ٤٢، ٥٣ ii)

وقابل مع الصفحة ٤٦٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

٤ الدولة العباسية ٧٥٠ — ١٢٥٨ . — المعرب .

٥ راجع ما ذكرته المصادر الاتية عن استيلاء احمد بن طولون، في العام ٨٧٧ م،

ولكن دمشق لم تلبث ان سقطت تحت سلطة الاخشيديين [١]، ثم الخلفاء الفاطميين [٢] في مصر الذين طردهم السلجوقيون [٣] بدورهم في العام ١٠٧٥ م [٤].

في منتصف القرن التالي، في العـــام ١١٤٨ م، هاجم جيش الصليبيين دمشق بقيـــادة ثـلاثة مـلوك هم: بولدوين Baldwin و كونراد Conrad ولويس السابع، ولكنهم اجبروا على التقهقر [٥]. ثم سقطت تحت سلطة نور الدين، فصلاح الدين [٦]. في العـــام ١٢٦٠ استسلمت دمشق الى هولاكو قائد المغول بدون اية مقاومة.

على دمشق وسوريا بكاملها، وعن خلفائه، ومدة حكمهم (الدولة الطولونية من العام ٨٦٨ – ٩٠٥ م. – المعرب):

Abulfeda, Annales II. p. 250.

Deguignes, I. c. Tom. II. lib. IX. c. 1.

١ من العام ٩٣٥ – ٩٦٩ م. – المعرب.

٢ من العام ٩٠٩ – ١١٣٣ م. – المعرب.

٣ من العام ١٠٧١ – ١١٧١. – المعرب.

٤ المصادر الاتية تنبئك عن الخليفة المكتفي وتغلبه على الدولة الطولونية، وعن استيلاء الاخشيديين على دمشق، ثم استيلاء الخلفاء الفاطميين عليها، ثم انهزام هؤلاء امام السلالة السلجوقية في العام ١٧٠٥ م.

Deguignes, I. c. Tom. II. lib. IX. c. 2. Ibid. lib. X. c. I.

٥ المصادر الاتية تنبئك عن الهجوم الذي قام به جيش الصليبيين على دمشق في العام ١١٤٨ م، بقيادة بولدوين وكونراد ولويس السابع وتراجعهم خاسرين.

Wilken Gesch. der Kreuzz. III. I. p. 241, and App. p. 18.

٦ المصدر التالي يخبرك عن استيلاء نور الدين على دمشق، ثم استيلاء صلاح الدين عليها:

Ibid. III. ii. pp. 31, 161.

اما القلعة فقد قاومت وحدها ولكنها حوصرت واستولي عليها [1] .
وفي القرون المتعاقبة توالت على دمشق سلالات اسلامية مختلفة .
وفي العام ١٤٠١م ، سقطت تحت سلطة الفاتح التتاري تيمورلنك
الذي ارسل جماعة من امهر صناعها الى سمرقند [2] . بعد ذلك
استولى المماليك المصريون على دمشق . وفي العام ١٥١٦م ،
استولى عليها السلطان سليم الاول ، ولا تزال منذ ذاك خاضعة
للدولة التركية [3] . ودمشق الان عاصمة باشوية متسعة تمتد من مرّة
الواقعة في منتصف الطريق بين حماة وحلب شمالاً ، الى اوروشليم
وحبرون جنوباً ، ومن حاصبيا غرباً الى تدمر شرقاً ، وتشمل
سهول حوران الشاسعة وكل الاقليم باتجاه الصحراء [4] .

١ المصدر التالي يتحدث عن استسلام دمشق بدون مقاومة الى هولاكو القائد المغولي في العام ١٢٦٠ م ، وعن ثبات القلعة وحدها في الميدان والاستيلاء عليها :

Wilken, ibid. VII. p. 411.

٢ المصادر الاتيه تتحدث عن السلالات الاسلامية التي تعاقبت على دمشق وتنبئك عن استيلاء تيمورلنك القائد التتاري الظافر عليها في العام ١٤٠١ م ، وعن ارساله جماعة من امهر صناعها الى سمرقند :

Sherifeddin, Hist. de Timur Bec ou Tamerlan, par Le Croix. Par. 1723, lib. V. c. 24-27 . Tom III. pp. 312-347.

Deguignes, Tom . IV. p. 306 sq.

Germ. v. Hammer Gesch. der Osman. Reichs. II. p. 481 sq.

٣ المصدر الاتي يحدثك عن استيلاء السلطان سليم الاول، في العام ١٥١٦ م ، على دمشق بعد ان الحق الهزيمة بالمماليك المصريين الذين كانوا متسلطين عليها، وعن استمرارها تحت السيطرة التركيه الى هذا العهد :

Hammer ibid.

٤ يحدثك فولني عن تاريخ دمشق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . راجع :

كانت دمشق عرضة للزلازل كسائر سوريا . ولكن يبدو انها لم تصب بما اصيبت به انطاكية وطبريا وغيرها من الاماكن ١ .

هذه هي دمشق ، وهذه هي سهولها الذائعة الشهرة ، وهذا هو مختصر تاريخها الطويل . فكأن الطبيعة اولت تلك البقعة امتيازاً خاصاً لتكون موقعاً لمدينة هامة ، وهذا ما كانت عليه دمشق منذ اقدم العصور ولا تزال . دمشق اقدم مدينة في العالم ، ولكنها تختلف عن كثير من المدن القديمة في ان ازدهارها كان ولا يزال متواصلاً غير متقطع نسبياً . فقد اجتاحتها امواج الحروب الكثيرة المتواصلة ، وغرقت مع سهلها في طوفان من الدماء ، ولكن آثار الغزو والسلب والنهب لم تعمر طويلاً فيها ، ولم تلبث ان توارت . اما تعاقب تاريخها فكان مطمئناً مستوياً ، وندر ان كانت مقر امبراطورية قديمة ، بل عاصمة مملكة صغيرة او على رأس ولاية ثانوية خاضعة لسلطة غيرها . ومع انها مدينة شرقية ، فانها لم تبلغ مبلغ نينوى او بابل في عظمة سطوتها وفخامة قصورها ، ولا

Volney's, Voyage, ll. p. 230 sq.

١ يتحدث المصدر الاتي عن الزلازل التي اجتاحت البلاد السورية في الاعوام ١١٣٩ و ١١٥٧ و ١١٧٠ م :

Deguignes, Hist. des Huns. ll. pp. 474, 494, 527, Germ.

ويحدثك فولني عن الزلزال الذي ترك وراءه الخراب والدمار في العام ١٧٥٩ م .

Volney's, Voyage, l. p. 276 sq.

(المعرب : ويحدثك المؤلف بلهجته الاسفة عن الدمار والاستئصال الذي احدثه زلزال كانون الثاني الاخير الهائل من العام ١٨٣٧ في طبريا وعن الخراب والموت اللذين اشاعها في صفد وقاطنيها . فقد قلب مساكنها رأساً على عقب وظلت الارتجاجات آخذة بعضها برقاب بعض عدة اسابيع . — راجع المجلد الثاني الصفحة ٣٨١ وما بعدها ، والصفحة ٤٢٢ وما بعدها والصفحات ٢٥٤ وما بعدها و ٣٢١ وما بعدها من المجلد الثالث ، الطبعة الاولى .)

هي تشابهها الآن في الاعماق التي سقطنا فيها والدركات التي صارتا اليها ، ولا في اتساع خرائبها . فقد واصلت ازدهارها بينما واصلتا سقوطتها. وهي حتى في الزمن الحالي لا تزال تزدهر وسط الظلم والاهمال وسوء الادارة التركية . ان عظمة دمشق هي في سهلها الجميل الزاهي الذي يتألق بالجداول المتدفقة وبالينابيع المتفجرة فيه من بردى . وما هذا السهل بافضل من الصحراء لولا هذه المياه الغزيرة التي ترويه وتحييه ، وهو بها جنة ارضية تنعم بحقول تنتج اجود الحبوب واغزرها ، وبجنات وبساتين فيها ما لذ وطاب من الاثمار الشرقية . ولا تزال دمشق درة « مقلة الشرق كله »[1] .

ضواحي دمشق

الصالحية . مقام ولي . صيدنايا . دير صيدنايا . حلبون .
جوبار . حج اليهود .

تقع في ضواحي دمشق عدة اماكن هامة لاتصالها الوثيق بتاريخ وطوبوغرافية دمشق والسهل . بين هذه الاماكن واحد على الاقل له صلة بالتوراة . من هذه الاماكن الصالحية ومقام الولي القائم على سلسلة الجبل وراءَها ، وقد زرت كليهما . اعتاد السياح سابقاً النزهة الى صيدنايا وزيارة ديرها الشهير للراهبات[2] ،

١ راجع ما ذكره المؤلف في المجلد الثالث ، ص ٤٥٣ ، عن نهر بردى وسهل دمشق والري .

٢ راجع ما تحدث به موندريل بتاريخ الثاني من ايار عن زيارته للصالحية ومقام

واحياناً الى حلبون [1] . كنت اتمنى ان اقوم بهذه النزهة ولكن وقتي لم يسمح لي بذلك .

في تشرين الاول التـــالي زار روبصن ، وبورتر ، وبارنيت صيدنايا والاماكن التي وراءَها وتفحصوها ، ونشر المستر بورتر تقريراً ضافياً عن تلك الزيارة وعن الاديرة القائمة بذاك الاقليم [2] . وقد زودني المستر بورتر والدكتور بولدنغ بملاحظات ضافية عن حلبون . امـــا جوبار ، وهي المكان الذي يحج اليه اليهود على مسافة نصف ساعة الى الشمال الشرقي من دمشق ، فلم ازرها [3] .

الصالحية

تمتد الصالحية مسافة ميل ونصف الميل على سفح جبل قاسيون ،

الولي القائم على حرف الجل وراءها وصيدنايا وديرها الشهير :

Maundrell under May 2nd.

واستمع الى ما يقوله بوكوك في مؤلفه التالي :

Pococke, ll. i. pp. 130-135.

وهذا برون Brown ايضاً يتحدث عن زيارته لهذه الاماكن الشهيرة ، في الصفحة ٤٠٥ من رحلته ، وقد عبر الجبل من هناك الى بعلبك :

Brown's, Trav. p. 405.

١ يتحدث بوكوك عن زيارته لحلبون ، ويكتبها Helboue :

Pococke, ll. i. p. 135.

٢ راجع ما كتبه المستر بورتر عن زيارته لصيدنايا والاماكن الواقعة وراءها برفقة السيدين روبصن وبارنت ، في كتاب المكتبة المقدسة ، في تموز من العام ١٨٥٤ ، من الصفحة ٤٣٣ الى ٤٥٥ .

٣ راجع ما ذكر عن جوبار ، وهي المكان الذي يحج اليه اليهود ، في :

Lands of the Bible, ll. p. 331 sq.

فهي قرية مستطيلة وجد ضيقة . تمتد طريق ضيقة من باب الصالحية في دمشق باتجاه الشمال الغربي الى ناحية القرية الجنوبية الغربية وتستغرق ربع ساعة . والطريق هذه مبلطة بحجارة منحوتة او مسطحة ، وعلى كلا جانبيها اخدود وبين الاخدودين وجدران البساتين ممشيان للمارة [١] . وارجح انها الطريق الوحيدة من هذا النوع في سوريا . الى الجنوب الغربي منها ، المرج .

تقع الصالحية على ارتفاع قليل فوق السهل ، ترويها ترعة يزيد الواقعة في اقصى الشمال بين الترع المسحوبة من بردى وهي اعلاها ايضاً . تعتبر الصالحية ضاحية من ضواحي دمشق . وهي مصيف اثرياء الدمشقيين ، وفيها من الجنائن اجملها . ويقدر عدد سكانها بخمسة عشر الفاً . في جانب الجبل فوقها ، عدة كهوف مقدودة ، بعضها جد متسع [٢] . هنا ، جبل قاسيون اصفر عار ، و كثير الشبه بالجبال الواقعة بجانب النيل ، ولكنه اقل منها قفاراً .

قبة سيار

تمر الطريق الى قبة سيار وسط الناحية الجنوبية الغربية في

١ قابل بين ما كتبه بوكوك وسيتزن عن الصالحية وموقعها وشكلها والطريق المؤدية اليها في :

Pococke, II. i. p. 126.

Seetzen,Reisen I. p. 133.

٢ يتحدث بوكوك في كتابه التالي عن المغائر المقدودة في الجبل :

Pococke, II. i. p. 126.

الصالحية ، ثم تتعرج صاعدة تدريجاً الى جزء الجبل الذي يلي هوة بردى . وهي ممرّ ضيق معوج مقدود عميقاً في الصخر الكلسي. وعلى قمة السلسلة ، عن يسار الطريق تماماً ، مقام ولي طلق ، هو قبة تشبه هيكلاً صغيراً ، هذه هي قبة سيار [1] . تشرف هذه البقعة على منظر دمشق الشهير وسهلها . اما المنظر فشيّق جميل ، مع انه لا يختلف كثيراً في ميزاته عن المنظر الذي ذكرته سابقاً عن التل الواقع بالقرب من باب المدينة الشرقي [2] . ولكن هذه السلسلة اكثر ارتفاعاً من التل ، فهي تعلو سبعماية قدم فوق المدينة . ولذلك فالمشهد منها افخم من ذاك وهو يشبه المخطط اكثر من اي مشهد آخر امامك ، ولكنه من الشمال والشمال الشرقي اقل اتساعاً من المشهد الذي يرى من التل لان الكتف البارزة من جبل قاسيون تحجب جزءاً من السهل[3] .

يرى الناظر المرج تحته مباشرة ، والنهر يجري وسطه ، ووراءه تجثم المدينة باكثريتها جنوبي النهر ، والضاحية الكبرى ، وهي الميدان ، تمتد جنوباً على جانب طريق الحج لمسافة ميل ونصف تقريباً . تحف الاشجار بسائر هذه المناظر وتحتضنها . والاشجار في

١ يعرف المرسلون مقام الولي القائم على قمة الحرف عن يسار الطريق باسم قبة سيار ، وهو الاسم المألوف عندهم . اما السياح فيعرفونه عادة باسم قبة النصر . قابل ما جاء عنها في :
Lands of the Bible, II. p. 370.

٢ راجع وصف المنظر من الاكيمة الواقعة بالقرب من بوابة المدينة الشرقية وقابله مع المنظر من قبة سيار . راجع الصفحة ٤٥٨ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ المواقع من قبة سيار : جبل الشيخ . غرباً بجنوب ، منتصف المدينة ، بين الشرق والجنوب الشرقي ، الهوة عند سوق وادي بردى الى الشمال الغربي .

السهل تدل على مدى امتداد الري . اما باتجاه الجنوب الغربي ، فالاشجار والجنات تمتد ميلين تقريباً من المدينة ، ولكن انتشارها الى الشرق لا تحده العين ، ويمتد الى مسافة لا تتميز بعدها الاشجار من سواها فالبقعة التي تغطيها الاشجار على تلك الجهة من المدينة يجب ان يكون طولها نحو اثني عشر ميلاً او خمسة عشر من الغرب الى الشرق بجانب النهر ، ومعدل عرضها ستة اميال او سبعة . في الجنوب الشرقي ، والجنوب ، والجنوب الغربي عدد كبير من القرى المنعزلة تحيط بها الجنائن والبساتين الشاسعة .

واذا حولت عينك شرقاً او الى الشمال الشرقي عن يسار المدينة يبدو لك السهل لامتناهياً . وبين الشرق والجنوب الشرقي عبر المدينة ، تُرى التلول القصية وراء البحيرات . وبين الجنوب الشرقي والجنوب ، يمتد السهل الى حوران ، الى جباله التي تبدو كأنها مجللة بالظلام . ثم تُرى آكام جبل مانع وراء الاعوج . وعلى هذه الجهة خط جبل الاسود الاقصر والاكثر انخفاضاً . وفي الجنوب الغربي ، تبدو هذه السلاسل غير متصلة بسفح جبل الشيخ ، بل كأنها خط من الآكام المنخفضة تمتد من سهل مرتفع . ينتهي جبل الاسود بالقرب من الكسوة ، فيصبح مجرى نهر الاعوج تحته في السهل .

واذا ادرت بصرك وراء مقام الولي تشرف على هوة بردى ، حال دخولها في السهل . وهذه الهوة جد ضيقة ، وخالية من التربة الا في قعرها ، والاشجار فيها على ضفاف الماء . اما ارض الوادي فمكسوّة بالاشجار . تنحدر على هذه الجهة من النهر الترعتان الكبيرتان يزيد وطورة ، ووراء النهر ترى الرافدين الصغيرين ،

ورافداً آخر مسحوباً من هذه النقطة . لا تمر طريق في بطن الهوة . جوانب الهوة صخرية هاوية وتعلو نحو ستماية قدم . اما طبقات الصخور فجد مفككة ومفتتة .

حلبون

على موازاة شمال شرقي وادي بردى وعلى مسافة ساعة ونصف الساعة منه ، ينحدر واد آخر اصغر منه من فوق حلبون ، مجراه اكثر استقامة من مجرى وادي بردى . وهو يشق طريقه في هوة وسط جدار من الصخور الى قرية دريج ، ثم يعبر الصحراء الى معربا ويمر في السلسلة الاخيرة في الهوة التي تحد جبل قاسيون من الشمال الشرقي . هنا ، في فتحته ، تقع قرية برزة ، على بعد ساعة من بوابة المدينة الشرقية ، اي شمالاً ١٤ درجة شرقاً . تقع حلبون شمالي دمشق تقريباً وتبعد عنها ثلاث ساعات ونصف الساعة . اما مجرى الوادي من حلبون الى برزة فهو بين الجنوب والجنوب الشرقي او جنوباً بشرق . تنحدر شعبة من منين في الشمال وتدخل هذا الوادي فوق معربا . اما الجزء الاعلى في الوادي ، وهو ينفسح الى بقعة خصبة ، فاسمه وادي حلبون ، ويسمى وادي دريج تحت الهوة الاولى ، وتسمى الهوة السفلى وادي معربا .

في هذا الوادي ينابيع كثيرة . الينبوع الاول على بعد نصف ساعة فوق حلبون ، وهو ينبع من مغارة صغيرة ويجري جدولاً رائقاً صافياً . في القرية نفسها ينبوع بجانب الجامع . على مسافة ثلاثة ارباع الساعه الى تحت ، عند فم الهوة فوق دريج ، تقع عين

صَهيب ، ماؤها يدير طاحونة . المسافة بين عين صهب ومعربا ساعة وربع ، والوادي هنا يشق طريقه في الصحراء الشمالية . في معربا ينبوع آخر ، ويجري جدول من منين . اما المسافة بين معربا وبرزة فهي نحو خمس واربعين دقيقة . تسير طريق من عين صهب بجانب حد الصحراء الشمالي الغربي باتجاه الجنوب الغربي بغرب ، الى رأس وادي بسيما ، والمسافة لا تعدو الساعة .

تعلو جدران الهوة فوق عين صهب عدة مئات من الاقدام ، وهي صخرية وعمودية . وبجانب الهوة قُد ممرٌ في الصخر على جهة النهر اليمنى . فوق الممر نقرة في الصخر كأنها تُركت لوضع تمثال ، ونواويس واضرحة مقدودة في الصخر على جانبي الهوة .

يمتد وادي حلبون نفسه نيفاً وساعة ، وهو اكثر انفراجاً من الوادي الموازي له ، مع ان جوانبه الوعرة تحجبه . اما مقره فشقة ارض مطمئنة ومحروثة جيداً في كل جزء منها . في جزء الوادي الشمالي ، العديد من اشجار الجوز والمشمش وغيرها من الاشجار المثمرة . والكروم المتقنة تمتد على طول الوادي ، والجنفات مزروعة في كل بقعة صالحة منه . حتى ان الاماكن المنحدرة التي يصعب دنو المشذب منها او تحرم العناية الفائقة فهي ترزح تحت حملها من العنب . وزراعة الكرم هي الزراعة الهامة في الوادي . في دمشق يقدرون العنب حق قدره لطيب طعمه ولذته ، ومنه يصنعون اجود الخمر في البلاد واحسنها .

تقع قرية حلبون على نحو ساعة تحت الينبوع الاعلى ، او في منتصف الوادي تقريباً . في حلبون ومن حولها خرائب كثيرة اكثرها مهدم ، والحجارة المنحوتة ، والتيجان ، والاطناف ، والاعمدة

المحطمة مبنيـة في جدران المساكن الحديثـة . غربي القربة طلل فسيح ، يظن انه كان هيكلاً فيما مضى . على بعض حجارته الكبيرة قطع من النقوش اليونانية المطموسة .

يعتبر المرسلون ان حلبون هذه هي نفسها حلبون المذكورة في الكتاب المقدس . ومن المرجح انهم على حق فيما يذهبون اليه ، وان الخمر التي كانت دمشق ترسلها الى صور هي خمر حلبون هذه [١] .

لا تزال خمر حلبون مشهورة ، ومن المحقق ان دمشق كانت السوق الطبيعية لتصديرها . اما اذا اعتبرنا الاسم فحسب ، فيمكن ان تكون حلب هي حلبون المذكورة في التوراة [٢] . ولكن حلب لا تنتج خمراً تتمتع بـأية شهرة [٣] ، وليست دمشق السوق التجارية الطبيعية بين حلب ودمشق .

١ راجع ما ورد في سفر حزقيال ، الاصحاح السابق والعشرين ، العدد الثامن عشر . « دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى ، بخمر حلبون والصوف الابيض . »

٢ راجع في المؤلفات الاتية ما ورد عن حلب وحلبون . وقد تكون حلب هي حلبون المذكورة في التوراة :

Gesen. Thesaur. p. 473 sq.
Heb. Lex. art.

ويقول استرابو ان خمر شاليبون CHALYBON السورية كانت تعد بين دواعي الترف والرخاء عند ملوك فارس :

Strabo, 15. 3. 22. p. 735.

وكذلك اثينايوس كان ينسبها الى دمشق :

Athenaeus, l. p. 22.

٣ يقول الدكتور رسل ان انتاج الخمر في حلب قليل جداً وهو من الجنس الدون:

Russell's Aleppo, Lond. 1794, Vol. 1. p. 80 sq.

راجع ما كتبه في المجلد الاول الصفحة ٨٠ وما بعدها في رحلته طبعة لندن العام ١٧٩٤ .

قرية هريري

تمتد طريق من حلبون غرباً عبر الجبال فتصل بساعتين وربع الساعة الى افري التي تبعد ساعة شمالي عين الفيجة . ومن افري تسير طريق وعرة يصعب السير عليها ، وهي تمتد عبر الجبال ايضاً (بعضها بركانية سوداء) الى قرية ُهريري التي تبعد ساعتين ونصف الساعة ابعد الى الغرب . والقرية واقعة على جانب وادي هريري الغربي ، وهو واد طويل يمتد موازياً لسهل الزبداني ، وتفصله عنه سلسلة من الآكام العالية . والوادي يجري الى وادي بردى ، تحت السوق تماماً التي تبعد ساعة وربع الساعة عن قرية ُهريري .

في القرية اطلال قديمة تشتمل على حجارة منحوتة وقطع اعمدة . بالقرب من الينبوع العمومي حجر عليه نقش يوناني طويل ولكنه مطموس .

ان هذا الاقليم خلو من الطرق الكبيرة ، وندر ان زاره احد غير المرسلين بقصد استكشافه . ويظهر ان بوكوك هو الرحالة السباق الوحيد الذي مر عليه في طريقه . فقد مر من صيدنايا غرباً على منين ، ثم مر بين حلبون ودريج الى بردى ، على بعد ميلين تحت الفيجة والارجح بالقرب من بسيما[١] .

١ راجع ما يقوله بوكوك في رحلته من صيدنايا غربا بطريق منين ، ثم بين حلبون ودريج الى بردى :

Pococke, ll. i. p. 135.

بين دمشق وعين الفيجة

مأمورو الجمارك . قبة سيار . دمر . بسيما . نفق مقدود في الصخر . ينبوع عين الخضرا . قرية الفيجة . ينبوع عين الفيجة . اطلال هيكل . هيكل فوق النهر .

ها انا على وشك الدخول في المرحلة الثالثة والاخيرة من رحلتي . اعتزمت زيارة عنجر وبعلبك وربلة ، والتوغل شمالاً بقدر ما يتاح لي من الوقت وتسمح به الظروف ، ثم الرجوع الى بيروت بطريق قطاع لبنان الشمالية . يرافقني في هذه المرحلة المستر روبصن وهو اقدم مرسل في دمشق ، ويصطحب رئيس خدمه جرجس وهو امين المؤونة وطاهي العائلة . اما انا فيبقى معي بشارة وتبقى الخيمة والمعدات كما كانت سابقاً . جددنا استئجار البغالين الدروز الذين رافقونا من حاصبيا ، وسيبقون معنا الى آخر الرحلة .

الاثنين ٧ حزيران . — تأخرنا قليلاً هذا الصباح في اعداد ما يلزمنا ، ولم نترك بيت المستر روبصن قبل الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين .

رافقنا المستر بورتر مسافة قصيرة . بعد نصف ساعة من السير في المدينة كنا على باب الصالحية ، فخرجنا منه الساعة الثامنة والدقيقة العشرين . هنا احاط بنا جمع من مأموري الجمرك ، وهي اول مرة ارى فيها هذا الجمع من مأموري الجمارك منذ دخولي بيروت . اظهروا لنا كل لطف وايناس . ولم يكن القصد من

تجمعهم سوى طلب البخشيش. هـذا القصد يعرفه رفاقي جيداً، ولكنا تابعنا طريقنا ولم نلبث ان تخلصنا من الحاحهم.

بعد عشر دقائق عبرنا الجسر المشيد فوق الطورة وهي اكبر الترع الموجودة. والساعة الثامنـة والدقيقة العشرين دخلنا طرف الصالحية الجنوبي الغربي. هنا عبرنا يزيد وهي الترعة الكبيرة الاخرى التي تسقي القرية والبساتين. تسلقنا المرتقى الصخري المنحدر الى قمة السلسلة، فوصلنا الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين قبة سيّار التي تعلو سبعماية قدم فوق المدينة.

على هذه القمة المشرفة اطلنا الوقوف اعجاباً بما حولنا وامتاعاً للطرف بمنظر المدينة الفخم والسهل المنبسط تحت اقدامنا[١]. هذه هي النظرة الاخيرة المتباطئة ألقيها على دمشق، ولا يزال المشهد يتردد في خيالي كأنه ذكرى رؤيا سارة.

تركنا مقام الولي الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة وبدأنا النزول في طريق متعرجة، مع انحدار في مكان ما منها، الى دمّر. تعبر الطريق قمم عدة سلاسل بارزة الى اليمين. التقينـا المستر وود القنصل البريطاني مبكراً بالرجوع مـن بلودان. الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين وصلنا دمر، وهي قرية فقيرة عـلى ضفة بردى اليسرى. بالقرب من القرية جسر حجري فوق النهر تعبر عليه، الى الجهة الجنوبية الغربية، الطريق الرئيسية الى بيروت، فتمر بجانب طرف الصحراء الشمالي الى ديماس. في هـذه النقطة تعبر الطريق المباشرة الى السوق والزبداني وهي اقصر الطرقات المؤدية اليهما،

١ راجع ص ٤٧٠ من المجلد الثالث للمؤلف عن وصف هذا المنظر.

وبذلك تتحاشى الدورة الكبيرة التي يسير فيها النهر شمالاً . وهذه الطريق تصطدم بالنهر ثانية عند دير قانون .

رغبنا بزيارة عين الفيجة فلم نفارق ضفة النهر اليسرى . تقع بسّيما تحت الفيجة ، ولا يمكن الوصول اليها الا بدورة طويلة في جزء من الصحراء الشمالية ، لان هوة بردى الواقعة تحت بسيما تماماً جد ضيقة وكثيرة الانحدار يستحيل عمل طريق فيها . تابعنا السير بجانب النهر وترعة يزيد حتى الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة ، ثم تحولنا شمالاً بين الآكام . ان ترعة يزيد مسحوبة في مكان ما بالقرب من الهامة وهي قرية مرتفعة حيث يوجد جسر آخر فوق بردى .

عبرنا سلسلة الصالحية ، ولكننا لم نجد هنا سلسلة على موازاتها كالتي على طريق المزة [1] ، بل وجدنا عوضاً عنها مدة من الاكام الصنوبرية الضاربة الى البياض وهي التي رأيناها من تلك الطريق . دخلنا بين هذه الاكام فودعنا المستر بورتر وقفل راجعاً الى دمشق . ظلت الطريق تتعرج بين هذه الاكام حتى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ، فاذا بها تفضي بنا الى الصحراء ، فكان اتجاهنا بين الشمال والشمال الغربي . ليست البقعة القاحلة الممتدة امامنا الآن سوى تتمة الصحراء نفسها التي عبرناها على الجانب الآخر من النهر ، وهي هنا اقل اتساعاً ، وتنحدر كثيراً الى الجنوب الشرقي . وهذه البقعة تمتد باتجاه الشمال الشرقي الى ما وراء سلسلة قاسيون وقلمون ، وتتجاوز منين كثيراً ، ويقال انها مفصولة

١ راجع ص ٤٤٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

عن سهل جرود بخط من الآكام الوطيئة فحسب . تابعنا صعودنا عليها تدريجاً في الاتجاه نفسه ، ميممين رأساً شطر سلسلة صخرية عالية امامنا تبدو انها حدها الشمالي . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين وصلنا فجأة حافة واد عميق ينحدر غرباً بجنوب ، على سفح السلسلة العالية ، الى النهر عند بسيما . هبطنــــا الى هذا الوادي ، وتابعنا السير وسط الكروم وبساتين التين ، فوصلنا بسيما والنهر الساعة الثانية عشرة . تمتد السلسلة الصخرية العالية مـن منين الى بسيما ، تخترقها الهوة تحت حلبون . تقع بسيما في حوض ارض صغير على نهر بردى ، تحجبها كلياً صفوف من الصخور العالية يشق فيها النهر مجراه بشقوق ضيقة فوق القرية وتحتها . وهذا الحوض مليء باشجار الفاكهة . ويقال ان السكان يجلبون ما يحتاجونه من الخضار والبقول من دمشق .

يجري نهر بردى من قرية السوق باتجاه بين الشرق والجنوب الشرقي ، ثم ينعطف فجأة ويجري صداً نحو الجنوب ما يقرب من الساعة الى الجديدة ماراً بالاشرفية . تقع قرية بسيما عند هـــذه الزاوية المكوّنة من انعطاف بردى الى الشرق تحت الجديدة ويتابع مجراه نصف ساعة اخرى . تقع قرية الهامة ضمن الزاوية المكوّنة من هذا التحوّل . ثم يتابع مجراه بدورات الى الجنوب الشرقي ، فيصل اولاً الى دمر ثم الى المزة . اما الطريق المؤدية الى السوق والتي تعبر النهر عند دمر فتواصل سيرها مسافة نصف ساعة بجانب النهر ثم تسير باستقامة الى الجديدة ، فتكون قرية الهامة الى اليمين وبسيما الى اليسار تحجبها الاشجار الغضة عن الانظار مع قربها . اما المسافة بين دمر والجديدة فهي ساعة وعشرون دقيقة . تسير

الطريق من الجديدة صعداً عبر حافة الصحراء باستقامة الى دير قانون وتهبط اليها في واد جانبي قليل العمق . ثم تتابع سيرها بجانب ضفة النهر اليمنى الى السوق . اما سائر القرى بين الجديدة ودير قانون فتقع على ضفة النهر اليسرى .

سار سيتزن من الهامة الى الاشرفية على طريق مباشرة عبر الآكام . وربما توجد طريق من الجديدة الى هناك بجانب النهر . اما بين الاشرفية وبسّيما ، والمسافة بينهما تستغرق عشرين دقيقة ، فالطريق لا تصلح لسير الخيل الا بجانب مسيل النهر ، وهي تستغرق القسم الاكبر من الوقت[1] . اما طريق المشاة الوحيدة فهي وسط نفق مقدود بجانب سفح الصخر الكلسي المنحدر المركب من الحصى والرمل والتراب . وهذا النفق ضيق ولكن ارتفاعه يكفي لمرور المرء فيه منتصباً . رأينا مدخل النفق من بسّيما وهو يمتد الى الاشرفية تقريبا . مرّ رفيقي مرة فيه ، ولكنه بعث بحصانه على طريق اخرى الى الطرف الآخر .

هذا هو النفق الذي المعت اليه سابقاً وقلت ان البعض يعتقدون انه بداية قناة تنقل مياه بردى الى تدمر[2] . وقد اشرت ايضاً الى الصعوبات التي تعترض صحة هذه النظرية . اما في حالة عدم العثور على آثار حقيقية غير هذا النفق ، فيكون من الراجح ان القصد من هذا الممر نقل ماء النهر بواسطته الى اجزاء الصحراء الواقعة

١ يقول سيتزن ان الخيل اضطرت الى الخوض ست مرات في النهر :
Reisen, I. p. 138.

٢ راجع ما ذكره المؤلف عن هذه القناة المزعومة في الصفحتين ٤٦٣ و٤٦٤ من المجلد الثالث .

تحت الاشرفية . ومع ذلك فلست ادري اذا كانت بقية من عملية الري لا تزال في حيز الوجود . يقال ايضاً ان آثار قناة على الطريق الى الفيجة لا تزال موجودة ، ولكننا لم نلاحظ شيئاً من هذا[1] .

تسير الطريق من بسّيما بلصق النهر ثم تدخل فجأة هوة جد ضيقة ، عميقة ومنحدرة ، ترتفع القمم الصخرية الوعرة على جانبيها فلا تترك سوى ممر صغير بجانب النهر . وهذه الهوة هي من اجمل ما شاهدته من الاماكن التصويرية على طول مجرى النهر . بعد ربع ساعة يبدأ جانبا الهوة بالتقهقر قليلاً . في هذه النقطة تماماً ينبوع عين الخضرا الصغير الجميل ذو الماء العذب الصافي ، تحيط به في الآونة الحاضرة بقعة مخصوضرة جميلة ، وهو يقع بالقرب من النهر ويصب فيه . ها الوادي الذي يجري فيه النهر يزداد اتساعاً وانفساحاً . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين وصلنا الى قرية الفيجة . والساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين كنا على الينبوع الكبير .

ينبوع عين الفيجة

في هذا المكان يتجه الوادي من الغرب الى الشرق تقريباً ،

١ يظن المؤلف ان هذه الآثار هي اثار القناة التي يتحدث عنها بوكوك ويصفها بقوله انها تبتدىء على مسافة ميل تقريباً تحت الفيجة ، وانه تأثرها « على مسافة اربعة اميال تقريباً » ، ولكن دقة هذا القول مشتبه بها :

Pococke, II. i. p. 136.

ويتفجر الينبوع من تحت الاكمة الشمالية . تبعد الطريق قليلاً عن النهر ليتسنى لها المرور فوق الينبوع الذي يُعد نهراً غزيراً فور تبجسه ، وهو اغزر كثيراً من نهر بردى فوقه ، ويعتبر بغزارة ينبوع تل القاضي الكبير ، ولكن ينقص ماءه صفاء ينبوع بانياس وجماله ولألاؤه . يتدحرج هذا الجدول ويرغي في جريانه على مجراه الصخري مسافة عشرين روداً تقريباً ، وهي المسافة التي تفصله عن نهر بردى حيث يصب . لا يخطر في بال اي شخص عبوره لما هو عليه من السعة والعمق والهيجان . سرنا الى مكان اتصاله ببردى فوصلناه بعد مشقة وجهد ، فاذا بهذا الجدول الخارج من الينبوع اغزر من بردى واعنف منه ، مع ان ثلث مائه تقريباً سحب منه عند نبعه بقناة للري . اما ماؤه فرائق وصاف وعذب ، بينما مياه بردى قبل الاتصال به عكرة .

ينبجس الينبوع تحت الطريق تماماً من فتحتين وطيئتين من مغارة صغيرة . احدى هاتين الفتحتين تبدو كأنها قنطرة وطيئة خربة .

اطلال هيكل صغير

فوق هذه البقعة مباشرة ، توجد دكة قديمة ، جزء منها صخر طبيعي ، والجزء الآخر مبني بحجارة كبيرة مربعة الزوايا . على مؤخرة الدكة خرائب هيكل صغير طوله نحو احدى عشرة قدماً بعرض عشر اقدام ، حجارته كبيرة منحوتة . لم نر امامه اثراً لرواق او اعمدة او غير ذلك من زخارف البناء .

هيكل فوق النهر

على مسافة بضع اقدام جنوبي فتحة الينبوع ، بناء آخر اوطأ من الاول شيد ابتداء من ارض النهر . يشتمل هذا البناء على حائطين متوازيين بارزين من الضفة العالية الى الجنوب الشرقي ، طول كل حائط سبع وثلاثون قدماً وسمكه ست اقدام . يصل بين مؤخرتيهما حائط طوله سبع وعشرون قدماً وسمكه اربع اقدام وهو يستند على ضفة النهر . فوق هذين الجدارين الجانبيين خرائب قنطرة جد ضخمة مبنية بحجارة كبيرة ، تبدو انها كانت تغطي سائر المساحة داخل الجدران الثلاثة وتشكل غرفة منيعة مقببة . اما ارتفاع العقد فلم يكن اقل من خمسة عشر او عشرين قدماً . على طول الجدارين الجانبيين من الخارج تبرز حجارة كبيرة منحدرة تشبه الطنف او الحاشية البارزة التي ترى على دكة هيكل [١] .

في الجهة الامامية التي تواجه النهر ، شكل مدخل كبير يشغل الجزء الاكبر في تلك الجهة . في داخل الحائط الخلفي فوق الارض قليلاً فتحة مستطيلة مربعة الجوانب كأن رافداً من النهر كان يدخل منها . وفي الجهة الامامية في كل من الجدارين الجانبين ثغرة تشابه تلك كأنها اعدتا لخروج الماء منها . توجد ايضاً فجوات في الجدران الثلاثة . جنوبي الجهة الامامية تماماً ترتمي قطعة عمود ربما

١ قابل البناء الذي يصفه المؤلف عند ينبوع الفيجة في الصفحتين ٤٧٦ و٤٧٧ من المجلد الثالث بالهيكل الذي بالقرب من دير العشاير ، والصفحة ٤٣٧ من المجلد نفسه .

كانت قاعدة عمود او غيره . تملكتنا فكرة غلابة لم يكن بوسعنا مقاومتها وهي ان هذا البناء كان في الماضي دكة مقببة يستند عليها هيكل صغير شُيد فوق رافد صناعي من النهر . ان البساطة في الصنعة والخشونة في العمل تشيع في البناء ، ولكن الدلالة على عراقته ظاهرة .

تغمر الينبوع والنهر الجاري تحته الاوراق الكثيرة وتحضنها الجنات الغضة الضاحكة . اغرانا هذا المنظر الخلاب على الجلوس ، فاسترحنا على حجارة دكة الهيكل القديمة الضخمة نلتهم طعام الظهر ، تظللنا اشجار الجوز وغيرها من الاشجار ، وتشنف اذاننا تغاريد البلابل الراقصة الفرحة ، ونحيط بنا هذه الانهر المتدفقة من الجبال بقوة وغزارة .

هذا مثال آخر يصدق على هذا الينبوع مما اصطلحت عليه العامة في حسبان اغزر الينابيع مصدراً للنهر وليس ابعدها [1] . والى القارىء ما يقوله الادريسي عن ينبوع الفيجة : « ان المياه التي تروي الغوطة تأتي من ينبوع يسمى الفيجة ، ينبع من الجبل . وهذه المياه تنحدر من الجبل هادرة فيسمع صوتها من مسافة قصية [2] . » اما ابو الفدا فيقول : « ان مصدر نهر دمشق هو تحت هيكل يسمى الفيجة ... ثم بعد ذلك ينضم الى نهر يسمى بردى ،

١ يرى المؤلف ان ينبوع الفيجة ليس النبع الحقيقي لنهر بردى ، وهذا ينطبق على نهر الاردن وينابيعه . راجع الصفحتين ٤١٢ و ٤٠٣ من المجلد الثالث للمؤلف . وهذا الرأي نفسه ينطبق على ينبوع عنجر وينابيع العاصي بالقرب من الهرمل .

٢ راجع ما يقوله الادريسي عن المياه التي تروي الغوطة :
Edrisi, par Jaub. I. p. 350.

ومنها تخرج سائر انهر دمشق[1] .» ولكن مصدر نهر بردى الحقيقي هو على بعد عدة ساعات ابعد الى فوق في الجبل كما سنرى فيما بعد .

تكتنف وادي بردى في هذه النقطة جدران لا تقل عن الثمانماية او الالف قدم ارتفاعاً . وهي جدران مسننة وعرة وتصويرية ، مع ان بعض انحاء الوادي محروث . اما سلسلة الجبل التي يشقها نهر بردى ليتسنى له الوصول الى بسّيما فتبدو انها فرع يمتد شرقاً بشمال من السلسلة الرئيسية الواقعة تحت نجد دير العشاير والزبداني . وهذه السلسلة الفرعية تنتهي عند منين بنتوء عال . اما الفسحة الواقعة في الغرب بين هذه السلسلة الفرعية الرئيسية فانها غير منخفضة ، بل معظمها صعيد مرتفع غير مطمئن ، يمتد غربي حلبون ، ولكن الاصح ان يقال ان وادي افري ووادي هريري اللذين يمتدان جنوباً الى بردى يفصلانها الى ثلاثة حروف جبال .

اما وادي بردى فهو اكثر انطلاقاً نوعاً ، ابتداء من هذه النقطة حتى السوق ، ولكن هذه السلسلة الفرعية تمتد جنوبيه ، وبقعة الصعيد المرتفعة تمتد عن شماله .

١ راجع ما يقوله ابا الفدا عن ينبوع الفيجة وانضمامه الى نهر بردى في المصدر الاتي :

Tab. Syr. ed. Kohler. p. 15.

ويجاري ابن الوردي ابو الفدا فيما يذهب اليه :

Excerpt. in Abulf. Tab. Syr. p. 174.
Lex. Geogr. in Schulten's Ind. Geogr. ad Vit. Saland. art. Phatha.

بين ينبوع عين الفيجة والسوق

دير مقرين . كفر زيت . الكفر . هيكل يوناني .
دير قانون . الحسينية .

تركنا عين الفيجة الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والخمسين وسرنا على الطريق الصاعدة بجانب ضفة النهر اليسرى . الساعة الثانية والدقيقة العشرين اجتزنا دير مقرّين . والساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين اجتزنا كفر زيت . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين كنا على الضفة الجنوبية قبالة دير قانون . والساعة الثالثة كنا قبالة الحسينية الواقعة على الجانب الثاني من النهر ايضاً . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنا الى الكفر . تقدمنا بعدها خمس دقائق باتجاه بين الغرب والشمال الغربي الى اطلال هيكل يوناني قائم على نقطة بارزة تشرف على النهر والوادي .

هيكل يوناني

هنا العديد من الاعمدة المتهدمة يبلغ قطر الواحد منها واحداً وثلاثين انشاً ، وطول احدها تسع عشرة قدماً واثنين . بين الاطلال ايضاً تيجان كورنثية ضخمة ، وزاويتان من عضادة جد

ضخمة تغشوها الزخارف الكثيرة . اما رواق الهيكل فكان باتجاه النهر ولا تزال قاعدتا عموديه في مكانها . اما الهيكل فكان صغيراً ولكنه ضخم ، وبناؤه متقن دقيق ويزدان بعضادة تغشاها النقوش وافريز مزدوج . بجوار الهيكل تتبعثر على الارض احجار منحوتة ، وتضم الجدران الكثير منها .

على الطريق الى السوق

الاثار القديمة في قرية السوق . اضرحة مقدودة في
الصخر . طريق مقدودة في الصخر . نقوش لاتينية .
قبر هابيل . هيكل قديم . مدينة ابيلا .

رجعنا الى الكفر ثم تركناها الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين ولم نلبث ان عبرنا النهر على جسر هناك الى الناحية الجنوبية . على ضفة النهر الشمالية بالقرب من الجسر ، تل متسع وطيء سطحه محروث . ها نحن نصل الى الطريق الآتية مباشرة من دمشق وهي التي سنسير عليها من الآن وصاعداً . الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين كنا قبالة برحليا وهي قرية صغيرة على الضفة الشمالية . تصعد الطريق الان بجانب الجزء الاسفل من الاكمة الشديدة الانحدار القائمة في الجنوب . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين كانت قرية سوق وادي بردى الكبيرة عن يميننا الى تحت على الضفة الجنوبية [1] . على مسافة عشر دقائق وراء قرية

١ ان قرية سوق وادي بردى هي اخر قرية في وادي بردى . وقد دققت كثيراً في كتابة اسماء القرى ومواقعها في الوادي . اما ما ذكره بركهاردت عنها فهو جد ناقص ، وفي بعض النواحي مغلوط . راجع الصفحتين الثانية والثالثة من كتابه . ومع ذلك يظهر ان بعض السياح الذين اتوا بعده نقلوا عنه فحسب ، ومنهم روبنصن ورسغر :
G. Robinson, Travels, ll. p. 113.
Russegger, l. p. 173.

سوق وادي بردى ، يُرى الوادي الذي يتجه مجراه الاعلى من دير قانون الى الشمال الغربي تقريباً ، منعطفاً بسرعة الى الجنوب الغربي، ويستمر كذلك خمس عشرة دقيقة ثم يتجه الى الغرب صداً . هذا الجزء القصير من الوادي هو الممر الى السوق ، يحجبه من الجنوب الشرقي طرف الصخر العالي الغربي الذي مر ذكره ، ومن الشمال الغربي صخور شاهقة منحدرة . اما حيطان الهوة هنا فلا تبعد عن بعضها اكثر من خمسين يرداً . في منتصف الممر عبر النهر المتدفق في مجراه العميق الضيق جسر ذو قنطرة واحدة حديث البناء جيده . تواصل الطريق سيرهـا من هذه النقطة بجانب الضفة الشمالية . وصلنا الجسر الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة . توقفنا بعض الوقت بعد ان عبرنا الجسر لنتمتع بجلال المشهد ونتفحص الاطلال القديمة . كل ما حولنا مشبع بالخيال ، قفر ومثير للعواطف .

الآثار فى قرية السوق

يقال ان في قرية السوق آثار اسس قديمة ومساكن ، وعلى جانب النهر الشمالي اعمدة وخرائب اخرى في اماكن مختلفة . وراء النهر العديد من الاضرحة المقدودة في الصخور يقع اكثرها بين الجسر وزاوية الوادي تحته في انعطافه الى الجنوب الغربي . تشتمل جبهة الاكمة الشمالية الغربية القائمة تحت الجسر على احدور منحدر من التراب او خرائب تبدأ من حافة النهر وترتفع الى منتصف ارتفاع الجبل . على هذا الاحدور تنتشر حجارة كثيرة

منحوتة واعمدة او قطع اعمدة ، بعضها تدحرجت الى الاسفل[١] .
فوق هذا الاحدور يرتفع الصخر الكلسي عمودياً ، وفيه العديد من الاضرحة المقدودة شقّ صنعها كثيراً على حافريها ، يُرقى الى بعضها على ادراج كثيرة الدرجات . اما الصخر فكله مقوس نوعاً وهو منضد الطبقات على شكل « امفيتياتر » .

اضرحة مقدودة في الصخر

وفي العام ١٨٤٨ تسلق المستر روبصن الصخر وتفحص بعض هذه الاضرحة . دخل احدها فاذا به غرفة مربعة ، على كل من جانبيها سردابان ، وفي كل سرداب فجوتان ، وقبالة الباب سرداب بأربع فجوات ، هذا خلا اربع فجوات في ارض الغرفة نفسها . الاضرحة الاخرى تشابه هذا الضريح الذي دخله المستر روبصن ، بعضها اكبر منه والبعض الاخر اصغر . بعض الاضرحة ليست

١ كانت بعض هذه الاعمدة لا تزال قائمة في زمن موندريل . وفي حديثه عن الممر يقول : « هنا دخلنا في قناة او مضيق ضيق بين جبلين صخريين منحدرين ، وفي قعر المضيق يجري نهر بردى . على الجانب الاخر من النهر عدة اعمدة طويلة جذبت انظارنا اليها واغرتنا بالاقتراب منها لمشاهدتها عن قرب . ألفينا تلك الاعمدة جزءاً من جبهة صرح قديم وجد فخم ، ولم يكن بوسعنا معرفة نوعه او تقديره . » راجع ما كتبه بتاريخ الرابع من ايار .

ولا ريب ان هذا الصرح الذي يتحدث عنه موندريل كان هيكلا .

وفي العام ١٧٣٨ رأى بوكوك عمودين مع انضادهما لا يزالان قائمين على جبهة النهر الشمالية :

Pococke, ll. i. p. 116.

سوى فراغ مقدود في وجه الصخر على عمق قدمين وطول سبع اقدام ، اعلاها على شكل قنطرة ، وفي اسفلها حفرة واحدة لوضع الجثة . كل هذه الاضرحة المفردة كانت قبلاً مغطاة بأغطية حجرية كاغطية النواويس ، فاصبحت الآن مكشوفة بدون اغطية . في الصخر القائم على الضفة الجنوبية ابعد قليلاً الى فوق بجانب النهر ، قبر وحيد مقدود في الصخر . وعلى سطح الصخر الشمالي الغربي مقالع قديمة شاسعة كما قيل لنا .

طريق مقدودة

اما اغرب جميع هذه الخرائب فهي الطريق القديمة المقدودة بجانب جبهة الصخر الشمالية الغربية ، على ارتفاع مئة قدم فوق الطريق الحديثة والجسر . وهذه الطريق تبدأ من زاوية الاكمة حيث ينعطف الوادي في دورته من الغرب ويسهل التسلق اليها من تلك الجهة . ترتفع جوانب الهوة هنا من ستماية قدم الى ثمانماية ، والطريق تمتد نحو مئتي يرد بجانب جبهة الصخر . اما في نهايتها فهي مقدودة في الصخر الصلب على اتساع خمس عشرة قدماً . في بعض اجزائها ترك قسم هزيل من الصخر باتجاه النهر يختلف في ارتفاعه ، لوقاية السائرين عليها ، وفي امكنة اخرى مثها بني حائط لهذه الغاية نفسها كما ارجح .

تنتهي هذه الطريق فجأة في الطرف الشمالي الشرقي بصخر منحدر يرتفع من الضفة المنحدرة تحته . ولو امتدت هذه الطريق الى ابعد مما هي الآن لكانت على الارجح استندت على دعائم

صناعية ومؤقتة . والدليل على ذلك يظهر من القناة القديمة التي تمر تحتها تماماً ، وتمتد على طول جبهة الصخر فتتجاوزها ، مما يدل على ان الصخر لم يسقط من مكانه ولا طرأ تغيير على شكله العام . اما كيف اكملت الطريق ، او ما هو الغرض من شقها اذا كانت انتهت في هذا المكان ، فهذا ليس من السهل معرفته . ان القناة المغطاة بحجارة مائلة تُرى اولاً على مسافة عشر دقائق او خمس عشرة دقيقة صعداً في الوادي ، ويمكن ان تُرى آثارها على المسافة نفسها ابعد الى تحت [1] .

اما الاحرف اللاتينية الشهيرة المنقوشة التي كثر ناسخوها في السنوات الاخيرة ، فهي موجودة على لوحات حفرت على سطح الصخر الاملس فوق الطريق . وهذه الكتابة منقوشة في مكانين ، الاول في الطرف الشرقي ، والثاني على بعد ثمانية يودات الى الغرب منه مع اختلاف قليل بين الكتابة في المكانين [2] . اما الكتابة الاولى فهي اكثر وضوحاً . والنسخة التالية هي النسخة المضبوطة [3] :

١ ان هذه القناة ، كما قلت في المتن ، هي تحت الطريق المقدودة . ولكن يظهر ان كرافت Kraft يقول انها فوق الطريق . راجع الصفحة ٢٦٩ من كتابه .

٢ ان الاختلافات المذكورة موجودة بالاكثر في النقوش القصيرة ، وهي تنحصر بالاكثر في تقسيم الاسطر وبكلمة Opere عوضاً عن Operi . وهذا يدل على ان النحات لم يكن دائماً دقيقاً في عمله .

٣ اخذت عدة نسخ من هذه النقوش . راجع النسخ التي اخذها الدكتور دي فوريست وغيره ، في المكتبة المقدسة لشهر شباط ، العام ١٨٤٨ ، من الصفحة ٨٦ الى ٩٠ . وراجع فيما يلي مؤلفات الذين احرزوا نسخاً منها :

Krafft, nos. 32, 33. Comp. p. 269.

نقوش لاتينية على الصخر

I.

IMPCAESMAVRELANTONINVS
AVGARMENIACVSET
IMPCAESLAVRELVERVSAVGAR
MENIACVSVIAMFLVMINIS
VIABRVPTAMINTERCISO
MONTERESTITVERVNTPER
IVLVERVMLEGPRPRPROVINC
SYRETAMICVMSVVM
IMPENDIISABILENORVM

II.

PROSALVTE
IMPAVGANTO
NINIETVERI
MVOLVSIVS
MAXIMVSL
LEGXVIFFQVI
OPERIINSTITVS

ويقول الرئيس ولسي ان هذه النقوش يمكن ان تكتب كاملة غير منقوصة كما يلي [1] :

Schulz, Monathsber. d. Ges. f. Erdk. II. p. 205 and plate, Berl. 1845.
De Saulcy, Marrative, II. p. 590 sq.

١ يقول الدكتور وولسي ان هذه النقوش يمكن كتابتها بصورتها الكاملة . راجع حديثه في المكتبة المقدسة ، شهر شباط ، العام ١٨٤٨ ، من الصفحة ٨٥ – ٨٩ .

I. Imperator Caesar Marcus Aurelius Antonius, Augustus Armeniacus et imperator Caesar Lucius Aurelius Verus Augustus Armeniacus Viam fluminus vi abruptam interciso monte restituerunt per Julium verum Legatum pro Praetore provinciae Syriae et amicum suum impendiis Abilenrum.

II. Pro salute Imperotorum Augustorum Anto nini et veri Marcus Volusius Maximus Centurio Legionis XVI Palviae Firmae (Fidelis) qui operi institit voto suscepto. ١

اما المدينة التي تشير اليها هذه النقوش والاطلال ، فربما كان جزء منها يقع عند القرية الحالية ، ولكن يبدو ان اكثرها كان على ضفة النهر الشمالية . وعلى تلك الضفة على الاقل كانت الطريق والقناة والاضرحة والهياكل .

قبر النبي هابيل

على قمة الشير الجنوبي ، ابعد قليلاً الى تحت ، وقبالة قرية السوق تقريباً ، مقام ولي او قبر النبي هابيل ، وهو المكان الذي يقول العرب ان قايين دفن فيه جثة اخيه . في العام ١٨٥١ تسلق

١ « يمكننا التثبت من تاريخ النقوش التقريبي بواسطة اللقب الامبراطوري ارمنياكوس الذي اتخذ بمناسبة احتفال اقامه الامبراطوران بعد ان اخضع الامبراطور فيروس ارمينيا . اقيم هذا الاحتفال في العام ١٦٦ م ، وتوفي فيروس في العام ١٦٩ م . اما تاريخ النقوش الاولى فهو بين التاريخين على الاقل . »

السيدان روبصن وبارنيت الى القبر على طريق منحدرة شاقة تسير رأساً من السوق. لا يقل ارتفاع الشير في هذا المكان عن ثمانماية قدم. اما القبر ففي غاية البساطة، عار من اي زخرف، وليس له من الشهرة سوى ان طوله تسعة يردات. وهو جزء من اساس حائط قديم يمكن تتبع آثاره الى ضعفي طول القبر[1]. وهذا القبر يعلوه مقام ولي سطحه مسطح، ويبدو ان روّاده كثر.

هيكل قديم

بالقرب من القبر اطلال هيكل قديم صغير، طوله نحو خمسة عشر يرداً، وعرضه تسعة يردات، مبني بحجارة منحوتة. تحت طرف الهيكل الشرقي سرداب فيه ثلاثة نواويس. وفي الطرف نفسه مرتقى بدرجات مقدودة في الصخر الطبيعي. اما حجارة الهيكل فكبيرة ومسواة جيداً، وليس من اثر لاعمدة محطمة. لم ير السيدان المذكوران اي اثر للكتابة او النقش سوى الحرفين A.H. محفورين على حجر[2].

١ يقال ان طول قبر هابيل هذا نفسه كان ثلاثين يرداً في زمن موندريل. راجع ما كتبه هذا السائح في الرابع من ايار.

٢ ان ما ذكرته في المتن عن قبر هابيل هو كلام المستر روبصن نفسه. وهذا الحديث يختلف جد الاختلاف عما كتبه بوكوك في العام ١٧٣٨. ويصرح بوكوك انه زار المكان، ولكنه لا يأتي على ذكر الممر الشهير تحته:

Pococke, II. i. pp. 115, 116.

ويقول بوكوك ان البناء الذي رآه هناك هو كنيسة، ويتحدث عن عمودين ضخمين تاجاهما دوريان. ويتحدث ايضاً عن نقوش يونانية شعرية متقطعة، ورد فيها ذكر

مدينة ابيلا ABILA

يظهر ان رادزيفيل Radzivil هو اول من جاء على ذكر قبر هابيل هذا في العام ١٥٨٤[١]. ويشير موندريل، بعد ذلك بمئة سنة، الى صلة بين هذا الاسم وبين ابيلا القديمة او ابيلين[٢]. وليس من غير المحتمل ان يكون الجمهور حقيقة تناقل اسم Abel آبيل[٣] تذكاراً لمدينة ابيلا. سمع بو كوك بكتابة محفورة على حجر بالقرب من النهر، فقدر ان ابيلا تقع بالقرب منها، وهو على الراجح يشير الى الكتابة المذكورة اعلاه[٤]. لم يصادف الباحثون عن موقع ابيلا نجاحاً حتى العام ١٨٢٢م. في ذلك العام ذكرت الكوارتولي ريفيو Quarterly Review ان المستر بانكس Bankes احضر معه الى

ليسانياس والي ربع ولاية ابيلين :

Pococke, II. i. p. 116.

اما انا فارتاب جداً بكل ما جاء في حديثه هذا، لا سيا اذا اخذنا بعين الاعتبار صلة هذا الحديث بالتشويش المطاق في ملاحظاته الطوبوغرافية.

١ جاء في المتن ان رادزيفيل كان السابق الى ذكر ضريح هابيل كما يظهر، ولكن غوتنبرغ Gumpenberg يتحدث عنه قبل زادزيفيل بقرن ونيف، ولكنه يشير بوضوح الى جبل قاسيون بالقرب من دمشق :

Reissb. p. 451.

راجع ص ٤٤ من المجلد الثالث للمؤلف، الحاشية الثالثة.

٢ يشير موندريل الى العلاقة بين ابيلا وابيلين في كتابه بتاريخ الرابع من ايار. وهو يظن ان ابيلين سميت من Abel (هابيل).

٣ الاسم الفرنجي لهابيل - المعرب.

٤ يظن بو كوك ان ابيلا تقع بالقرب من النهر :

Pococke, II. i. pp. 115, 116.

اميركا كتابة طويلة يظهر منها ان موقع ابيلا كان بالقرب من هذا الممر [1] . ولكن هذا الموقع لا يثبته مجرد وجود الكتابة وحدها . ومع ذلك فالمقبرة الكبيرة (مدينة الموتى) المجاورة لهذا الموقع واطلال الهيكل ، يمكنها ان تزيل كل باعث على الشك في حقيقته . واذا رجعنا الى ادلة المدن القديمة نرى انها تثبت نهائياً موقع ابيلا في هذه النقطة . فهي تذكر ان المسافة بين دمشق وابيلا ، الواقعة على الطريق الى هيليوبوليس او بعلبك ، هي ثمانية عشر ميلاً رومانياً [2] . فاذا نظرنا الى مرحلتنا هذه ، من دمشق

١ Quart. Rev. Vol. XXVI, No.52. p. 388.

هذا ما ذكرته مجلة الكوارترلي ريفيو في المجلد السادس والعشرين، العدد الثاني والخمسين، ص ٣٨٨ في العام ١٨٢٢ عن المستر بانكس وما تحققه عن موقع ابيلا . « حقا انه لا يوجد موقع كشف التحقيق عن حقيقته اكثر من موقع ابيلا ليسانياس ... فقد جلب المستر بانكس معه كتابة طويلة (لم يلاحظها السياح الذين سبقوه) نقلها عن جهة صخر هناك ، سجل فيها الابيليون شق طريق الى مدينتهم . » ولكن هذا القول ، كما اتضح لنا الان ، لا يمت بصلة وثقى الى النقش الموجود .

٢ ان المسافة بين دمشق وابيلا هي ثمانية عشر ميلا رومانيا كما جاء في ادلة المسافرين القديمة . راجع ادلة المسافرين الاتية :

So the Itinerary of Antonios and the Peutinger Tables e. g.

Itin. Anton	Tabula Peut.
Heliopoli	Eliopoli
Abila, M. P. XXXVIII	Abila, M. P. XXXII.
Damasco, M. P, XVIII	Damsco, M. P. XVIII.

وراجع ايضاً ادلة المسافرين والمصادر الاتية :

Itineraria, ed. Wesseling, p. 198.
Tab. Peut. ed Scheyb, Segm. IX. F.
Bibtioth. Sac. Qiri, p 83 sq.
Reland Palaest. pp. 527, 528.

الى هنا ، نجد انها استغرقت نحو ست ساعات من الوقت كانت خيولنا خلالها على اتم الاستعداد للسفر ، وما ان نصل رأس مرتقى الا لنبدأ بتسلق غيره[١] .

ملاحظات تاريخية

لم يرد لمدينة ابيلا نفسها ذكر في التاريخ الا بعد بضع سنوات من التاريخ المسيحي . كانت المقاطعة التي تضم مدينة ابيلا تسمى ابيلين Abilene [٢] ، ولكن ليس لدينا اية معلومات عن مدى اتساعها . ان اقدم ما وصل الينا عن هذه المقاطعة هو ما ذكره لوقا الانجيلي . فقد جاء في انجيله انه في السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس ، عندما بدأ يوحنا المعمدان كرازته ، كان ليسانياس رئيس ربع على الابلية[٣] . ويقول يوسيفوس انه بعد عشر سنين من هذا العهد ، اي في العام ٣٨ م ، وهي السنة الاولى لولاية كاليغولا Caligula ، اسند هذا الامبراطور الى اغريباس الاكبر ، وهو هيرودوس المذكور في سفر اعمال الرسل ، « رئاسة ربع ليسانياس » او ابيلين ، ورئاسة ربع عمه فيلبس . ولما تبوأ كلوديوس العرش اقره على الربعين ، وخص الامبراطور نفسه « بمدينة ابيلا التي كان يرأسها ليسانياس

١ كان معدل سفرنا التقديري ثلاثة اميال انكليزية في الساعة ، ولكن اضطرارنا الى صعود المرتقيات باستمرار يحتاج الى ثلاثة اميال رومانية .

٢ اي الابلية . — المعرب .

٣ راجع ما ورد في انجيل لوقا ، الاصحاح الثالث ، العدد الاول ، عن ابيلا وابيلين .

وسائر ما في لبنان [١] .» ولما توفي هيرودوس اغريباس انتقلت الرئاسة الى ولده اغريباس الاصغر الذي مثل بولس امامه للمحاكمة [٢]. هذا آخر عهدنا بمقاطعة ابيلين وآخر ما اتصل بنا من تاريخها. كانت مدينة ابيلا في غمرة هذه الهبات الامبراطورية والانتقال من رئيس الى آخر تعرف بابيلا ليسانياس تمييزاً لها عن ابيلا في بيريا Perea [٣] الواقعة شرق غادارا Gadara [٤ - ٥].

١ راجع ما ورد في المصادر الاتية عن كاليغولا وكلوديوس وهيرودوس اغريباس وابيلا ليسانياس ولبنان :

Jos. Ant. 18. 6. 10.
Ib. 19. 5. 1.
Jos. B. J. 2. 11. 5.

٢ يحدثك المصدر الاتي عن وفاة هيرودس اغريباس وانتقال ممتلكاته الى ابنه اغريباس الاصغر :

Jos. Ant. 20. 7. 1.

راجع اعمال الرسل ، الاصحاح السادس والعشرين .

٣ موقعها في شمالي شرقي الاردن ، تدل عليها خرائب آبل الزيت . — المعرب .

٤ راجع المصادر الاتية للتفريق بين مدينتين تسميان ابيلا :

Jos. Ant. 19. 5. 1.
Ib. 20. 7. 1.
Ptolemy, 5. 41. 4.
Comp. Reland Palaest. p. 458.

وراجع ما جاء في المصادر الآتية عن ابيلا في بيريا وهي المسماة الان ابيل :

Polyb. 5. 17. 2.
Jos. B. J. 2. 13. 2.
Ib. 4. 7. 5.
Burckhardt, p. 269.

٥ مدينة قديمة في فلسطين . — المعرب .

وهكذا يظهر ان التناسق تام بين العصر الذي يشير اليه يوسيفوس ويعينه ببضع سنوات بعد الوقت الذي يذكره لوقا في انجيله ، وبين ما يذكره هذا الاخير . لم يجزم يوسيفوس جزماً قاطعاً بان ليسانياس حكم المقاطعة ، كرئيس ربع ، عشر سنوات قبل ارتقاء كاليغولا العرش ، ولكنه يتحدث عن « رئاسته الربعية » وعن « ابيلا ليسانياس » . وليس في ما كتبه المؤرخ ما يدعو الى الاعتقاد انه يشير الى ليسانياس مبكر يرقى الى سبعين سنة قبل الزمن الذي عينه لوقا ، ولا في عباراته ما يدل على صلة بينه وبين ابيلين .

ان ليسانياس السابق هذا كان احد ابناء بطليموس ابن مينوس . وفي عهد بومبيوس كان بطليموس هذا سيد كلسيس التي كانت تحت سلطة لبنان ، وكانوا ينعتونه بجار دمشق الجبار المزعج [١] . قد يكون هذا النعت وحده كافياً للاستنتاج انه كان مستولياً على ابيلين ايضاً ، وابيلين هذه واقعة بجوار دمشق . حوالى العام ٤٠ ق م ، خلفه ابنه ليسانياس ، ولكن دسائس كليوبطرا كانت السبب في وفاته حوالى العام ٣٤ ق م [٢] . بعد بضع سنوات من

١ المصادر الاتية تحدثك عن ليسانياس بن بطليموس سيد كلسيس المنخفضة وعن لبنان :

Jos. Ant. 14. 7. 4.
Jos. Ant. 13. 16. 3.
Comp. 14. 3. 2.
Jos. B. J. 1. 9. 2.

٢ خلف ليسانياس اباه بطليموس ، ولكن دسائس كليوباطرة سلبته الحياة حوالى العام ٣٤ ق م . راجع المصادر الاتية :

وفاته استأجر ممتلكاته واستغلها شخص اسمه زينودوروس[1] فشملت سلطته تراخونيتس ومقاطعات اخرى. ولكن اوغسطس انتزعها منه بعد زمن واعطاها الى هيرودوس الكبير في العام ٢٢ ق م. وبعد وفاة زينودوروس في العام ١٩ ق م، استولى اوغسطس على الكثير من مقاطعاته[2].

لم يرد ذكر ابيلين مطلقاً في ما كتبه يوسيفوس حتى هذا الوقت. وقد نستنتج امكانية او ترجيح وجود صلة بين ليسانياس السابق وابيلين. وحتى لو صح هذا الاستنتاج لا يمكن ان تكون علاقته هذه بها كرئيس ربع. ومن المحتمل ان بطليموس وابنه ليسانياس استوليا على ابيلين، وانه بعد مقتل ليسانياس اجرها الامبراطور الى زينودوروس لمصلحة عيلة ليسانياس التي كانت بعد قاصرة، وأرجعت لها حقوقها بعد بلوغها سن الرشد. في هذه الحالة، قد يكون ليسانياس الذي يذكره لوقا هو ابن ليسانياس السابق او حفيده. فاذا كان حفيده فيجب ان يكون في السبعين من عمره في الوقت الذي عينه لوقا. ليس هذا الاستنتاج بعيد الامكان، اذ

Jos. Ant. 14. 3. 3.
Jos. B. J. 1. 13. 1.
Jos. Ant. 15. 4. 1.
Dio Cass. 49. 32.

١ راجع ما يقوله المصدر الاتي عن استئجار زينودوروس لاملاك ليسانياس:
Jos. Ant. 15. 10. 1.

٢ امتدت سلطة زينودوروس الى تراخونيتس وغيرها من الاقاليم. راجع ما يقوله المصدر الاتي عنها وعن اعطاء ممتلكاته الى هيرودوس الكبير من قبل اوغسطوس:
Jos. Ant. 15. 10. 1-3.

بعد عشرة اعوام (في العام ٣٨ م) تحولت مقاطعاته الى الامبراطور ، وهذا اعتبرهـا ملكه الخاص ، ومنحها الى هيرودوس اغريباس . وقد يكون استيلاء الامبراطور على تلك الاملاك نتج عن ان ليسانياس لم يخلف وريثاً يرثها . ولكن مهما يكن ، فليس في ما ذكرناه سابقاً من الحوادث والتطورات ما يؤثر اقل تأثير في اتفاق لوقا ويوسيفوس على ما اورداه عن تاريخها .

تابعت مدينة ابيلا ازدهارها عدة اجيال متعاقبة . اما تاريخ النقوش التي ذكرناها سابقاً فقد اثبته تقريبـاً اللقب الامبراطوري « ارمينياكوس » الذي أتخذ عـلى اثر احتفـال بانتصار احرزه الامبراطوران بعد ان اخضع الامبراطور فيروس ارمينيا . اقيم هذا الاحتفال في العـام ١٦٦ م. وفي العام ١٦٩ م توفي الامبراطور فيروس [1] . بين هذين التاريخين حُفرت الكتابة الطويلة على الاقل .

كانت ابيلا مقر اسقفية تابعة للبطريركية الانطاكية . وكان احد اساقفتها وهو جوردان Jordan حاضراً في مجمع كلسيدون في العام ٤٥١ م. واسقف آخر ، هو الكسندر ، كان في عهد الامبراطور جستينيانوس في العام ٥١٨ م [2] .

١ المصدر الاتي يحدثك عن الاحتفال بعيد النصر على ارمينيا ، وعن اللقب الذي اتخذه الامبراطوران على اثر ذلك :
Zumpt. Annales, p. 134.

٢ راجع المصدرين التالين عن اساقفة ابيلا في الكرسي الانطاكي :
Le Quiem Oriens Christ. II. p. 843.
Comp. Reland Palaest. p. 529.

ومنذ ذاك العهد توارى ذكر ابيلا وسائر آثارها في صفحات التاريخ كما يظهر، حتى العصر الحالي[1]. هذا امر يدعو الى الدهشة والاستغراب، لان موقعها عينته تماماً ادلة المدن القديمة، فهي تقع على احدى الطرق الكبيرة بين دمشق وساحل البحر. ويستدل على موقعها بخرائب هي خير شاهد على عظمتها القديمة وجلالها، ناهيك بالمقبرة الكبيرة التي قد تكون اوسع واشهر مقبرة في سوريا كلها[2].

١ توارى ذكر ابيلا من صفحات التاريخ منذ العام ٥١٦ م، ولم يستطع بوشنغ Buching في اواخر القرن الماضي التثبت من موقع ابيلا الا على وجه التقدير، اذ قال انه بالقرب من النبي هابيل، استناداً الى شهادة بوكوك.

.XI. i. p. 369.

ولم يكن حظ ريتر في طبعته الاولى باحسن من بوشنغ لانه لم يستطع ان يزيد شيئاً على ما قاله ذاك:

Vol. ll. p. 436, Berlin 1818.

٢ في شهر حزيران من العام ١٨٤٣ مر الدكتور ويلسن على الطريق التي تسير بين دمشق والساحل وهي الطريق الواقعة عليها ابيلا، واليك ما يقوله: « لم نتوقف لتفحص الاضرحة او الاقنية او الخرائب التي شاهدناها من الطريق ... وهي الآثار التي طالما ظن انها تدل على موقع ابيلا.» والدكتور ويلسن هذا نشر النقوش عن نسخة نقلها الدكتور دي فوريست في العام ١٨٤٦ راجع:

Lands of the Bible, 1847, ll. p. 373 sq.

واليك ما يقوله م. دي سولسي الذي كان هنا في العام ١٨٥١ ونشر ما حصل عليه في العام ١٨٥٣: « لا ادري اذا كانت هذه النقوش قد سبق نشرها.» مع ان ليترون نشرها في الجورنال دي سافان في شهر اذار من العام ١٨٢٧:

Journal des Savants for March 1827.

ويظهر ان م. دي سولسي يعتبر نفسه السباق الى تعيين موقع ابيلا في هذه البقعة.

بين السوق وسهل الزبداني

معلومات جغرافية عن الطريق .

امتطينا خيولنا في الهوة على بعد بضعة رودات وراء الجسر ، واستأنفنا السير الساعة الرابعة والدقيقة الاربعين بجانب ضفة النهر الشمالية باتجاه القبر تقريباً . بعد عشر دقائق بطل انحدار جوانب الآكام ، ولكنها ظلت عالية وظل الوادي ضيقاً . الساعة الخامسة انفسح الوادي عن سهل ضيق يشبه المرج الاخضر . في هذا المكان نفسه شلال صغير في النهر ارتفاعه اثنتي عشرة قدماً او خمس عشرة . هنا ايضاً يدخل واد جانبي من الجنوب الغربي في بطنه جدول ماء ، هو مخرج وادي القرن وسآتي على ذكره فيما بعد . الجدول هذا يجف في الصيف وتُرى في مجراه خرائب جسر قديم . صعدنا قليلاً ودرنا حول كتف الاكمة الواقعة عن يميننا ، فوصلنا بعد سبع دقائق الجزء الجنوبي من سهل الزبداني وهو اضيق جزء فيه . انه لمنظر ساحر يشبه المرجة الخضراء المخضلة ، يسرح الطرف فوق الحقول الخضراء والكلأ الضاحك اخضراراً ، ويرنو الى النهر يتسلل متلوياً وسط السهل بسرعة واطمئنان . انه لمنظر اقرب الى منظر غربي منه في اي مكان آخر رأيته . يتجه السهل بالاكثر من الجنوب الى الشمال . تحولنا قليلاً عن الطريق نزولاً ، فضربنا خيمتنا الساعة

الخامسة والدقيقة العشرين على الكلأ الاخضر بجانب النهر العميق السريع الجريان . على مسافة عشر دقائق الى تحت قبالة زاوية الوادي ، مطحنة رجسر تعبره طريق الى بطروني ، وطريق اخرى ابعد الى اليسار تنضم الى طريق بيروت . نحن هنا الآن تغمرنا نضرة الربيع كما غمرتنا منذ اسبوع في دير العشاير . موقع جبل الشيخ من هنا الى الجنوب الغربي .

ينساب نهر بردى متلوياً بسرعة وسط السهل ولكنه هادىء مطمئن . كانت خيمتنا قريبة جداً من حافته ، على مسافة تقل عن العشرة يردات ، ولكننا لم نسمع خريره ولا صوت تموجاته .

ها نحن ثانية على الصعيد الجبلي نفسه كما كنا في دير العشاير . اذا نظرنا الى الطريقين اللتين سلكناهما بينه وبين دمشق نرى ان الصحراء على الطريق الشمالية اضيق منها على الطريق الجنوبية . ومن الجهة الاخرى ، فان الحرف الجبلي العريض الوطيء ، بين دير العشاير وديماس والصحراء ، يتسع هنا فيكوّن البقعة الجبلية العريضة الواقعة بين مخيمنا وبسّيما . يحد هذه البقعة من جانبها الوطيء ، الحرف الممتد من بسيما الى منين ، ومن الغرب صف الآكام الواقعة بين خيمتنا ووادي هريري الذي وصفناه سابقاً [١]. هذه الآكام قائمة على طول سهل الزبداني ، وهي ليست في البدء عالية ، ولكنها تزداد ارتفاعاً حتى اعلى قمم انتي لبنان نفسه وراء بلودان والى الشمال الشرقي من الزبداني . اما في الغرب ، فاعرض جزء في السهل يحجبه حرف جبل عال ، وهو اكثر وعورة وقفاراً من الحرف الواقع في الشرق .

١ راجع ص ٤٧٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

بين سهل الزبداني وينبوع بردى

بلودان . سرغايا . عين حور . عين الفندق . عين صالح .
عين الحداد . اكيمة . بستان العرب . قرية حوش .

الثلاثاء ٨ حزيران . — ارسلنا بغّالينا هذا الصباح على الطريق المباشرة الى عنجر ، اذ بودنا ان نسير على طريق دائرية . رجعنا الى الطريق التي سرنا عليها البارحة وتابعنا سيرنا باتجاه الزبداني . الساعة السادسة والدقيقة الخمسين صعدنا على كتف نتوء عريض منخفض بارز من الآكام الشرقية وداخل في السهل . هنا ظهرت لنا الزبداني في الجزء الشمالي من السهل ، على مسافة نحو ساعة وربع الساعة ، تحتضنها بقعة متسعة تكسوها الاشجار والبساتين . اما هذه الجنائن والبساتين فتغطي كل جزء السهل الشمالي وتشبه تلك الجنائن والبساتين التي تحيط بدمشق[1]. كنا نرى بلودان جاثمة على جناح عال في الجبل وهي شرقي الزبداني تقريباً . واقرب منها صوبنا واوطأ ، باتجاه سفح الآكام ، قريتان صغيرتان هما بقين ومضايا ، وهذه الاخيرة اقربها الينا .

اشرفنا من هنا على كل السهل وتمكنا من تكوين فكرة عن

١ يقول المستر تومسون « ان هذه الجنائن هي اكثر اتقاناً من سائر الجنائن في سوريا واحسنها ، ولا استثني جنائن دمشق. » راجع حديثه في المكتبة المقدسة ، تشرين الثاني ، العام ١٨٤٨ ، ص ٧٦٢ .

شكله العام الذي لا يختلف عما شاهدناه بعدئذ من ناحيته الغربية . يبلغ طول السهل كله ساعتين وربع الساعة او نحو سبعة اميال . اما الجزء الجنوبي منه حيث ضربنا خيمتنا فهو ضيق لا يتجاوز عرضه نصف الميل او ثلاثة ارباعه . في اسفله يجري النهر بهدوء والتواء . تحد هذا الجزء الغربي آكام منخفضة تمتد نحو ساعة ثم تنعطف غرباً بزاوية مستقيمة ، فيمتد السهل غرباً على سفحها الشمالي حتى الحرف الصخري العالي القائم على تلك الجهة . هنا تماماً نجد الجزء الاكثر اتساعاً في السهل ، ويستغرق عبوره نحو ساعة . ابعد الى الشمال يتقلص جانبه الشرقي تدريجاً ، فلا يصل الى الزبداني الا وقد اصبح ثلثي عرضه الاول . في الزاوية الجنوبية الغربية من هذا الجزء العريض من السهل نبع بردى الغزير . اما الآكام القائمة في الشرق كما ذكرت سابقاً فانها تتدرج ارتفاعاً حتى تصبح وراء بلودان اعلى قمم انتي لبنان على الاطلاق ، فتصل الى علو ستة الاف وثمانماية قدم فوق البحر[١].

ينتهي هذا الوادي المتسع او السهل ، في ناحية الزبداني الشمالية وجناتها ، بنتوء وطيء ينحدر غرباً من الجبل تحت بلودان . يصعد وادي الزبداني شمالاً من ناحية السهل الشمالية الغربية ، وهو الوادي الوحيد وراء قرية الزبداني ، وجوانبه منحدرة ومحروثة . وبعد مسافة ساعة على امتداده هذا ينفسح عن سهل آخر طوله ساعة وعرضه نصف ساعة . وهو سهل خصب ومحروث ، تكثر فيه الكروم واشجار الفاكهة . يسمى هذا السهل سهل سرغايا ، من قرية بالاسم

١ القس ج. ل. بورتر .

نفسه تقع في طرفه الشمالي . في زاوية هذا السهل الجنوبية الشرقية قرية عين حور ، على سفح الآكام ، على بعد ساعة وربع من الزبداني . في منتصف القرية ينبوع جميل ، يخرج منه جدول ينحدر في وادي الزبداني الى السهل المنخفض . تبعد سرغايا خمساً واربعين دقيقة عن عين حور ، والجدول الذي يخرج من ينبوعها يجري باتجاه بين الشمال والشمال الغربي ، فينحدر في وادي حورا ، ويساعد في تكوين جدول وادي يحفوفة الذي يدخل الى البقاع بالقرب من قرية بالاسم نفسه . في الجزء الاسفل من هذا الوادي تمر طريق رئيسية من الزبداني الى بعلبك ، وهي الطريق التي وصلناها بعدئذ عند النبي شيت ، ثم طريق اخرى تسير عبر الجبل الغربي من الزبداني الى زحلة .

يسمى الجدول الخارج من عين حور نهر الزبداني ايضاً ، وهو يزود الزبداني وجنائنها بالماء صيفاً فتستنزف ماءه . اما في الشتاء فيجري وسط السهل ويصب في بردى .

على حافة السهل الشرقية تحت الزبداني ثلاثة ينابيع اقل غزارة من التي ذكرناها سابقاً . الينبوع الاول هو عين الفندق ، على مسافة نصف ساعة من القرية باتجاه بين الجنوب والجنوب الشرقي ، وبالقرب منه خان خرب . ثم يتبعه بعد فترة خمس عشرة دقيقة تقريباً عين صالح ، وعين الحداد . تصب النهيرات التي تخرج من هذه الينابيع الثلاثة في السهل ، فتجعل بعض اجزائه سبخة .

ان اتجاه سلسلة الجبال العالية العام فوق بلودان – وهي بالضبط سلسلة انتي لبنان الظهرية ، من بردى شمالاً – هو بين الشمال والشمال الشرقي . واتجاه السلسلة القفراء الاقل ارتفاعاً القائمة غربي السهل

هو الاتجاه نفسه تقريباً . اما هذه الاخيرة فتنخفض تدريجاً بامتدادها شمالاً ، واخيراً تهبط وتنتهي بالقرب مــن النبي شيت كما سنرى فيما بعد . اما اتجاه ينبوع بردى من النقطة التي وقفنا فيها فهو اقرب الى الشمال الغربي بغرب .

كنت اود التعريج عن الطريق لزيارة بلودان حيث يصطاف القنصل البريطاني والمرسلون الاميركان في الشام . وبلودان هذه تقوم عالية الى جانب الجبل ، على ارتفاع نحو اربعة الاف وثمانماية وخمسين قدماً فوق البحر[1] . وقد تكون اعلى قرية في انتي لبنان ، فهي ترتفع اكثر من الف قدم فوق الزبداني . تشتمل بلودان على ينابيع جميلة رائقة ، وتغمرها اشجار الفاكهة الكثيرة واشجار الظل الظليلة من سائر الاصناف . هواؤها نقي والمناظر فيهــا خلابة ساحرة . ولكن زيارتي لها تستغرق يومــاً كاملاً ، ووقتي المحدود يضن بها عليّ .

الى ينبوع نهر بردى الاعلى

تحولنا الى السهل الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين لنعبر

١ جاء في المتن ان بلودان تعلو اربعة الاف وثمانماية وخمسين قدماً فوق البحر ، اما ارتفاعها بالضبط فهو اربعة الاف وثمانماية واثنان واربعون قدماً انكليزية .

ويقول رسغر ان الزبداني ترتفع اربعة الاف واربعاً وعشرين قدماً باريسية او اربعة الاف ومئتين واثنتين وتسعين قدما انكليزية فوق البحر :

Russegger, I. p. 721.

فاذا قابلنا هذه النتيجة مع مـا يذكره المستر بورتر عن ارتفاع بلودان وعن بردى نرى الفرق كبيرا جدا بينهما .

منه الى الينبوع الكبير . عبر المستر روبصن السهل قبلًا في مكان اعلى قليلًا ولم يصادف اقل مشقة في عبوره . ولكننا لم نلبث ان دخلنا بين حفر مملوءة بالماء واقنية صغيرة آتية من الينابيع المنبجسة شرقي السهل مما عرقل سيرنا . عبرنا واحدة او اثنتين منها بجهد ومشقة ، ثم أضطررنا الى الرجوع على اعقابنا بمساعدة رجل كان يرعى الماشية هناك ، فاتخذناه دليلنا عبر السهل . صعدنا شرقي الينبوعين الوطيئين . وقبل ان نصل الى عين الفندق بعشر دقائق تحولنا ثانية الى الغرب ، فعبرنا الجدول السريع الخارج منها ، فكنا الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة على طريق معروفة تتجه بين الجنوب والجنوب الغربي وسط السهل الى ينبوع بردى . تبعد النقطة التي دخلنا عندها الى هذه الطريق نحو اربعين دقيقة عن الزبداني ، فأضعنا نحو نصف ساعة في دورتنا تلك .

سارت طريقنا الآن غربي سائر اجزاء السهل السبخة . عبرنا العديد من الاقنية ، اكثرها على جسور مبنية فوقها ، ولم نصادف مشقة في عبورنا . صادفنا قناة واحدة فحسب بين الاقنية تبدو عالية ، فيها القليل من الماء ولكنها لم تكن كبيرة ، خلناها مجرى النهر الخارج من الزبداني .

الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين وصلنا اقصى نقطة شمالي ضفة بردى اليسرى حيث النهر يجري شرقاً . نحن الآن قبالة اكيمة وطيئة عليها بضع اشجار وبعض الحيطان المهدمة . اسم هذه الاكيمة بستان العرب لانها ملك سكان حوش العرب ، وهي قرية صغيرة على الاكمة القائمة على مسافة قصيرة الى الجنوب . تابعنا صعودنا بجانب ضفة النهر اليسرى باتجاه الغرب بجنوب فوصلنا

الساعة التاسعة الى ينبوعه الاعلى .

ينبوع بردى الاعلى

يكوّن هذا الينبوع مع رأس النهر بحيرة صغيرة ، قد يكون طولها ثلاثماية يرد وعرضها مئتين . وهذه البحيرة قليلة الغور ومستنقعة . والظاهر انها لا تتجاوز القدمين او الثلاث عمقاً . ولكن يقال انها جد عميقة في بعض البقاع منها . وهي ملآنة بالقصب والسوسن والنيلوفر وغيرها من النباتات المائية . لم نر اثراً لفوران الماء على سطح البحيرة ، ولكن على طرفها الغربي ينبع الماء في اماكن عدة على حافتها . يتجه النهر اولاً شرقاً بشمال حين يتجاوز البستان ، ثم ينعطف دائراً الى الجزء المنخفض في السهل . اما في هذه النقطة فهو غزير وعميق ، ولا يختلف تقريباً في قوته هنا عنه عندما يندفع في مجراه الصخري وسط الهُوى المنحدرة الى اسفل الجبل . يقع الينبوع عند سفح الجرف الغربي العالي . والذي اعرفه هو ان احداً ما جاء على وصفه بعد . يرتفع الينبوع ثلاثة الاف وستماية قدم فوق البحر ، وهو يبعد ساعة على الاكثر عن المكان حيث تركنا طريق دمشق . وهكذا نكون اضعنا ساعة حتى وجدنا (او بالاحرى اضعنا) الطريق الدائرية التي سرنا عليها .

بين ينبوع بردى والبقاع

بطروني . سهل الجديدة . حوض كفرقوق . الري في
الزبداني والبقاع . معلومات جغرافية عن الطريق . قرية خلوة .

غادرنا الينبوع الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة باتجاه بين الجنوب والجنوب الغربي علـى موازاة الجبل الغربي . تسير الطريق فوق النتوءآت الوعرة الوطيئة والآكام التي تملأ الفراغ الكائن جنوبي سهل الزبداني العريض وغربي ساعـده الاسفل . كانت الطريق تصعد بنا تدريجاً . وصلنا الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة الى بطروني الواقعة عـلى سفح الحرف الغربي . تشرف بطروني من الشرق والجنوب عـلى حوض ارض مستطيل قليل الخصب ، وتقع جنوبها حواطات الكروم واشجار الفاكهة . تابعنا السير في الاتجاه نفسه وعلى المستوى نفسه تقريبـاً نصف ساعة اخرى ، فوصلنا الى سفح نتوء طويل ومرتفع برز شرقاً من الجبل الغربي على جانب وادي القرن الشمالي ، فكوّن زاوية مع الجبل على هذه الجهة من سفحه حتى قمته . تصعد الطريق التي تعبر نهر بردى تحت مخيمنا البارحة ، بجانب المنحدر الشمالي لهـذا النتوء ، وتنضم الى طريق بيروت . عثرنا على هذه الطريق[1] ، وصعدنا فيها

١ المواقع الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين : الزبداني الى الشمال الشرقي

باتجاه الغرب بجانب النتوء المذكور. الساعة الحادية عشرة وصلنا الى قمة الحرف الغربي العالي فانفسح امامنا المنظر شرقاً وغرباً [1].

القينا نظرة الى الوراء فرأينا في الشمال الشرقي وادي الزبداني الجميل وقمم جبل بلودان العالية وراءه. في الشرق يمتد الاقليم الجبلي المتسع الذي يشق بردى مجراه وسطه الى الصحراء. رأينا البارحة جبهة الجبل الشرقية التي تمتد من بسّيما الى عين الصاحب ومنين. اما الآن فقد رأينا جبهته الغربية وهي كالجبهة الشرقية يكللها حرف من الصخور، وهي باتجاه الشمال الشرقي اعلى منها عند بردى. اما قمتها فهي نجد وعر وعال، وشكلها مثلث تقريباً. غربي هذا الجبل، حرف آخر يفصله عن الاول واد يمتد صعداً من بردى بالقرب من الفيجة ماراً بقرية افري الى طرف وادي حلبون الغربي. وهذا الحرف يزداد ارتفاعاً في امتداده شمالاً، وعلى مسافة نحو ثلاث ساعات شمالي بردى يصبح من اعلى القمم في ذلك الجزء من انتي لبنان. يتلو هذا الحرف الاخير وادي هُريري، وهو يفصل هذا الحرف الاوسط عن الحرف الذي يحد سهل الزبداني والقمم العالية الواقعة شمالي بلودان.

اما الى الجنوب فالمنظر باتجاه الجزء الجنوبي من النجد نفسه، الواقع حول دير العشاير، يصطدم بالارض المرتفعة غير المستوية على طول وادي القرن، القائمة بين النتوء الذي صعدناه منذ هنيهة

بشمال. هوة السوق، بين الشرق والجنوب الشرقي. جبل الشيخ، بين الجنوب والجنوب الغربي.

[1] المواقع الساعة الحادية عشرة: هوة السوق، شرقاً بجنوب. الهوة بالقرب من الصالحية، بين الشرق والجنوب الشرقي.

والحرف الاكثر انخفاضاً القائم فوق خان ميثلون .

امامنا ايضاً في الجنوب والجنوب الغربي ، جبل الشيخ واجزاء من لبنان تشمل جبل الكنيسة والطريق الآتية من دمشق وهي تمر بالقرب منه . كنا نرى جبل الكنيسة والطريق الآتية من دمشق من فوق حرف آخر وطيء من انتي لبنان لا يزال امامنا ، وهو يحيط بحوض ارض او سهل ، هو سهل الجديدة الواقع على مسافة قصية تحتنا . اما طرف هذا السهل الجنوبي فلم يكن يبعد كثيراً عن يسارنا . كنا نرى في ناحيته الجنوبية الشرقية ، على نحو ميل منا ، مدخله الى وادي القرن حيث ينزح ماؤه . تصعد الطريق الرئيسية الآتية من دمشق مارة بديماس الى بيروت ، وسط وادي القرن . وبعد ان تعبر سهل الجديدة عرضاً باتجاه بين الشمال والشمال الغربي تدخل وادي زعرير ثم تهبط الى البقاع . لا تلبث هذه الطريق ، بعد ان تغادر الينبوع وخان ميثلون ، ان تصعد اكمة قائمة الى اليمين ، ثم تتابع صعودها في واد قليل العمق ، فتصل بعد اربعين دقيقة الى الضفة اليمنى لواد عميق ينحدر بالقرب من ينطا وحلوة ، يسميه بركهاردت وادي حلوة [1] . اما قرية سرغايا فتقع شمالاً ٣٦ درجة شرقاً من تلك النقطة . في المكان نفسه ينضم وادي القرن الى وادي حلوة ويجريان معاً الى بردى فوق السوق تماماً [2] . اما جوانب وادي القرن فعالية ، وفي العديد من اجزائها جبال منحدرة تبرز منها صخور كثيرة ، تتخللها بعض

١ راجع ما قاله بركهاردت عن وادي حلوة في رحلته ، ص ٢٠٨ .

٢ راجع ما ورد عن انضام وادي الحلوة الى وادي القرن في ص ٤٨٤ من المجلد الثالث للمؤلف .

الكهوف ، وتكثر فيها الاشجار القزمة والعساليج . وهذا الوادي وعر وقفر من السكان . والمشهور عنه انه ملتقى قطاع الطرق واللصوص عندما يختل الامن في البلاد . اما المسافة بين نقطة انضمام الواديين الى بعضهما وبين مدخلها الى سهل الجديدة فهي ساعة ونصف الساعة . وهذا الوادي هو الحد الجنوبي لاقليم الزبداني[1].

كنا نرى حلوة وراء سهل الجديدة من المكان الذي وقفنا عليه . موقعها جنوباً ٦٣ درجة غرباً . وتبعد نحو ساعة وعشرين دقيقة . يشق وادي القرن سلسلة هذا الجبل حتى سفحها ، ولكنه يمتد من هناك الى وادي يحفوفة بدون تقطع ، باتجاه نحو الشمال ٢٥ درجة شرقاً . ويبلغ اقصى ارتفاعه نحو ستة آلاف قدم فوق البحر . ينضم اليه الحرف الغربي شمالي سهل الجديدة ، ويمتدان معاً فينتهيان بالقرب من النبي شيت[2].

ها نحن الآن ندور حول زاوية قائمة تقريباً ونبدأ الصعود الهوينا تدريجاً نحو الشمال بغرب ، تحت الحاجب الغربي للحرف

١ اقتبست وصف الطريق الصاعدة في وادي القرن من مخطوطة الدكتور سمث اليومية في العام ١٨٤٤.

٢ في العام ١٨٥٢ عبر القس ج. ل. بورتر الجبل في هذا المكان بطريقه من بلودان الى قمة حرمون . سارت طريقه من هنا الى الجنوب الغربي منحدرة في وادي القرن فعبرت مدخل الوادي ، ثم صعدت وعبرت النجد العالي بالقرب من مزرعة الدير وينطا الى كفرقوق راجع المكتبة المقدسة ، كانون الثاني ، العام ١٨٥٤ ، من الصفحة الواحدة والاربعين الى الرابعة والاربعين .

اما الدكتور سمث فقد عبر هذا الحرف في العام ١٨٤٨ ، على مسافة ابعد الى الشمال بطريقه من عنجر الى الزبداني ، فانحدر رأساً الى الزبداني . راجع المكتبة المقدسة ، تشرين الثاني ، العام ١٨٤٨ ، ص ٧٦٢ .

الذي سبق وعبرناه . بعد عشر دقائق كنا نسرح الطرف بمنظر جبل صنين الخلاب ، والجبل الذي فوق الارز ، وكلاهما يتألقان بالثلج الذي يكللها . تابعنا الصعود بتدرج ، فوصلنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين الى صعيد صغير مطمئن في منتصف المرتقى يفصله حرف وطيء عن السهل . يشق هذا الحرف الوطيء واد ينحدر الى السهل تحته . انحدرنا في هذا الوادي باتجاه الشمال الغربي ، فوصلنا الى حافة السهل الشرقية الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين . تقع قرية كفيريابوس الصغيرة التي لم نرها ، وراء الحرف المذكور باتجاه جزء السهل الشمالي الشرقي ، على جانب الجبل الشرقي[1]. عبرنا السهل عرضاً باتجاه بين الشمال والشمال الغربي فوصلنا الى طريق بيروت — دمشق بالقرب من فم وادي زعرير الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة .

انه لسهل شهير سهل الجديدة هذا . يقرب طوله من طول سهل الزبداني ، اي ساعتين وربع تقريباً . اما عرضه فلا يتجاوز النصف ساعة . اتجاهه العام من الجنوب بغرب الى الشمال بشرق ، على موازاة سهل الزبداني ، ولكنه ابعد الى الجنوب . وهو اعلى من سهل الزبداني وينزح ماؤه بواسطة وادي القرن الطويل الى بردى تحت اسفل سهل الزبداني تماماً . اما في مركزه فيوافق حوض كفرقوق ، اي ان كلاً منهما واقع غرب كل حروف انتي لبنان العالية ، على خط واحد تقريباً معها ، يفصلها صعيد عريض مرتفع .

١ تقع قرية كفيريابوس شمالا ٢٥ درجة شرقاً من نقطة ما على طريق بيروت ، على نصف المسافة بين مدخل وادي القرن ووادي زعرير . راجع جريدة الارسالية اليومية للدكتور ي. سمث .

ينزح ماء سهل الجديدة شرقاً الى بردى . اما حوض كفرقوق فلا منفذ له . وهو ينخفض مئة قدم عن ينبوع بردى .

ليس سهل الجديدة سوى بقعة صحراوية . حول فتحة وادي القرن نبتت بضعة عساليج واشجار قزمة ، وكذلك على بعض اجزاء جوانبه . وارجح وجود القليل من الحرث في كفيريابوس ، ولا اجزم بوجود الماء لاننا لم نرها . وخلا ما ذكرت فليس في كل السهل اية شجرة او نجم او نقطة من الماء تنعش الحياة . فقد هجرته الحياة فلا يرى عليه او على حدوده بشري . والسهل بجملته صحراوي لا يعرف الحرث ، ولا ترى فيه سوى الاشواك والقندول المنتشرة بقلة عليه . كل هذا في منتصف الطريق بين سهل الزبداني وسهل البقاع ، وهما من اوفر السهول خصباً في العالم . اما الري في الزبداني والبقاع فجد وفير ، بينما سهل الجديدة لا يعرف طعماً للماء .

بين مقلب الماء في البقاع والجدل

وادي زعرير . وادي الحرير . خان قنذر .

نحن الان عند مقلب الماء بين سهل دمشق والبقاع . اما سلاسل الجبال والانجاد الواقعة منا الى الشرق ، في الاقليم شمالي بردى رأساً ، فهي :

١ – جبل قاسيون .
٢ – نجد الصحراء .
٣ – السلسلة الممتدة من بسّيما الى منين .
٤ – الوادي الممتد صعداً ماراً بأفري .
٥ – السلسلة الواقعة غربي الوادي المذكور .
٦ – وادي ُهريري .
٧ – سلسلة بلودان العالية .
٨ – نجد الزبداني .
٩ – السلسلة الغربية او جبل الزبداني .
١٠ – سهل الجديدة .

ولم يبق بين سهل الجديدة والبقاع سوى السلسلة المنخفضة التي سنجتازها .

دخلنا فم وادي زعرير وصعدنا برفق باتجاه الشمال الغربي ،

فوصلنا بعد خمس عشرة دقيقة الى مقلب الماء الساعة الثانية عشرة والدقيقة العشرين ، حيث يبدأ الوادي بالانحدار باتجاه الشمال والشمال الغربي ، ويظل يسمى وادي زعرير مسافة عشرين دقيقـة . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين مررنا على شجرة كبيرة يصبح اسم الوادي ، بعدها ، وادي الحرير .

يتعرّج وادي الحرير كثيراً ، ولكن اتجاهه العام الى الشمال الغربي حتى دخوله الى البقاع عند سفح انتي لبنان . وهو واد جد ضيق لا يتجاوز بطنه مدى مجرى ماء شتوي . النزول اليه سهل وطويل ، ولكنه غير منحدر في اي نقطة منه . تحجب الوادي آكام قليلة الارتفـاع بطيئة الانحدار . لا اثر للحرث في الوادي ولكن الآكام على جانبيه مكسوّة بالعليق والاشجـار القزمة ، ولاسيما السنديان والزعرور . وقد سمي قسم في هـذا الوادي باسم وادي زعرير على مسافة خمس وثلاثين دقيقة لكثرة ما ينبت في القسم الشرقي او الاعلى منه من اشجار الزعرور . وصلنـا الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين فم وادي الحرير ، اذ ان المسافة بينه وبين سهل الجديدة نحو ساعة ونصف الساعـــة . الطريق في هذا الوادي الذي يجتاز سلسلة انتي لبنان جد مريحة كالطريق التي تسير في وادي القرن مجتازة السلسلة التالية الواقعة الى الشرق[1].

١ في العام ٨٤٨، سار القس توموسون على طريق مبـاشرة من عنجر الى الزبداني (راجع كتاب المكتبة المقدسة ، تشرين الثاني ، العـام ١٨٤٨ ، ص ٧٦٢). فصعد بطريق وادي عنجر ، على خمس وعشرين دقيقة جنوبي نبع عنجر . وبعد ساعتين مر على شلال وانحدر الى وادي مادر ، ثم صعد راكباً في الوادي مسافة ساعتين. في راس الوادي ممر يؤدي رأساً الى الزبداني . والظاهر ان هذه الطريق واقعة شمالي

بالقرب من فم وادي الحرير خان قذر اقرب الى وكر منه الى خان ، توقفنا فيه قليلاً لتناول طعام الظهر ، ولم ابال بقذارته لفرط ما انا فيه من اعياء ، فاغتنمتها فرصة لانال قسطاً من الراحة حتى في مكان كهذا .

لم نصل بعد الى سهل البقاع نفسه . امامنا خط من الآكام المرتفعة ، يبتدىء امتدادها على مسافة قليلة عن يميننا ، ويمتد الى الجنوب على موازاة انتي لبنان ولا تبتعد كثيراً عن سفحه . بين خط الآكام هذا وانتي لبنان سهل ضيق او واد اكثر ارتفاعاً من البقاع ، ينحدر شمـالاً ، عرضه نحو خمس عشرة او عشرين دقيقة . وقد ذكرت سابقاً ان هذا الصف من الآكام والوادي الداخل بينها يمتد شمـالاً من وادي التيم وهو بالحقيقـة جزء متمم له[1] .

المجدل

موقعها . مئذنة قديمة . الكلاب النابحة . البغل الشارد .

قبالتنا الآن مجدل عنجر . وعلى احدى الآكام ، اكثر ارتفاعاً ، على مسافة ساعة ونصف الساعة ابعد الى الجنوب ، تقع السلطان يعقوب . على مسافة نصف ساعة من السلطان يعقوب جنوباً ،

سهل الحديدة ، ولكن وادي مادر ، الذي يقول انه بلقع ، يمتد على الارجح في السهل ، طالما يقال ان ماءه ينزح الى وادي القرن .

١ راجع ص ٤٢٨ — ٤٣٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

يقطع وادي فلوج خط الآكام المذكور سابقاً ، وهو المكان الوحيد الذي ينقطع فيه اتصاله . وفي الشمال تنخفض السلسلة تدريجاً الى روابي وطيئة حتى السهل . يقوم هيكل المجدل على الاكمة الواقعة في اقصى شمال الآكام الاكثر ارتفاعاً ، يتصدر اتجاهاً بين الشمال والشمال الشرقي . اما المجدل نفسها فتقع في الفرضة او السرج الضيق بين هذه الاكمة والاكمة التي بعدها الى الجنوب ، والقرية ومئذنتها تواجهان الشرق[1].

الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين تركنا الخان وعبرنا الوادي الضيق ، فوصلنا المجدل بعد عشرين دقيقة . وبينا نحن نسير صعداً وسط القرية ، هاجمت الكلاب البغل الذي يركبه جرجس هجوماً عنيفاً ، وعلا نباحها . واشتد رفس البغل ، فطرح جرجس ارضاً واطلق قوائمه للريح عدواً ورفساً . ولكن لم يطل بنا الامر ، فأمسكنا البغل وهدأت الكلاب وساد النظام بدون اذى يذكر لاي من الفرقاء الثلاثة .

المجدل قرية كبيرة تبدو عليها دلائل النجاح . اكثر الساحات في بيوت السكن مدممة (مطروشة) بالكلس وكذلك الجدران الملاصقة لها ، وهي بجملتها انظف من غيرها من القرى التي شاهدتها .

المئذنة

اما المئذنة فهي عبارة عن برج قديم مربع ، شكله وبناؤه

١ المواقع من الخان (هو الخان الصغير الواقع في فم وادي الحرير . — المعرب.) : المجدل باتجاه بين الغرب والشمال الغربي . الهيكل شمال غربي بغرب .

احسن من المـــألوف . وهذا البرج والطنف الذي يحيط اعـلاه افسحا لي في مجال الافتراض ان المئذنة وجدت قبل الاسلام نفسه . ذكر ابو الفدا ان المجدل واقعة على الطريق بين بعلبك ووادي التيم ١ .

هيكل المجدل

صعدنا الى الهيكل من الناحية الجنوبية ، فوصلناه بعـد عشر دقائق من براحنا القرية .

اما مركز هـــذا الهيكل فيلفت الانظار . عرض الوادي الكبير في هذا المكان سبعة اميال او ثمانية من الجبل الواحد الى الجبل الآخر ، واتجاهه العام من الجنوب الغربي بجنوب الى الشمال الشرقي بشمال تقريباً .

يقوم الهيكل على هذه النقطة العالية في اقصى الشمال من خط الآكام الطويل الذي يمتد من وادي التيم . انه يشرف من الشمال على المنظر الفخم الذي يخترق البقاع واشجاره ، ويوفل بحلل زاهية من الاخضرار والجمال ، يحجبه من اليمين جدار انتي لبنان الشامخ ، ومن اليسار سلاسل لبنان نفسه الاكثر ارتفاعاً من جبل الشيخ والتي لا تزال مكسوة بالثلج .

يمتد جسم الهيكل اثنتين وثمانين قدماً طولاً وستاً واربعين قدماً

١ يقول ابو الفدا ان المجدل واقعة على الطريق بين بعلبك ووادي التيم. راجع:
Tab. Syr. ed. Kohler, p. 20.

عرضاً . وهذه الابعاد تقريبية بقدر ما تثبتنا منها من طرفه الشمالي .
اما رواق الهيكل الذي كان يقوم على عدة اعمدة باتجاه الشمال ، فهو الآن متهدم ، واعمدته ودّعت مراكزها القديمة لتُطرح باهمال مطلق يهيمن عليها الخراب . ولكن يبدو ان هذه الاشلاء المبعثرة ُجمعت وُضمت الى بعضها دون ترتيب او نظام لغاية ما لم ادر كهاٍ [١] .

قطر اسفل الاعمدة اربع اقدام ، وفوق الاسفل قليلاً ثلاث اقدام وتسعة انشات . اما التيجان الدورية الضخمة فتُرى مطروحة بين الاعمدة ، و كذلك قطع من القواعد المنقوشة . المداميك العليا على الحائط الشرقي ذهبت الى غير رجعة ، وامعنت العوامل الجوية تأكيلاً بسطوح الحجارة . هنا قسنا حجرين في المدماك الرابع من الاسفل ، فاذا طول كل منهما احدى وعشرون قدماً وارتفاعه خمس اقدام وثمانية انشات . ووجدنا بعدئذ حجراً من القياس نفسه في الحائط الغربي . في الطرف الجنوبي تأكلت المداميك السفلى كثيراً بتأثير العوامل الجوية . اما المداميك العليا فحجارتها اصغر وزواياها منحرفة . الحائط الغربي اسلم من سواه . حجارته لا تزال محافظة على شكلها ، وانحراف زواياها اكثر دقة . ولا يختلف انحراف الزوايا عن تلك التي في القدس ، بل ربما كان اعمق ، وهو متقن ومتمم بدقة . في الجانب الغربي ايضاً تبدو آثار زخرف لحظته هنا لاول مرة ، وهو بروز ضيق او نطاق على طول هذا الجانب

١ قد يكون الهيكل القديم حول في وقت ما الى معقل اسلامي ، ولكن الان لا يظهر على الهيكل شيء يدل على انه حول الى معقل .

بالقرب من اسفله وفي منتصفه . في الزاوية الجنوبية الغربية شكل عضادة مربعة ، ولكنها متآكلة كثيراً حتى ليشك بانها عضادة .

اما عرض الرتاج الكبير داخل الرواق ، فقد كان اربع عشرة قدماً وستة انشات . على كل من جانبيه سارية غشاها نقش ، ارتفاع كل منهما اربع وعشرون قدماً وعرضها ست اقدام وسمكها اربع اقدام وثلاثة انشات . وعلى كل جانب من السارية باب صغير . الجوانب من الداخل كانت في الاصل مزدانة باعمدة نصفية ، بينها فجوتان الواحدة فوق الاخرى ، اي عمود نصفي ثم فجوتان ، وهكذا دواليك . وهذه الاعمدة والفجوات متصدعة كثيراً . في احدى الزوايا التي تتلو الرتاج ، قطعة عمود من الحجر الكلسي الوردي اللون مزدوج ومثلم [1] .

طول الهيكل كله من الداخل يقرب من ستين قدماً ، وعرضه خمس وثلاثون قدماً . اما الفسحة التي يشغلها المذبح في الطرف الجنوبي فهي اثنتا عشرة قدماً ونصف القدم . وتبدو امام المذبح اثار حاجز سابق . تشتمل المداميك الداخلية التي على مساواة الارض ، على اربعة احجار على كل جهة ، وجدنا اكبرها اثنين في كل حائط ، طول الواحد منها احدى وعشرون قدماً وارتفاعه خمس اقدام وثمانية انشات . وهذه المداميك تقابل المدماك الرابع من الخارج في الحائط الشرقي والثالث في الحائط الغربي .

ارتفاع الهيكل حتى الكورنيش الذي لم يبق سوى جزء منه ،

١ في الهيكل الاصغر في بعلبك اعمدة شبيهة بهذه الاعمدة ، رأيناها عندما زرنا بعلبك .

خمس وثلاثون الى اربعين قدماً . في الجبهة الغربية احد عشر مدماكاً من الحجارة لا يقل سمك احدها عن ثلاث اقدام ، وبعضها اكثر من ذلك .

هذا الهيكل العريق ، باستثناء الهيكل الاصغر في بعلبك ، هو احسن الخرائب حفظاً وابقاها على تقلبات العوامل الجوية ، في الوادي الكبير او بالقرب منه . وهو هيكل بسيط ، ضخم وجميل ، ويبدو جلياً انه من نوع اقدم واصلب من اي هيكل آخر رأيناه ، ولا استثني هياكل بعلبك . ومع ذلك لم يرد ذكره في التاريخ ولو تلميحاً . ان كلسيس الواقعة في مكان منخفض في لبنان جد قريبة من الهيكل ، ومع ذلك فالمؤرخون الذين يتحدثون عن تلك المدينة لا يذكرون شيئاً عن الهيكل الذي يجاورها . وحتى في الوقت الحاضر لم يُعترف رسمياً بان البناء هيكل قديم ، الا منذ بضع سنين ، مع انه يشرف منذ اجيال عديدة على الطريق بين دمشق وبيروت القريبة جداً منه ، ولم يذكره اي سائح قديم[١]. زاره سيتزن العام ١٨٠٥ وكتب عنه ، ولكن ما كتبه نام نومة اهل الكهف ، ولم يستفق الا في ايامنا هذه[٢] . جاء بركهاردت الى هذه الضاحية ، فوصل الى عنجر والى جوار المجدل ، ولكنه لم

١ حتى ابو الفدا لم يذكره (اي الهيكل الذي بالقرب من مجدل عنجر . — المعرب .) مع انه يذكر المجدل راجع :

Tab. Syr. ed. Kohler. p. 20.

٢ زاره سيتزن في العام ١٨٠٥ ووصفه ، ولكن يومياته بقيت مجهولة حتى الوقت الحاضر :

Seetzen, Reisen, Berlin 1854, I. p. 263 .

يشر اليه بشيء[١].

ظل السياح يعتبرونه قلعة او برجاً حتى العام ١٨٤٤ م[٢]. ولم اسمع انه هيكل قديم الا في العام ١٨٤٧ [٣].

١ Burckhardt, Trav, pp. 8, 31.
زار بركهاردت عنجر والمجدل مرتين ولكنه لا يشير اليها بشيء.

٢ في العام ١٨٣٣ زاره الدكتور هوغ Dr. Hogg ويقول «انه بناية محصنة.» راجع : Visit. etc. II. p. 85.
ويقول الدكتور سمث في العام ١٨٤٤ ان مجدل عنجر تبعد نحو ثلث ميل عن الطريق « والبرج الخرب على الاكمة وراءها.» ويذكر كريمر Kremer في العام ١٨٥١ هذه الخرائب فيقول « كأنها خرائب كنيسة مبنية على اسس قديمة.» راجع : Mittel Syrien und Damase, Wien 1853.

٣ في العام ١٨٤٧ مر G. E. شلز من هنا برفقة فيلب وولف Philip Wolfe، ويقول وولف ان هذا البناء « خرائب هيكل وثني. » راجع : Reise ins Gelobte Land. p. 187.
ولكنهما لم يزورا الهيكل.

بين المجدل وعنجر

الذكوة *وهيكلها . المناظر من هيكل المجدل . وصف
طريق دمشق - بيروت والاماكن التي تمر بها .

على السفح الغربي من الآكام نفسها ، وعلى مسافة ثلاثة ارباع الساعة جنوبي المجدل ، تقع قرية الذكوة وخرائب هيكل آخر قديم اصغر من هيكل المجدل . طوله من الداخل سبع وثلاثون قدماً وعرضه تسع عشرة قدماً . وعمق الرواق خمس اقدام وسمك الجدران قدمان . الاعمدة بسيطة ، وتيجانها كورنثية . النواويس والحجارة الكبيرة الباقية من الابنية القديمة منتشرة في كل مكان . وترى في جانب الاكمة قبور مقدودة [١] .

لا تنحصر الرؤية من هيكل المجدل في المنظر الرائع الذي يخترق البقاع واشجاره ، او بقمم جبل الكنيسة وصنين المكسوة بالثلج القريبة منا الى اليسار ، ولا بالمرتفعات البرّاقة المتألقة في الافق البعيد فوق الارز ، بل ان حولنا وبالقرب منا اشياء لها

* كذا في الاصل . ولعل المؤلف يقصد الدكوة . - المعرب .

١ راجع ما يقوله دي فوريست في الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية ، المجلد الثالث ص ٣٦٣ . زار الدكتور دي فوريست هذا الهيكل المهدم ، والخرائب الاقل اهمية التي لا تبعد كثيراً عن حماره وعيثي ، راجع ما كتبه عنها في المجلد الثالث من الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية ص ٣٦١ و ٣٦٢ .

شأنها واهميتها ، ففي الشمال الشرقي تحتنا اطلال عنجر والينبوع الكبير وراءها[1] . يخرج من هذا النبوع جدول كبير يجري اولاً باتجاه بين الغرب والشمال الغربي ، ثم ينعطف بسرعة الى الجنوب الغربي وينضم الى الليطاني . تنخفض الآكام الواقع عليها الهيكل الى صف من التلال القليلة الارتفاع . وتقع قرية النبي زعور ووليها المشهور على التل الواقع في اقصى الشمال منها وحوله[2]. وترى طريق دمشق — بيروت خارجة من وادي الحرير ومارة عرضاً وسط السهل شمالي المجدل . المسافة بين وادي الحرير والجسر الواقع فوق الجدول المنبثق من نبع عنجر ساعة وعشر دقائق . ويسمى هذا الجسر دار زينون[3] . ولا يمكن عبور النهر لعمقه[4]. تسير الطريق من الجسر فتترك بر الياس الى اليمين ، وبعد اربعين دقيقة من الجسر وعشر دقائق وراء المرج ، تعبر على جسر

١ المواقع من هيكل المجدل : مجدل جنوباً . الخان عند فم وادي الحرير جنوب شرقي بشرق ٥٠ درجة شرقاً . نبع عنجر شمالا ٦٥ درجة شرقاً .

٢ يقال ان مقام الولي هذا بني من خرائب هيكل قديم، وحوله نواويس وخرائب اخرى . راجع المصدرين الاتيين :

H. Guy's, Relation, II. pp. 33, 34.
Ritter Erdk. XVII. p. 182.

٣ لعل المؤلف يقصد دير زينون . — المعرب .

٤ راجع ما كتبه المستر تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، ص ٧٦٠ عن الجسر والنهر . سجل الدكتور سمث المواقع عن هذا الجسر في العام ١٨٤٤ كما يلي : المعلقة وراء زحله ٥ درجات . بر الياس ٣٤٦ درجة . الجديدة ٣٢١ درجة . مكسه ٣١٣ درجة . خان المجيرات ٢٠٨ درجات . قب الياس ٣٠٣ درجات . المرج ٢٨٨ درجة . اسطبل ٢٥٩ درجة . مجدل ١٩٤ درجة . النبي زعور ١٥١ درجة . دار زينون ١٤٤ درجة . عنجر ، الطلل ١١٣ درجة .

وطيء فوق الليطاني ، قائم على ثلاث قناطر . النهر عميق ، ولون الماء صلصالي . تصعد الطريق في الجبل فتمر بقرية مكسة الواقعة في المرتقى الاول على بعد ساعة من جسر الليطاني . وبعد عشر دقائق صعداً تنضم اليها طريق زحلة . وفوق ملتقى الطريقين بثلث ساعة تصل الطريق الى خان المريجات .

في سفح الجبل ابعد الى الجنوب ، تقع قرية قب الياس الكبيرة . وعلى مسافة عشر دقائق فوقها قلعة بالاسم نفسه ، بناهـا الزعيم الدرزي المشهور فخر الدين كما يقال . على مسافة اربعين دقيقة من قلعة قب الياس تقع شقيف الثور . والطريق اليها جبلية صعبة . اكتسبت هذه البقعة اسمها هذا من شكل ثور قُدَّ على الجانب الشمالي من صخر منفرد في اسفل حالق هاوٍ وعر . ارتفاع شكل الثور هذا خمس اقدام وطول الجسم ثماني اقدام . وعـلى مسافة اربعين دقيقة من هذه النقطة يجتاز المسافر مرتقى يوصله الى طريق بيروت العادية في رأس الجبل[1].

١ راجع مـا كتبه الدكتور دي فوريست في الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية ، المجلد الثالث، ص ٣٦٥ و ٣٦٧. نزل الدكتور دي فوريست من هيكل المجدل واتجه غرباً ، فمر على قرية اسطبل ، فوصل الى الليطاني بعد ساعة من نزوله من الهيكل. وبعد ساعة ونصف الساعة من الليطاني وصل الى قب الياس .

عنجر

رجعنا من الهيكل الى المجدل ، وتركناها في الساعة الرابعة والدقيقة العشرين الى عنجر . وبعد خمس وعشرين دقيقة عبرنا طريق دمشق – بيروت ، فوصلنا الساعة الخامسة اطلال عنجر . تقع هذه الاطلال على منحدر حيث يبتدىء السهل العالي الضيق بالانخفاض بسرعة نحو الشمال الى البقعة الرسابية الاكثر انخفاضاً الواقعة بجانب النهر الذي يخرج من نبع عنجر . هنا بقية جدران وابراج مدينة محصنة ، او ربما تكون خرائب حصن كبير . شكلها مربع تقريباً ، وعلى كل جانب منها ثمانية ابراج او تسعة . كان الجدار من الخارج مبنياً بحجارة منحوتة غاية في الاتقان ، بعضها كبير[1]. اما الآن فاكثرها مهدم ، ولكن ما بقي من الجدار والابراج لا يزال يدل على رسمها السابق . قست الحائط الشمالي وهو اقصرها ، فاذا به يقرب من ثلاثمائة وخمسة وثلاثين يرداً ، اي ينقص قليلاً عن خمس الميل . قدرنا الجانب الاطول بربع ميل ، وليس مـــن

١ يقول بركهاردت ان ثخن السور اثنتي عشرة قدماً . راجع رحلته ، ص ٨ . ويقول المستر تومسون ان عدد الابراج اثنان وثلاثون برجاً . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، ص ٧٦١ .

خرائب داخل الحواطة سوى اسس قليلة وقعنا بينها على ثلاثة اعمدة ، وربما وجد غيرها . قد تكون ابنية السكن بنيت بحجارة صغيرة مكسرة كما تبنى البيوت في الوقت الحاضر ، لان الكثير من هذه الحجارة مطروحة في كل مكان حول الاطلال . قد تكون التحصينات اتسعت لسكنى الكثيرين من السكان ، وقد يكون الذين سكنوا خارج الاسوار اكثر من الذين سكنوا داخلها . كل هذا ذكرني كثيراً بقلعة بانياس ، ولكن قلعة عنجر هذه تشغل مساحة من الارض اكثر من تلك ، وربما كانت ابراجها اقل ضخامة من ابراج قلعة بانياس . اما الماء فكان يصلها من الينبوع الكبير الواقع على مسافة خمس عشرة دقيقة منها ، او من المرجح ان الماء كان يرفع الى حوض ومنه يصل الى الحصن والمدينة .

ملاحظات تاريخية

جاء في تاريخ الصليبيين انه في العام ١١٧٦ م بينما كان صلاح الدين منهمكاً في ضواحي حلب ، خرج الملك بولدوين الاول في غزوة من صيدا الى البقاع . فعبر جبل لبنان ووصل الى مكان يقع في بقعة ارض خصبة ذات ينابيع غزيرة اسمه مسّارا Messara (مشغرة) ، ثم نزل الى وادي بكار Bacar (البقاع) وهي ارض تفيض لبناً وعسلاً ، اعتقد انها ايتوريا Iturea القديمة . ثم وصل الى مكان في هذا السهل اسمه الحديث (اميغرّا Amegarra) محاط باسوار منيعة ، تبدو على صروحه دلائل الجلال والعظمة القديمين . ظن البعض انه تدمر ، ولكن لا مجال للتساؤل انها عنجر ، او كما

كان العرب يكتبونها : عين الجرّ . هنا استسلم الصليبيون الى اعمال النهب واشعال الحرائق ، ولم يتصد لهم احد ، لان جميع السكان كانوا قد وفروا الى الجبال[1].

ويذكر ابو الفدا عنجر عندما يأتي على ذكر الينبوع ، ويكتب اسمها عين الجر ومنها اشتقت كلمة عنجر المتداولة بين الجمهور ، ويقول بوجود خرائب عديدة من الحجارة في هذا المكان[2]. ومع ان هذه الخرائب لا تبعد اكثر من خمس عشرة دقيقة عن طريق بيروت – دمشق الكبيرة ، وترى جلية منها ، فلم يزرها او يصفها احد قبل سيتزن وبر كهاردت ، وقليلون هم الذين زاروها بعد ذلك[3].

١ راجع المصادر الاتية عن السلب والنهب والحريق التي اقترفها الصليبيون في عنجر ، وعن فرار السكان الى الجبال :

Will. Tyr. 21. 11.
Such in Zeitschr. d. morgenl. Ges. IV. p. 512.
Ritter, XVII. p. 226.

٢ يكتب ابو الفدا عنجر : عـين الجر ، ويقول بوجود خرائب كثيرة من الحجارة . راجع المصدر الاتي :

Tab. Syr. ed. Kohler, p. 20

« في عين الجرّ اطلال كبيرة من الحجارة ، وهي واقعة على مسافة يوم جنوبي بعلبك. بالقرب منها قرية اسمها المجدل ، واقعة على الطريق التي تؤدي من بعلبك الى وادي التيم . يخرج من عين الجر نهر كبير يجري الى البقاع . » قابل ما ذكر اعلاه مع ص ٩٣.

٣ راجع المصادر ادناه عن زيارة سيتزن وبر كهاردت لخرائب عنجر :

Seetzen, Reisen, I. p. 262.
Burckhardt, p. 8.
Lord Lindsay in 1837, Letters II. p. 375.
W. M. Thomson in Biblioth. Sac. Nov. 1848, p. 761.

ويذكر الدكتور سمث هذه البقعة في مخطوطته اليومية ، العام ١٨٤٤ . اما

الى كانون الاول العام ١٨٤٧ ، كنت اظن ان خرائب عنجر هذه ذات صلة بكلسس القديمة المنخفضة عن لبنان ، التي جاء يوسيفوس على ذكرها [١]. ويذكر هذا المؤرخ ان بومبيوس Pompey في زحفه جنوباً من مقره الشتوي في انطاكية او ربما بالقرب منها ، حوالى العام ٦٣ ق م ، هدم القلعة التي كانت في افاميا Apamea على نهر العاصي (وهي الآن قلعة المضيق) ، فمر على المدينتين هيليوبوليس Heliopolis (بعلبك) وكاسيس ، وعبر الجبل الذي يحجب وسوريا المجوفة Coelesyria [٢] ، وتقدم من بيلا Pella الى دمشق [٣] . في ذاك الحين كان بطليوس Ptolemy ابن مينّايوس Mennaeus ، المذكور سابقاً في سياق الكلام عن ابيلا Abila ، سيد كاسيس هذه [٤] . ويذكر استرابو ايضاً بمعرض كلامه عن هيليوبوليس ان كاسيس كانت

ب. وولف فذكر اسمها فقط في العام ١٨٤٧ ، ص ١٨٧ .

١ راجع المصدرين الآتيين عن كاسيس المنخفضة عن لبنان التي يذكرها يوسيفوس:

Jos. B. J. 1. 9. 2.

Ant. 14. 7. 4.

٢ كان هذا الاسم في الاصل يطلق على الوادي الواقع بين لبنان وانتي لبنان ، ولكنه امتد بعد ذلك حتى شمل الاقليم الممتد شرقاً من انتي لبنان . وكانت انطاكية في الاصل عاصمته . — المعرب .

٣ راجع المصدر الاتي عن زحف بومبيوس حوالي العام ٦٣ ق م ، من مقره الشتوي في انطاكية والتخريب الذي قام به بطريقه الى دمشق :

Jos. Ant. 14. 3. 2.

٤ راجع ص ٤٨٣ من المجلد الثالث للمؤلف . وراجع ايضا المصدرين ادناه عن بطليموس بن مينوس سيد كاسيس في ذلك الحين :

Jos. Ant. 14. 7. 4.
B. J. 9. 2.

خاضعة لبطليموس نفسه[١]. خلف بطليموس هذا ابنه البكر ليسانياس Lysanias. وبعد مقتله على يد انطو نيوس Antony، أجّرت املاكه الى زينودوروس Zenodorus كما ذكرنا سابقاً[٢].

بعد ذلك بعدة سنوات، في العام ٥١ قم، وهي السنة الاولى لولاية كلوديوس Claudius، انعم هذا الامبراطور على هيرودوس، وهو اخو هيرودوس اغريباس الاكبر، بلقب ملك، ووهبه كلسيس، ومنحه حق الاشراف على الهيكل في اورشليم وحق تعيين رؤساء الكهنة[٣]. وبعد وفاته حوالى العام ٨٤ قم، افضت كلسيس الى ابن اخيه اغريباس الاصغر المذكور في اعمال الرسل[٤]. ظلت كلسيس تحت سلطة هذا الاخير اربع سنوات، ثم عُين على الاقاليم التي كانت قبلاً تابعة لرئاسة فيلبس عم ابيه والى ابيه بعد عمه وهي: بطانيا Batanea وتراخونيتس وابلية وغيرها وانعم عليه بلقب ملك[٥].
اما ماذا حدث لكلسيس بعد ذلك فهذا لا نعلم عنه شيئاً.

١ Starbo, 16. 2. 10. p. 573.

ويذكر استرابو هنا ان بطليموس هذا كان يملك سهل مرسياس Marsyas، وبقعة ايتوريتس Itureans الجبلية:

Gomp. ibid. 17, 18. p. 755.

فبناء على ذلك يكون من المرجح ان استرابو يعني بسهل مرسياس، سهل البقاع، وتكون كلسيس المذكورة بالعبارة الاخيرة هي نفسها المذكورة بالعبارة التي قبلها.

٢ راجع ص ٤٨٣ من المجلد الثالث للمؤلف.

٣ Jos. Ant. 19. 5. 1. ib. 19. 8. 1, 3. ip. 20. 1. 3.

٤ Jos. B. J. 2.12. 1.

Acts, 25, 13. c. 26.

٥ Jos. Ant. 20. 7. 1.

ان الملاحظات المذكورة اعلاه ، ولاسيما ما يتعلق منها بزحف بومبيوس ، تظهر لنا ان موقع كلسيس المنخفض عن لبنان ، كان في البقاع جنوبي بعلبك [١] . اما اتصالها المرجح بابيـلا فيشير الى ان موقعها كان بالقرب من معابر انتي لبنان . وتدل سائر هـذه الحوادث المذكورة على ان حصن عنجر المنيـع هو اطلال كلسيس القديمة . وليس في الوادي كله اطلال غيرها تشابهها تمكن الاشارة اليها [٢] .

١ وخلا كلسيس Chalcis هذه وجدت كلسيس قديمة غيرها اسمها الان قنسرين على بضعة اميال جنوبي حلب . راجع :
Abulfed. Tab. Syr. p. 117.
وقد اشار ريلاند الى الفرق بين المدينتين ، Palaest. p. 315 . اما سيلاريوس Cellarius فلم يميز بينهما . راجع :
Notit. Orb. ll. pp. 363, 364.

٢ راجع كتاب المكتبة المقدسة ، شباط ، العـام ١٨٤٨ ، ص ٩٠ و ٩١ ، عن مجموع الملاحظات المذكورة في المتن . وراجع ايضاً في الكتاب نفسه ، تشرين الثاني ، العام ١٨٤٨ ، ص ٧٦١ .
ويثبت ريتر ان عنجر هي كلسيس نفسها . راجع :
Erdk. XVll. pp. 185-187.
ولكنه لم يميز بين ما ذكرته انا في (الصفحة ٧٦١) وبين ما ذكره المستر تومسون، فقال ان المستر تومسون اول من اشار الى كلسيس .

نبع عنجر

هيكل قديم . نبع متقطع . زيادة المياه ونقصانها .

تركنا اطلال عنجر ويممنا شطر نبع عنجر الكبير فوصلناه بعد خمس عشرة دقيقة . يقع هذا الينبوع على سفح انتي لبنان ، شرقي اطلال عنجر صداً ، يسمى احياناً بركة عنجر لانه ينبع من حوض صغير او بركة . هنا وجدنا خيمتنا مضروبة على العشب الاخضر ، على بعد بضعة رودات تحت الينبوع ، في البقعة الشبيهة بالمرجة التي يشق النهر الغزير مجراه وسطها في قناة عميقة ملتفة[1]. الينبوع جد غزير ، ولكنه ليس بغزارة ينابيع الفيجة وتل القاضي ، بل يقارب او يعادل ينبوع بانياس . وهو ينبثق من سفح انتي لبنان ، ولكن على ارتفاع فوق السهل المنخفض ، ويكفي لادارة ما يقرب من ست مطاحن . اما طبقات الجبل هنا فهي اكثر انخفاضاً من السهل ، والماء يفور في بركته المبطنة بالحجارة ، المبنية امام المنحدر تماماً . ينحدر النهر من هذه البركة الى الطواحين

١ المواقع من نبع عنجر : هيكل المجدل بين الغرب والجنوب الغربي . عنجر ، (الاطلال) ، غرباً . زحلة شمالا ٢٠ درجة غرباً . النبي زعور (المقام والقرية) شمالا ٦٠ درجة غرباً ، المسافة ميل ونصف الميل .

ومنها يندفع الى البقعة الرسابية تحتها ، فيجري اولاً باتجاه بين الغرب والشمال الغربي . ماء الينبوع صاف رائق . حول البركة اسوار خربة واسس حجارتها كبيرة ومنحوتة . وتكوّن هذه الاسس والاسوار هيكلاً قديماً في هذا المكان ، او هي اطلال حوض مرتفع بني لرفع الماء وايصاله الى المدينة والحصن المجاورين .

يعتبر السكان هنا نبع عنجر نبعاً متقطعاً جزئياً . فقد افاد سكان المطاحن ان الماء « ينقطع في فترات معينة ، ثم يعاود انبجاسه من تحت الصخر ثماني مرات او عشراً في اليوم[1] . » اما المستر تومسون فيقول « لاينقطع فوران الماء مطلقاً ، ولكن في فترات غير منتظمة تغزر المياه فجأة ، تارة مرة واحدة في اليوم ، وطوراً تحدث الزيادة ست مرات او ثماني او عشراً في اليوم الواحد[2] . » اما نحن فقد دققنا في البحث والسؤال ، فكان الجواب ان الينبوع لا ينقطع تماماً ولكن كمية المياه التي يقذفها تختلف كل بضع ساعات . اما ولم يلاحظ احد من السياح بنفسه هذا التبدل حتى الآن ، ونظراً لتناقض المعلومات التي استقيناها ، فقد خطر لي ان هذه لزيادة الطارئة في البركة ليست سوى ما يحدث حتماً عندما تحبس المياه فجأة عن طاحونة او اكثر[3] .

١ اخبر سكان المطاحن بركهاردت ان النبع يتوقف عن الجريان في اوقات معينة . بركهاردت في رحلته ، ص ٩ .

٢ راجع كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٤٨٨ ، ص ٧٦٠ و ٧٦١ .

٣ كل ما اعرفه عن هذا النبع ان بركهاردت والمستر تومسون وصفاه . راجع

ويتحدث ابو الفدا عن النهر الذي يخرجُ من نبع عنجر فيقول : « انه نهر كبير يجري الى البقاع[١] . » وقد يبدو من كلامه انه يعني ان نهر الليطاني يخرج من هذا النبع ، لانه لا يشير ، في اي مكان آخر فيما كتبه ، الى نهر في البقاع غير الليطاني . وهذا على مثال ما يقول ان نهر بردى ينبجس من الفيجة . فهو يعتبر ان النهر ينبثق مــن الينبوع الاكثر غزارة ، ويهمل ذكر الينبوع الابعد[٢]. والنهر الذي يخرج من نبـع عنجر يتضخم بما يصب فيه من الينبوعين الاقل غزارة في الشمال ، فهو اذن اغزر عند اتصاله بهذين الينبوعـين مـن الليطاني الذي يستنزف السهل في الصيف مياه ينابيعه الابعد الى الشمال[٣] . ويعتقد الوطنيون ان نبع عنجر

المصدرين السابقين . ويتحدث عنه سيتزن باختصار . راجع :

Reisen, I. p. 263.

Comp. Ritter, Erdk. XVII. p. 181.

١ يقول ابو الفدا ان النهر الذي يخرج من نبع عنجر كبير ويجري الى البقاع . راجع :
Tab. Syr. p. 20.

وراجع ايضاً ص ٤٩٦ ، الحاشية الثالثة ، المجلد الثالث للمؤلف .

٢ جرياً على هذه القاعدة التي طبقت على نهر بردى ، راجع ص ٤٧٧ من المجلد الثالث للمؤلف ، وكما طبقت على نهر الاردن ، راجع ص ٤١٢ و ٤١٣ وما بعدها من المجلد نفسه .

Comp. Ritter, XVII. p. 180.

٣ يقول بركهاردت ان النهر الذي يخرج من عنجر في ايلول هو « اغزر بثلاثة اضعاف من نهر الليطاني . » راجع الصفحة الثامنة من رحلته . وهذا ما يذكره المستر روبصن في مذكراته .

هو مصدر النهر[١] .

في هذا الموضع يمتد فرع مـــن سهل البقاع الكبير الوسابي ويصل الى سفح انتي لبنان ، بـين خط الآكام الجنوبي وخط آخر يبتدىء ابعد الى الشمال كما سنرى . وهكذا يتكوّن منفذ للنهر من الينابيع . لا ادري اذا كان احد تثبت من ارتفاع هذا القسم من البقاع . فالقسم الذي يخص زحلة ، وهو على مسافة ساعتين ونصف الساعة ، يرتفع ثلاثة الاف واحدى وسبعين قدماً كما يقول الدكتور دي فوريست[٢]. ويقول رسيغر Russegger انه ثلاثة الاف وتسعون قدماً انكليزية[٣] . وعلى هذا لا يمكن ان يزيد الارتفاع عند نبع عنجر على ثلاثة الاف قدم . وهكذا يكون ارتفاع عين بردى في سهل الزبداني حوالى ستماية قدم اكثر من ارتفاع نبع عنجر في البقاع . يتدرج مستوى البقاع في الارتفاع باتجاه الشمال حتى اللبوة تقريباً . وارتفاعه عند مقلب الماء ، اذا قيس بالارتفاع البارومتري عند بعلبك ، لا يمكن ان ينقص عن اربعة آلاف قدم فوق سطح البحر . فهـــذا الوادي الكبير ، اذاً ، يمكن ان

١ وهكذا يعتقد الدكتور سمث . راجع ص ١٤٣ من ملحق المجلد الثالث، الطبعة الاولى من البحوث التوراتية للمؤلف .

٢ راجع رسالة الدكتور دي فوريست الى الارسالية .

٣ يقول رسغر Russegger ان ارتفاعه الفان وتسعماية قدم باريسية. راجع: Trav. I. p. 697.
ان الارتفاع الذي حصل عليه رسغر بواسطه البارومتر يزيد مئة قدم او اكثر على الارتفاع الذي حصل عليه المستر بورتر بواسطة الانيرويد (هو بارومتر مستدير لمعرفة ضغط الهواء . والبارومتر ميزان ثقل الهواء او ضغطه . – المعرب .) راجع ص ٤٥٣ من المجلد الثالث للمؤلف ، الحاشية الخامسة .

يوصف بانه شق جبلي متسع ومرتفع ، عرضه ثمانيــة او تسعة اميال . واذا القينا نظرة من سهله الى القمم التي تحجبه ، نراها من ثلاثة آلاف او اربعة آلاف قدم اقل مما لو نظرنا اليها مــن البحر المتوسط وشواطئه .

بين نبع عنجر والنبي شيت

نبع شمسين . نبع بيدا . كفرزبد . جبل الشعير . قرية العين . قوسايا . حشمش . دير الغزال . رعيث . وادي سحور . ماسي . النبي شيت .

الاربعاء في التاسع من حزيران . — لم نتمكن من عبور النهر في المكان الذي ضربنا خيمتنا عليه لانه يجري في اخدود عمقه ثماني اقدام او عشر ، وضفافه عمودية . لم نتمكن من الاتجاه شمالاً فاضطررنا للرجوع الى حيث النهر يندفع منحدراً في عدة اخاديد ، فعبرناه باقل مشقة . تركنا المطاحن الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وتابعنا سيرنا بجانب سفح انتي لبنان . وصلنا الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين الى نبع شمسين وهو النبع الرئيسي الآخر في هذا الاقليم . هذا النبع الجميل لا يزيد على ثلث نبع عنجر غزارة . وهو ينبجس من تحت طبقات من الصخور تنخفض تحت السهل بزاوية خمس واربعين درجة او اكثر ، ويجري الى البقعة الرسابية الوطيئة لينضم الى النهر الجاري من نبع عنجر . على الجانب الجنوبي من هذا النبع اسس مربعة لبناء حديث خشن . وعلى نحو نصف ساعة الى الشمال نبع آخر اصغر منه اسمه نبع بيدا واقع غربي طريقنا ، لا يزيد على ربع نبع شمسين غزارة ، يجري منه جدول صغير ينضم الى النهر المنبعث من نبع عنجر . هذه الينابيع الثلاثة هي كل ما سمعنا به في ناحية

عنجز [1] .

الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة كان عن يسارنا تل عال منعزل في السهل على مسافة ربع ميل منا . وعلى مسافة نصف ميل منه الى الشمال يبتدىء حرف آخر من الآكام على موازاة سفح انتي لبنان ، كالآكام الواقعة الى جنوبي المجدل ، تحجب مثلها وادياً ضيقاً مرتفعاً . تواصل هذه الآكام امتدادها بتقطع قليل وبعدم انتظام قرب النبي شيت الواقعة عند طرفها الشمالي ، وتستمر هكذا حتى بعلبك حيث تختفي . اتجاه هذه الآكام العام كاتجاه انتي لبنان الى الشمال الشرقي بشمال تقريباً . اما طريقنا اليوم فكانت اقرب الى الشمال اربعين درجة شرقاً .

الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين بدت لنا زحلة الواقعة في سفح لبنان في خط يوازي الطرف الجنوبي من سلسلة الآكام . وصلنا حالاً الى طريق كبيرة منحدرة امامنا من الزبداني الى كفرزبد ، ثم درنا حول الاكمة الجنوبية حيث تنضم طريقنا الى طريق بيروت تحت مكسة . وهذه الطريق هي فرع من الطريق المذكورة سابقاً التي تؤدي من الزبداني الى زحلة [2] . الساعة الثامنة وصلنا الى كفرزبد الواقعة وطريقنا شرقي خط الآكام ضمن الوادي الضيق المرتفع الذي ينزح هنا الى الجنوب . اما الآكام الواقعة

١ يذكر بركهاردت ينبوعاً رابعاً ولكنه سمع به ولم يزره . وهو على بعد ساعة اكثر الى الشمال . راجع رحلة بركهاردت الصفحة التاسعة . قد يكون هذا الينبوع في احدى القرى ولا علاقة له بعنجر .

٢ هي الطريق التي تسير عبر الجبل الغربي من الزبداني الى زحلة. راجع ص٤٨٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

الى اليسار فهي مرتفعة في هذا الجزء، واحدة منها قمتها مخروطية اسمها جبل الشعير، تقع عليها خرائب بناء قديم بدون اعمدة على ما يقال. الساعة الثامنة والدقيقة العشرين كانت قرية العين الصغيرة عن يميننا [1]. الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين مررنا بقوسايا، وهي قرية كبيرة على رأس المرتقى قبالة مقلب ماء الوادي الضيق. على جانب الاكمة الى اليسار، اسس بناية ومدماك او مدماكان. وتبدو هذه الاطلال كأنها قديمة. طول البناء نحو اربعين قدماً وعرضه نحو عشرين. الحجارة مسوّاة جيداً وربما كانت حجارة هيكل صغير، ولا اثر للعمد بينها. بالقرب من قوسايا تنحدر الطريق الآتية مباشرة من الزبداني الى زحلة، من انتي لبنان وتمر وسط فرضة في خط الآكام الى السهل الكبير [2].

الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة كان الى يسارنا ثلمة عميقة في خط الاكام، رأينا من خلالها منظراً جميلاً للسهل الكبير تحتنا. في هذه الثلمة، تقع قرية حشمش في زاوية الآكام تحتنا على مسافة ربع ميل. قيل ان بالقرب منها اطلال بناء قديم. وصلنا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين الى قرية دير الغزال الواقعة مرتفعة على منحدر خط الآكام الشرقي، او بالحري على حرف بين اكمتين منها، يخرج منه واد يجري بانحدار باتجاه الغرب الى البقاع. خارج القرية وفوقها اسس ضخمة لهيكل قديم، وقطع

١ رأى الدكتور دي فوريست تاجا كورنثيا وبعض الحجارة القديمة المنحوتة في قرية عين. راجع ما ذكره عنها في الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية:
Journ. of Am. Or. Soc. III. p. 360.

٢ راجع ص ٤٨٦ من المجلد الثالث للمؤلف.

من عمودين كبيرين . والموقع يشرف على الوادي العميق تحته ، ويمتد الى السهل الكبير . وقد تدحرجت حجارة كثيرة من الهيكل الى الوادي ، بينها مذبح صغير عليه نقوش غير واضحة تماماً ، تبينا بعد الجهد انها يونانية . هنا توقفنا عشرين دقيقة .

تابعنا السير الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين باتجاهنا الاول ، اي شمالاً اربعين درجة شرقاً . الساعة العاشرة وصلنا الى رعيث ، وهي قرية صغيرة على اكمة منخفضة[١]. ووراء هذه القرية ، يتحول مجرى ماء هذا القسم الشمالي من السهل الضيق الاكثر ارتفاعاً الى اتجاه بين الغرب والشمال الغربي ، ويصب في البقاع . اسم هذا المجرى وادي سحور ، عبرناه الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة . تتابع الاكام امتدادها من انتي لبنان بشكل نتوءآت منخفضة ، وتنتهي احياناً بمنحدرات . عبرنا هذه النتوءآت فوصلنا ماسي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وهي واقعة على اكمة مشابهة . هنا ، غربي القرية تماماً ، اطلال جامع يبدو انه كان قبلاً كنيسة . يقول البعض انها كنيسة القديس يوحنا ، ولكني لا اعلم مستنداً لذلك . هنالك اعمدة قطرها تسعة وعشرون انشا . وعند الزاوية الجنوبية الغربية حجر عليه نقوش لاتينية غير واضحة ، لم نتبين منها سوى الاسم لونجينوس Lonjinus.

امامنا الآن القسم الوطيء او سهل وادي يحفوفة الصغير . ووراءه تمكنا من رؤية طريقنا الى النبي شيت ، وهي تعبر حرفاً اكثر

١ هنا وجد الدكتور دي فوريست تيجاناً كورنثية صغيرة وقطع اعمدة . راجع الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية :
Journ. of Am. Or. Soc. III. p. 360.

ارتفاعاً يمتد من انتي لبنان وينتهي قبل مرتفع غربي الطريق التي تسير باتجاه بين الشمال والشمال الشرقي . الى اليمين يشق وادي يحفوفة مجراه وسط الحرف الخارجي من انتي لبنان بمضيق قفر .

الساعة الحادية عشرة تركنا ماسي ونزلنا بانحدار الى سهل وادي يحفوفة الصغير ، فوصلنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة الى جدوله الجميل ، وهو يغزر هنا بعض الشيء ويُستغل جيداً للري . تسير الطريق صعداً على ضفة الجدول اليمنى حتى قرية يحفوفة تقريباً ، الواقعة بالقرب من فم المضيق ، ومن ثم تتحول الى وادٍ باتجاه الشمال . لم نصطحب دليلا ، فضللنا الطريق ، وتسلقنا الاكمة مباشرة على غير هدى ، فوصلنا ثانية الى الطريق على بعد اربعين روداً غربي القرية . عبرنا الحرف المرتفع امامنا ، فكان التل العالي الى يسارنا ، ثم نزلنا وعبرنا وادياً عميقاً على الجانب الاخر يمتد شمالاً بغرب ، وصعدنا الى النبي شيت ، فوصلناها الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة . ادرنا انظارنا نفتش عن مكان ظليل نرتاح قليلا عنده ونتناول طعام الظهر ، فوجدنا بيتاً غير مأهول حديث التبييض (الطرش) بالكلس ، فاحتللنا الرواق وجلسنا هانئين . رآنا صاحب البيت واكتفى بمراقبتنا من بعيد . ويظهر ان الضباط الاتراك يحتلون البيوت ساعة يشاؤون ويجبرون الاهالي على خدمتهم . ولذلك بقي صاحب البيت بعيداً عنا ، ولكننا دعوناه فلبى الدعوة وجاء يرحب بنا ويشعرنا اننا في بيتنا .

النبي شيت قرية كبيرة موقعها عند منتصف المنحدر الغربي من المنحدر الاكثر انخفاضاً في انتي لبنان . على بعد ميل ونصف تحت النبي شيت الى الشمال مباشرة ، تقع قرية الرمادي على حاشية

صخرية بارزة . بعد السهل تحت الرمادي على هذه الجهة من الحاشية الصخرية البارزة ، واد عميق محروث يجري باتجاه الجنوب الغربي الى البقاع . ان قرية النبي شيت سميت على اسم ولي مشهور هو « النبي شيت » المدفونة جثته هنا كما تذكر اسطورة اسلامية . بالقرب من القرية جامع جميل . يمتد المنظر من هذه القرية طليقاً منفسحاً الى الشمال على طول الوادي الكبير ، وقبالتها لبنان وجوانبه الوعرة وقممه المكللة بالثلج .

تمر بالنبي شيت احدى الطرق الرئيسية من الزبداني الى بعلبك ، وقد جئنا على وصفها سابقاً من الزبداني الى سرغايا[١] . من سرغايا تسير الطريق مع نهر وادي حورا (او سرغايا) مسافة نصف ساعة ، حتى اتصاله بالنهر المنحدر في وادي معربون من الشمال الشرقي ، ويعبر عليه فوق جسر قديم . تقع قرية معربون على مسافة نصف ساعة ونيف في اعلى وادي معربون ، في حوض مرجي تكثر فيه الاشجار المثمرة . وهذا الحوض المرجي يشابه سهول الزبداني وسرغايا . والقرية واقعة معها في خط واحد تقريباً . يسمى هذا الوادي ، تحت اتصال النهرين ، وادي يحفوفة ، وهو يشق طريقه الى السهل تحته وسط الحرف الغربي في هوة دورية بين منحدرات ضيقة . اتجاه هذا الوادي العام الشمال الغربي . وقبل ان يصل الى النبي شيت بنصف ساعة ، يتحول غرباً الى السهل في مضيقه فوق يحفوفة . تسير الطريق مع هوة هذا الوادي حتى تبان منها يحفوفة ، ثم تسير صعداً وتقطع الحرف

١ راجع ص ٤٨٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

الى النبي شيت . اما المسافة بين سرغـايا والنبي شيت فهي نحو ساعتين وربع الساعة [1] .

عند هذه النقطة تنتهي سلسلة انتي لبنان الغربية او الحرف الخارجي الواقع غربي سهل الزبداني الذي يشق وادي يحفوفـة هوته وسطه . هذا الحرف ينخفض تدريجاً ، وبوصوله الى هذه النقطة يتحول اكثر الى الشمال الشرقي ويندغم في حرف بلودان الاكثر ارتفاعـاً . ويعتبر جبل بلودان بحق سلسلة انتي لبنان الفقرية . امتداده الى الشمال بشرق حتى البقـاع ، ثم ينضم ببطء الى جبل لبنان فيسبب تضييقاً في عرض الجزء الشمالي من البقاع وراء بعلبك .

ومن النبي شيت شمالاً ، يصبح القسم الشرقي (وهو عـلى الاقل ربع مساحة البقاع) مدرجاً او سهلًا اكثر ارتفاعاً تتخلله آكام واقعة على سفح الجبال الشرقية . يتاخمه من الغرب باتجاه السهل الاكثر انخفاضـاً منه ، صف من الاكام المتقطعة تكثر فيها الثغرات المتسعة . ينحدر سطح هذا السهـل الى الغرب ، ولكنه غير منتظم ، وحصب ، وبلقع تقريباً .

١ راجع ما كتبه المستر بورتر في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٦٦٠ .

بين النبي شيت وبعلبك

الرمادي . وادي شباط . الطريق من سرغايا الى بعلبك . وادي الطيبة . عين بورضاي . مفترق طرق . طريق من ماسي الى بعلبك . قنا . مقالع واضحة . سرعين . طبشاره . بريتال .

تركنا النبي شيت الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والعشرين وهبطنا منحدراً طويلاً الى بطن الوادي تحت الرمادي . الارض في بطن الوادي محروثة ومشجرة بالاشجار المثمرة وغيرها . تركنا الرمادي على هضبتها الى اليسار فوقنا وصعدنا تدريجاً ، فخرجنا الى المدرج وسرنا في السهل النصف صحراوي بين الآكام . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين ، وصلنا الى اخدود وادي شباط الصخري المقفر ، فاذا بجدول صغير يجري فيه . يشق وادي شباط طريقه وسط المدرج منحدراً من الجبل الى السهل الاكثر انخفاضاً بهوة عميقة وعرة . يبتدىء وادي شباط على مقربة من وادي معربون . ابعد الى الشمال تسير طريق من سرغايا الى بعلبك ، فتترك طريق يحفوفة عند الجسر ، وتصعد في وادي معربون نحو ثلاثة ارباع الساعة ، ومن ثم تعبر حرفاً وطيئاً الى وادي شباط وتنحدر بعض الوقت في الوادي باتجاه الشمال الغربي ، ثم تتحول عنه تدريجاً وتمر على منحدرات صخرية عارية ، وتنضم الى طريقنا على مسافة عشرين دقيقة وراء النقطة التي عبرنا الوادي عندها .

وصلنا الى حيث تتصل الطريقان الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة . يقال ان هذه الطريق ليست اطول من الطريق المارة بالنبي شيت ، ولكنها احسن منها ، واكثر استواءً ، واقل متعة . ولا يحتاج المسافر عليها الى قطع آكام صخرية او الدوران في معابر ضيقة شاقة [1] .

الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة كانت قرية بريتان [2] على مسافة ميل منا باتجاه الغرب بشمال ، على الجهة الجنوبية من فجوة في خط الآكام . هنا العديد من الاضرحة القديمة . تابعنا السير في البقعة الصحراوية فوصلنا الساعة الرابعة الى هوة اخرى عميقة وشاقة تشق طريقها نزولاً وسط المدرج تشبه الهوة المذكورة سابقاً ، اسمها هنا وادي الطيبة باسم قرية ابعد الى تحت بين الآكام ، وقد سمعنا ان قسمها الاعلى يسمى وادي هِجرَبان .

الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين كان امامنا مفترق طرق . تتحول شعبة من هذا المفترق نحو اليمين الى ينبوع بعلبك . سرنا في الشعبة اليسارية المنحدرة التي تمر وسط فجوة طليقة في الآكام . الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين مررنا في اسفل الفجوة على قرية عين بورضاي وينبوعها . تابعنا السير بجانب

١ راجع ما كتبه المستر بورتر في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٦٦٠ و ٦٦١ .
واظن ان هذه الطريق هي التي سافر عليها الدكتور ويلسن من الزبداني الى بعلبك، ولكن وصفه لها ليس محدوداً . راجع :
Lands of the Bible, ll. pp. 375, 376.

٢ لعل المؤلف يعني بريتال . –المعرب .

سفح الاكمة التالية فوصلنا الساعة الخامسة الى مدينة بعلبك الواقعة في الطرف الشمالي الغربي والزاوية المكوّنة مـــن المدرج المرتفع المذكور سابقاً ، وخط الآكام الذي يقطع هنا وينتهي ، بينما يمتد صعداً الى الشرق ساعد من السهل الرسابي الى الينبوع .

وهكذا فان الطريق التي سلكناها من ماسي ، او بالحري من عنجر مارة بالنبي شيت ، اخرجتنا من البقاع وسلكت بنا طيلة النهار في ارض مرتفعة شرقي خط الآكام ، وليس في السهل الكبير . تكوين هذا الوادي الجانبي الصغير جدير بالاعتبار ، ويمكننا القول انه يمتد مـــن وادي التيم الى بعلبك بتقطع اكثره عنـــد عنجر والنبي شيت . وهذا السهل الكبير نفسه ، اذا امتد النظر اليه من خلال الثغرات في الاكام ، هو غاية في الخصب وآية في الجمال ، بل هو جوهرة مركزة في مكانها العميق ، ترصعها الجبال حولها وتهدّبها ثلوج لبنان البرّاقة . يعم الري سائر اقسام البقاع في هذا المدى الذي نحن فيـه . في الجنوب ، تبتدىء الجبـال بالتجمع الى بعضها فيضيق السهل بهذا التجمع . اما شمالي بعلبك فتتغير طبيعته كلياً .

تسير طريق اخرى من ماسي شمالاً بجانب السفح الغربي من خط الاكام ، متاخمة طرف السهل الكبير الشرقي[1] ، وبعد ان تعبر

١ ســـار الدكتور دي فوريست على هذه الطريق من بعلبك الى عنجر . راجع الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية :

Journ. of Am. Or. Soc. III. pp. 358, 359.

وسار عليها شوبيرت Schubert ايضاً من سرعين على الاقل ، وهو يكتبها زارين Zarain . راجع :

Schubert, III. p. 314.

جدول يحفوفة تصعد اكمة منحدرة ، وتترك قرية قنا على عشر دقائق عن اليمين ؛ فتمر في وادٍ قليل الغور غربي التل المرتفع المذكور سابقاً ، فتصل بخمس واربعين دقيقة الى مقالع واضرحة محفورة . وعلى مسافة خمس عشرة دقيقة عبر الوادي الممتد تحت قرية النبي شيت ، تقع قرية سِرعين . وبعد عشرين دقيقة تمر الطريق تحت الرمادي على الجهة الغربية منها . ثم تأتي طَبشار على بعد خمس عشرة دقيقة . وبعد عشر دقائق تصل الى عين الكنيسة ، وهي مزرعة حديثة الى اليسار . ثم بعد خمس وعشرين دقيقة تصل الى بريتان [1] . ومن هناك الى الطيبة خمس وثلاثون دقيقة . وعلى مسافة خمس واربعين دقيقة من الطيبة تقع قرية دورس على بعد عشر دقائق الى يسار الطريق [2] . وبعد نصف ساعة منها يصل

١ كذا في الاصل . — المعرب .

٢ تقع دورس على الطريق المباشرة بين زحلة وبعلبك. بالقرب من هذه القرية، كما يظهر ، هيكل يقول بركهاردت انه محاط بثمانية اعمدة جميلة من الغرانيت . راجع رحلته الصفحتين الحادية عشرة والثانية عشرة . ولكن و . ف . ريشتر O. V. Ritcher يقول ان الاعمدة مركزة في الارض بدون ترتيب، وان عموداً او اثنين منها مقلوبان راساً على عقب يشكلان تربة اسلامية او مقام ولي . راجع الصفحة الثمانين .

وهكذا يقول اللفتننت كولونيل اسكوير Lt. Col. Squire في رحلات والبول Walpole في بلدان مختلفة من الشرق ، ص ٣٠٧ . راجع :

Walpoles Travels in various Countries of the East, p. 307.

ويصرح دي سولسي De Saulcy بالنتيجة نفسها ، ويجزم جزماً قاطعاً . راجع :

Narrat. II. p. 639.

فيتضح انه البناء نفسه الذي يقول عنه بوكوك منذ اكثر من قرن « انه ضريح محمدي

المسافر الى بعلبك .

المقالع القديمة والحجارة الكبيرة

تقع مقالع بعلبك القديمة في السفح الغربي من الاكمة الاخيرة على مسافة ثماني دقائق او عشر جنوبي المدينة والهياكل . ويمكن المرء ان يرى في هذه المقالع كيف اقتلعت الحجارة العادية التي استعملت في ابنية المدينة الضخمة المجاورة لها . اما كيفية القطع فهي ان يقطع الحجر او يقد من وجه الصخر العمودي في وضع قائم ، ثم تنحت فسحة نحو ستة قراريط بين هذه الحجارة المقطوعة وبين الصخر المقطوعة منه وراءها ، وعلى الجوانب ، وتترك نصف مقطوعة او ملساء . وقد رأينا الكثير من هذه الحجارة المفصولة عن بعضها البعض الا من اسفلها قائمة مكانها كأنها اعمدة ضخمة مربعة . وفي الاكمة نفسها بالقرب من المدينة العديد من الاضرحة المقدودة .

اما اكبر حجر بينها، وهو الحجر الذي ذاع صيته واشتهر بين السياح ، فملقى في وضع مائل باتجاه من الشرق الى الغرب وهذه ابعاده :

	قدم	قيراط
الطول	٦٨	٤

مثمن الاضلاع . » راجع : Pococke, II. i. p. 108 . ولا ريب ان الاعمدة الجميلة جلت من بعلبك .

العرض	١٧	٢
الارتفاع	١٤	٧

وتصعب معرفة البقعة الحقيقية التي خصص الحجر بها ، اذ يبدو ان لا مكان له في مشروع الابنية الحالية . فاذا دقق النظر في ابعاده كما هو في وضعه الحاضر فقياساته الحقيقية لا تُصدّق مطلقاً . واذا اقترب شخص منه يتبادر الى ذهنه انه يتمكن من احاطة اعلاه بيديه ، ولكنه بعد التجربة يجد انه لم يتمكن من الاحاطة بنصفه .

بعلبك

موقع الهيكلين الكبيرين . سور المدينة القديمة . موقع
الينبوع . كتابة يونانية . اطلال جامع . ارتفاع بعلبك
فوق البحر . المدينة الحديثة .

يقوم الهيكلان الكبيران على حرف منخفض او نتوء بين هذه الاكمة الاخيرة وتل صغير يبعد نحو نصف ميل شمالاً . ويمتد سور المدينة القديمة من زاويتها الجنوبية الغربية باتجاه شرقي صاعداً الاكمة الى القرب من قمتها [١] . ثم يمتد شمالاً نزولاً مع الاكمة ، ويتغلغل في السهل الذي يمتد باتجاه الينبوع ، ويتابع امتداده شمالاً من الغرب الى التل الصغير المذكور اعلاه . اما الجانب الرابع فلم نقتف اثره . كان السور مغشى بحجارة منحوتة وتعلوه ابراج مربعة على مسافات متعددة . وقد ذكرني سائر البناء بالاسوار والابراج التي عند عنجر . الا ان المساحة المنضوية ضمن

١ كان العمود الدوري الذي وصفه بوكوك و وود قائماً في الزاوية المكونة من سور المدينة وهذه الاكمة . راجع :

Pococke, II. i. p. 107.
Wood, p. 17.

ويقول اسكوير ان العمود قلب في العام ١٨٠٢. راجع :

Squire in Walpole's Travels in the East, p. 306.

وقد وصف دي سولسي الخرائب . راجع :

Narrat. ll. p. 615 sq.

هذا السور هي اكثر اتساعاً من تلك ، اما الان فالاسوار والابراج مهدمة ، والمدينة الحديثة ، الواقعة باكثرها شرقي الهياكل ، ليست سوى قرية حقيرة ولكنها كبيرة [1] . تكثر هنا الاشجار المتنوعة ولاسيما اشجار الجوز .

ينبوع بعلبك

يقع ينبوع بعلبك الغزير الجميل في واديه اللطيف والمنخفض ، في السهل ، على مسافة خمس عشرة دقيقة الى الجنوب من شرقي الهياكل . ويمتد الوادي الى سفح انتي لبنان شمالي الآكام والمدرج . هذا الخصب يعم الوادي كله حتى لتخاله روضة غناء . والماء يغور صعداً في عدة اماكن ، بُني في مكانين منها حائط نصف دائري . على احجار احد الينبوعين ، وجد موندريل كتابة يونانية تحوي اسم اسقف مسيحي [2] . ماء الينابيع رائق ولطيف ، يجري مخرخراً في نهر جميل ، ربما ضاهى النهر الذي يجري من نبع شمسين في غزارته . بجانب الينبوع تماماً خرائب جامع له صف واحد من الاعمدة تمتد في منتصفه ، ربما كانت قبلاً متصلة ببعضها بقناطر تساعدها على دعم السقف . في الجانب الشمالي فناء مربع [3] . يخرج الجدول

١ كان في بعلبك عهد بركهاردت نحو سبعين عائلة من المتاولة وخمس وعشرين من الروم الكاثوليك . راجع الصفحة الخامسة عشرة . وعلى الارجح انه لم يطرأ اي تغيير يذكر على هذا العدد .

٢ Maundrell, Journ. May 5th. ult.

٣ ان الينبوع الاصغر الذي زاره بركهاردت وسماه جوش ، يقع عاليا

من الينبوع ويجري الى الهياكل . مجراه الطبيعي الى الجهة الشمالية منها ، ولكن شعباً منه حوّلت الى جنوبي الهياكل وهي تزود عدة طواحين بالماء ، ثم تجري كلها الى السهل فتستهلك للري ، ولا تصل نقطة منها الى الليطاني الا في الشتاء . والمعروف ان نبع الليطاني الاقصى الدائم هو بالقرب من قرية اسمها حوشبة واقعة غربي بعلبك تقريباً عند سفح لبنان . اما الجدول الذي يبعد ساعة او ساعتين تحت الينبوع فلا يزيد على نصف نهر بعلبك غزارة [١] .

ارتفاع بعلبك فوق البحر

اما ارتفاع بعلبك فوق سطح البحر حسب قياس رسغر فهو ثلاثة الاف واربعماية وست وتسعون قدماً باريسية ، وحسب قياس شوبرت Schubert ثلاثة الآف وخمسماية واثنتان وسبعون قدماً باريسية [٢] . فيكون الارتفاع المتوسط ثلاثة الاف وخمسماية واربعاً وثمانين قدماً باريسية ، او ثلاثة الآف وسبعماية وتسعاً وستين قدماً انكليزية .

على جانب انتي لبنان. راجع رحلته الصفحة السادسة عشرة . ولكنا لم نزره ولا سمعنا احداً يتحدث عنه .

١ وهذا رأي المستر روبصن الذي زار الينبوع، وعبر الجدول على بعض المسافة تحته . قابل مع بركهاردت في رحلته الصفحة العاشرة .

٢ راجع المصدرين ادناه عن ارتفاع بعلبك عن سطح البحر :

Russegger Reisen, I. p. 702.

Schubert, III. p. 322.

ضربنا خيمتنا في الجنوب قبالة الهيكل الاصغر وتجاه المدخل العادي الحالي . وجدنا جماعات من السياح بينها عدد من الفنانين مكبين باجتهاد على اخذ الرسوم . خيّمت احدى هذه الجماعات في الطرف الشرقي من فناء الهيكل الكبير نفسه . اما نحن فندمنا على تسرعنا في ضرب خيمتنا حيث هي لصعوبة وهمية تصورناها في حمل حيوانات النقل على الدخول الى هناك . استسلمنا في المساء الى المتعة والدهشة اللتين توحيها غرائب المنظر الذي امامنا ، وارجأنا فحصها والتدقيق فيها الى اليوم التالي .

الهياكل

ان الجاذب الغريب في بعلبك الان هو خرائب الهيكلين ، الهيكل الاكبر والهيكل الاصغر[1] .

يمتد الهيكل الكبير برواقه الفخم وساحاته الفسيحة واعمدته ، من الشرق الى الغرب ، الفا قدم طولاً . ويقوم على دكة صناعية معقودة ترتفع من العشرين الى الثلاثين قدماً فوق الضاحية المجاورة . فهناك ، عدا خرائب العرصات والرواق المتصدعة الهاوية ، ترى الاعمدة الجنوبية الغربية الستة الباقية من الرواق الشامخ ، وهي من الهيكل ، لا تزال في ذروة العظمة . اما الهيكل الصغير فيقوم ايضاً على دكة شبيهة بدكة الهيكل الكبير ولكنها لا تبلغ ارتفاعها[2] .

١ نذكر ملاحظاتنا على الهيكل الصغير المستدير القائم ابعد الى الشرق فيما بعد .

٢ اعتبر الهيكل الاصغر خطأً احياناً انه قائم على الدكة نفسها من الهيكل الاكبر . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٣ ، ص ٨٥ .

يقوم الهيكل الصغير جنوبي الهيكل الكبير وعلى موازاته ، وتبعد جبهته بضع اقدام الى الشرق من صف اعمدة الرواق الكبير الشرقي. ليس من ساحة امامه . اما طوله فاقل من ربع طول الهيكل الكبير وعرصاته . وقد أكمل بناؤه باتقان زائد ، ولا يزال القسم الاكبر منه باقياً الى الان ، بينما من المرجح ان الهيكل الكبير لم يتمم بناؤه قط .

ليس من اختصاصي الوصف او الاسهاب في الخطط الانشائية وفخامة بناء هذه الخرائب ، بل كل ما اعنيه في هذه الكلمات القليلة هو ان اضع امام القارىء اللبيب وصفاً مختصراً يمكنه من تكوين فكرة صحيحة عن المكان ، وان اضع السائح الذي يأتي بعدي في مركز يمكنه حالاً من تفهم خلاصة الخرائب ، وتوفير الوقت والعمل والدرس والبحث له وحده بدون دليل . اما نحن فلسوء حظنا لم يكن لدينا شيء من هذا ولم نصطحب معنا سوى ما كتبه موندريل بقليل من الاسهاب في وصف الهيكل الاصغر ، ولكنه لا يكاد يذكر الهيكل الكبير او يشير اليه . ومنذ ظهور الصفحات التي خطها وود Wood وبوكوك ، لم يذكر اي سائح ، باستثناء فولني ، خطط الخرائب او يصف اقسامها الرئيسية واشكالها. فقد فحصنا بانفسنا دون الاستعانة برسم او دليل ، فجاءت النتائج التي توصلت اليها مطابقة لما توصل اليه وود ودوكينز Dawkins مما افعم قلبي سروراً . ولكن لو كان لدينا رسم مهما يكن زهيداً ومختصراً ، اذاً لكانت الفائدة التي حصلنا عليها اسهل منالاً ، ولما اقتضت الجهود التي بذلناها . حقاً ان من يزور بعلبك لدرس فن بناء خرائبها ، يتعرف الى الاعمال الجبارة الباهرة التي اخرجت هذه الابنية الى عالم الوجود .

ولكن ليس هذا ما يعمد اليه معظم السياح ونحن منهم .

وها انا اضع بين يدي القارىء الرسم الاصلي لارض الهيكلين كما صغره فولني عن رسم اخذه وود ودوكينز ، مع وصف مختصر .

اما المواد الرئيسية التي استعملت في البناء كله ، فهي من حجارة الاقليم الكلسية المتلازة التي اقتلعت من الاكام المجاورة [1] .

اذا امعنا النظر في شكل الهياكل العام ، يجب ان نذكر ان اقساماً كثيرة منها ، وخصوصاً الجهة الجنوبية ، قد شوهت وتغيرت معالمها بما شيّده العرب في القرون الوسطى عندما حولت مساحة ارض الهيكلين كلها الى حصن اسلامي [2] .

الهيكل الكبير

في جبهة الهيكل الكبير الشرقية ، تظهر خرائب رواق فخم طوله مئة وثمانون قدماً يحرس كلا طرفيه برج مربع او سرادق. تعلو ارض الرواق نحواً من عشرين قدماً فوق الارض ، تحتها جدار مبني بحجارة كبيرة لم تمسها يد عامل بعد قطعها ، مما يدل على سبق وجود درج كبير يؤدي الى الرواق . وقد اختفت كل

١ خرائب بعلبك ، رسم وود ودوكينز .
Wood and Dawkins Ruins of Baalbec, fol. Lond. 1757, Plate III. Comp. Volney, II. p. 216.
اما نحن فقد اخذنا بعض القياسات . ولكن القياسات المذكورة في المتن مأخوذة عن وود ودوكينز خلا ما اعينه منها .

٢ احد هذه الابنية معقل مربع الاضلاع ارفل يلتصق مباشرة بمقدم الهيكل الاصغر.

الشرق

القياس

٠ ٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ قدم

الغرب

تلك الدرجات واستعملت في ما قام به العرب من الاعمال .

كان عمق الرواق نحو سبع وثلاثين قدماً ، يستند من الامام على اثني عشر عموداً لم يبق منها سوى قواعدها . كان قطر الاعمدة اربع اقدام وثلاثة قراريط ، والمســافة بين الاعمدة تسع اقدام ونصف القدم . على قاعدتين من هذه القواعد حفرت هذه الكتابات مختصرة ، وقد نقلها وود ودوكينز ، ولكنها الان غير مقروءة تماماً [1] :

I. Magnis Diis Heliupolitanis pro salute Antonini Pii Felicis Augusti et Juliae Augustae matris domini nostri castrorum Senatus patriae... columnarum dum erant in muro inluminata sua pecunia ex votolibenti animo solvit.

II. Magnis Diis Heliupolitanis... oriis domini nostri Aotonini Pii Felicis Augusti et Juliae Augustae matris domini nostri castrorum... ntonianae capita columnarum dum erant in muro inluminata sua pecunia...

على جانبي الرواق سرادقان مبنيان بحجارة ضخمة قسنا حجراً منها فبلغ طوله اربعاً وعشرين قدماً وخمسة قراريط . والسرادقان مزخرفان من الخارج بزنار او افريز على مستوى الرواق . تقوم

[1] هذه الكتابة محفورة على طراز الحروف الطويلة الرشيقة ، وتعتــبر دالة على عهد سيتيموس سيفيروس في اواخر القرن الثاني . ولذلك يعتبرها دي سولسي تذكاراً نذرياً يمتدح ماركوس اوريلوس انطونيوس ثم كاراكلا بن سيفيروس والامبراطورة جوليــا دومنا . راجع : Narrat. II. p. 623.

ويعتبر دي سولسي ايضاً ان الكتابتين متماثلتان كل المماثلة تقريباً .

في الزوايا عضادات ، وعلى الجانبين عضادتان متداخلتان . امام كل سرادق بالقرب من اسفل كل منها باب يؤدي الى الاقبية التي تحت الدكة . وقد اعاد العرب بناء سطح كل من السرادقين . في كل سرادق غرفة مربعة على مستوى الرواق ، عرضها احدى وثلاثون قدماً وعمقها ثماني وثلاثون قدماً ، يُدخل اليها من الرواق بثلاثة ابواب . وهذه الغرف مزخرفة زخرفاً متقناً بعضادات وفجوات وافاريز ، وربما كانت مزدانة سابقاً بتماثيل . وهذا الوصف يصح ايضاً على حائط الرواق الخلفي .

عرض الرتاج الكبير الذي يؤدي من الرواق الى ابهاء الهيكل سبع عشرة قدماً . وعلى كلا جانبيه باب اصغر منه عرضه عشر اقدام .

تؤدي هذه الابواب الثلاثة الى الساحة الاولى او البهو الاول وهي سداسية الاضلاع ، طولها من جانب الى آخر بين الشرق والغرب نحو مئتي قدم ، وعرضها من زاوية الى اخرى نحو مئتين وخمسين قدماً . على الجانب الشرقي وعلى كل من الجانب الشمالي والجنوبي اكسيدرا[1] مستطيلة قائمة الزوايا وغرفة او فسحة مجهزة بمقاعد كالكنائس الصغيرة (الكابيلات) الجانبية في الكنائس الرومانية . امام كل منها اربعة اعمدة ، بينها غرف صغيرة غير منتظمة . اما الفسحة التي في الشرق فتشكل دهليزاً امام المدخل من الرواق . ولا ريب ان هذه الاكسيدرات كانت مسقوفة قبلاً

[1] هي في الاصل كلمة يونانية لوصف اي مقعد او فراغ في الخارج. اما الان فتستعمل لكل مقعد او فراغ نصف دائري في الخارج او الداخل مهما كان كبيراً . وقد فضلنا استعمالها بلفظها اليوناني كي لا يلتبس على القارىء ما يقصده المؤلف من استعمالها . - المعرب .

ولكنها الان في حالة الخراب .

اما جانب الساحة السداسية الغربي فيشغله رتاج فسيح عرضه خمسون قدماً ، وعلى كل من جانبيه باب جانبي عرض كل منهما عشر اقدام ، وهما يؤديان الى المربع العظيم او العرصة الفسيحة الواقعة مباشرة امام الهيكل نفسه . طول هذه العرصة من الشرق الى الغرب نحو اربعمائة واربعين قدماً وعرضها نحو ثلاثمائة وسبعين قدماً مع الاكسيدرات المذكورة اعلاه .

ندخل من الابواب في منتصف الجانب الشرقي ونسير الى الشمال ، فاذا بعد الباب الصغير فجوة كبيرة متسعة عرضها ثماني عشرة قدماً ، يظهر انها معدة لوضع تمثال ضخم فيها . تتلو هذه الفجوة اكسيدرا مستطيلة قائمة الزوايا امامها اربعة اعمدة ، ثم نجتاز القرنة فاذا بعدها غرفة مقفلة من الامام تُرك فيها باب واحد . وهذه الغرفة الامامية تتصل بغرفة مثلها في الجانب الشمالي من العرصة ، وتصل بين الغرفتين غرفة صغيرة مربعة واقعة في الزاوية المكونة بينهما .

نتقدم غرباً على طول بهو الجبهة الشمالية ، فنرى اولاً اكسيدرا مستطيلة قائمة الزوايا امامها اربعة اعمدة ، ثم اكسيدرا نصف دائرية امامها عمودان ، تتلوها اكسيدرا مستطيلة قائمة الزوايا اطول من الاوليين ، تشغل منتصف هذه الجهة . امامها ستة اعمدة . ثم يتلو ذلك ، بترتيب يتلاءم مع ما وصفناه قبلاً ، اكسيدرا نصف دائرية بعمودين ، ثم اكسيدرا مستطيلة قائمة الزوايا باربعة اعمدة وغرفة بابها يتلو القرنة .

على الجانب الغربي من البهو ، بين هذه القرنة والرواق الكبير ، والمسافة بينهما مئة قدم ، كانت الفسحة خالية من الاكسيدرات .

نتقدم من الباب الشرقي في البهو ونسير جنوباً ، ثم بجانب الحائط الجنوبي فنرى ترتيب الغرف والاكسيدرات مطابقاً كل المطابقة تلك التي وصفناها في الجانب الاخر . كان عمق الاكسيدرات ثلاثين قدماً ، ولا ريب انها كانت قبلاً مسقوفة . ويبدو ان الاعمدة الغرانيتية السيناوية المجلوبة من مصر ، نصبت امام هذه الاكسيدرات . واكثر هذه العمد البالغ قطرها تسعة وعشرين قيراطاً مطروحة حول العرصة ، وخصوصاً في الجبهة الجنوبية منها ١ .

يظن وود ان قواعد هذه العمد وتيجانها هي من المواد نفسها التي استعملت في اجزاء الهيكل الاخرى . كانت الاكسيدرات مزخرفة من الداخل ومن الخارج بعمد مربعة وفجوات . اما اعالي الفجوات هذه فمزينة بزخارف تشبه الصدف او بمثلثات على جهة الاكسيدرات الامامية العليا حجارة منضدة تزينها حواشٍ مطرزة ومنقوشة نقشاً نفيساً رائعاً .

في منتصف الجزء الغربي من هذه العرصة ، بقية دكة مرتفعة او ممشى يظهر كأنه كان يسند صفين من القواعد . يشتمل كل صف على ثلاث قواعد كأنها اعدت لنصب التماثيل ار السفنكسات . وقد جاء فولني على ذكر هذه الآثار ٢ . ولم يذكرها وود ودوكينز .

١ يذكر م. دي سولسي ان احد هذه الاعمدة الغرانيتية البالغ قياس قطرها تسعة وعشرين انشاً ، مرمي في احد الدهاليز . راجع :

M. De Saulcy, Narrat. ll. p. 626.

٢ فولني ، المجلد الثاني ، ص ٢١٨ .

وقد اشار اليها روبرتس في حديثه المختصر تفسيراً لرسم الرواق الشرقي في بعلبك .

Roberts' Sketches, Explan. of Plate: Eastern Portico: راجع

يجابه هذه العرصة الكبيرة المربعة ، صف الاعمـدة المديد البالغ طوله مئتين وتسعين قدماً ، وعرضه مئة وستين قدمـاً . على كل جانب منه تسعة عشر عموداً تيجانها قورنثية [١] ، وعلى كل من طرفيـه عشرة اعمدة ، اي ان اعمـدة الزوايا احصيت مرتين ، فيكون مجموع الاعمدة اربعة وخمسين . قطر اسفل هذه الاعمدة كما يقول وود سبع اقدام واعلاها خمس اقدام . امـا قياساتنا لبعض هذه العمد فاسفرت عن سبع اقدام وثـلاثة قراريط او اربعة [٢] . المسافة بين الاعمدة كانت غالباً ثماني اقدام ، ولكن في منتصف الصف الامـامي الشرقي كانت اكثر من ذلك بقليـل .

كان ارتفاع السوق نحو اثنتين وستين قدماً تعلوها انضاد من الحجارة فوق رؤوسها حتى « الطنف » ارتفاعها ، نحو اربع عشرة قدمـاً ونيف غنية بالنقوش الجميـلة [٣] . فيكون الارتفـاع ستاً وسبعين قدماً تقريباً [٤] . كانت الاعمدة في الاغلب مركبة من ثلاث قطع ، اكثرها الان مرمية ومنتثرة على الارض . وقـد كانت القطع مثبتة الى بعضها بمسامير او عقافات حديدية طولها قدم وسمكها كذلك . واحياناً استعمل مسماران ، الواحـد مربع والآخر مستدير [٥] . كانت القطع مثبتة الى بعضها بصلابة شديدة

Baalbec.

١ يظن ان نسق الاعمدة كلها في الهيكل والباحات كان كورنتيا .

٢ وهذه القياسات توافق قياسات ولسن . راجع :
Lands of the Bible, II. p. 383.

٣ Wood and Dawkins, Plate XXlll.

٤ Lands of the Bible, ll. p. 383.

٥ Wood, p. 23.

فلم يؤثر عليها او يفصلها عن بعضها سقوط العمود من مركزه. ان اشد انواع طغيان البربرية الغاشمة هو ما ابتليت به هذه الخرائب الفخمة من تقطيع وتكسير، ولا تزال آثار هذه البربرية بادية على اسفل العمد القائمة. وما ذاك الا للحصول على الكتل الحديدية.

قامت صفوف هذه الاعمدة على جدران ضخمة بنيت على ارتفاع خمسين قدماً فوق الارض الخارجية. واستند الجدار الشرقي الى دكة البهو المربع الكبير. ويبدو ان الصعود الى مستوى صف الاعمدة الكبيرة كان من هذا الجدار. اما الجدار الجنوبي فاكثره مطمور تحت الردم الذي توالى عليه جيلاً بعد جيل. والجدار الغربي تحجبه الابنية الجبارة التي سنأتي على وصفها. اما الجدار الشمالي فسليم، وهو مبني من حجارة منحرفة الزوايا متقنة الصنع تامته. اما المداميك فمتعاقبة. فالمداميك المبنية بحجارة طويلة تعقبها اخرى بحجارة اقصر منها. سماكة المداميك جد متسقة، فهي ثلاث اقدام وثمانية قراريط، وعددها من سطح الارض في الخارج حتى قواعد الاعمدة الكبيرة فوق، ثلاثة عشر مدماكاً او نحو ثماني واربعين قدماً. اما المداميك في الجدار الجنوبي فمثلها في الجدار الشمالي، وكذلك الارتفاع على الارجح.

هل وجد سابقاً، على مستوى علو هذه الجدران، ممشى معقود ضمن هذا الصف من الاعمدة؟ هل شيدت سيلا Cella [1] ضمن الممشى

[1] هي كلمة لاتينية تستعمل لما يشبه الحجيرة ضمن الهيكل الروماني وتطابق كلمة ناوس Naos في الهيكل اليوناني او في اي بناء يشابهه، واستعمالها خاص

فوق صف الاعمدة هذا ؟ هل كان الممشى وصف الاعمدة يفيان وحدهما بما يتوخى من بناء هيكل فسيح مكشوف ؟ هذه نظريات ربما لا يمكن الجزم بها مطلقاً . وقد لا تكون النظرية الاخيرة اقل ارجحية من النظريتين الاوليين .

حقاً ان هذا الرواق الفخم يرتفع نحو خمسين قدماً فوق ما يجاوره من المناطق ، فيكوّن جرماً تمكن رؤيته بوضوح وجلاء من سائر الجهات . والاعمدة الستة الغربية وهي الوحيدة التي لا تزال قائمة على جانبه الجنوبي هي حتى هذا الوقت المحور الرئيسي الذي يثير الدهشة والاعجاب بين سائر المناظر والمشاهد في بعلبك . وفي ايام وود ودوكينز ، اي في العام ١٧٥١ م ، كانت تسعة اعمدة لا تزال قائمة .

وليست الاركان الخارجية والابنية التحتية الضخمة التي تحيط بالجدران وتغطيها ، تلك الجدران التي يستند عليها الرواق او صف الاعمدة ، باقل روعة ومثاراً للاعجاب من اقسام الهيكل العظيم الاخرى . هذا اذا جاز لنا استعمال هذه العبارة او اطلاق هذا الاسم على كتل ضخمة من الابنية المشيدة لا يستند اليها شيء[١] . وهذا الجدار الخارجي التحتي هو على الجانب الشمالي والطرف الغربي من الرواق ، وربما يكون موجوداً ايضاً على الجانب الجنوبي تحت اركمة من الردم . ويقول وود ان سائر انحائه تبعد تسعاً

بفن البناء . وقد فضلنا استعمالها بلفظها اللاتيني كي لا يلتبس على القراء ما يعنيه المؤلف باستعمالها . — المعرب .

١ يطلق وود ودوكينز على هذه الاركان او الابنية التحتانية اسم الطبقات تحت الطبقات السفلية ، ويتساءلان عن مهمتها الخاصة .

وعشرين قدماً ونصف القدم عن الجدران التي تدعم الاعمدة ، ويبلغ سمكه عشر اقدام .

اما الركن الاجل بين هذه الابنية التحتية فهو الجدار الغربي كما يرى من الخارج . فهو من سطح الارض الى مستوى اسفل الاعمدة نحو خمسين قدماً . وفيه ترى طبقة من ثلاثة احجار ضخمة يتغنى بها ويمتدحها سائر السياح . طول احد هذه الاحجار الثلاثة اربع وستون قدماً ، والآخر ثلاث وستون قدماً وثمانيــة قراريط ، والثالث ثلاث وستون قدماً ، ويبلغ مجموعها مئــة وتسعين قدماً وثمانية قراريط . ارتفاع هذه الاحجار نحو ثلاث عشرة قدماً ، ومثله سمكها كما يبدو ، او ربما كان سمكها اكثر من ارتفاعها . وقد بنيت هذه الاحجار الثلاثة على ارتفاع نحو عشرين قدماً فوق الارض ، على سبعة احجار اخرى من السمك نفسه ، وهــذه السبعة تمتد بعض الشيء وراء كل طرف مــن اطراف الحجارة الثلاثة المبنية فوقها [١] .

ومن الواضح ان هــذه الكتل الضخمة كانت تغطي الطرف الغربي من الهيكل العظيم وتدل على مدى امتداده الموافق لعرض صف الاعمدة المديد فوقها . اما الحائط الذي يمتد من هذه الكتل

١ يتحدث الدكتور ويلسن هنا عن « حجر واحد لم ينتبه له موندريل و وود ودوكينز ، وذلك ربما لوجود شذوذ في قطع سطحه الخارجي ، ولكنه كتلة واحدة غير مقسومة . طوله تسع وستون قدماً ، وعمقه ثلاث عشرة قدماً ، وعرضه ثمــاني عشرة قدماً . » راجع : Lands of the Bible, II. p. 381.

اما انا فليس بامكاني اثبات هذا الكلام او مناقضته، لانني كغيري من السياح السابقين، خلا الدكتور ويلسن ، لم اشاهد حجراً كهذا .

الى الجنوب فهو من مواد ادنى من مواد هذه الكتل ، وربما كان حديث البناء . ولا ريب ان هذه الاحجار الثلاثة الهائلة هي التي خلعت على الهيكل العظيم لقبه القديم تريليثون Trilithon (المثلث الحجري) [١] و[٢] .

يبلغ ارتفاع جدار البناء التحتاني في الشمال نحو عشرين قدماً فحسب ولكن بناءه لم ينجز . شكل بنائه جبار ، حجارته ضخمة بنيت كما جيء بها من المقلع ، لم تشغل ولم تنحت . هنا تسعة احجار ، معدل قياسها احدى وثلاثون قدماً طولاً ، وتسع اقدام وسبعة قراريط عرضاً ، وثلاث عشرة قدماً عمقاً [٣] . لما جئت على ذكر الكتلة الهائلة الباقية في المقلع ، قلت : يبدو ان لا محل لها في مشروع الابنية الحالية [٤] ، مع ذلك فمن المحتمل ان يكون القصد من الكتلة المذكورة وضعها على الحائط بعينه ، في صف المدماك المشابه لها على الطرف الغربي ، ولكن لسبب ما اهمل العمل وترك الحائط كما هو في حالته الحاضرة غير متمم . ولذلك فالحائط الداخلي الفخم الذي يسند صف الاعمدة فوقه والمشيد بحجارة منحرفة الزوايا ظل في هذه الجهة في متناول الجمهور يدنو منه ويشاهده .

١ Chron. Pasch. I. p. 561. ed. Dind. p. 303.

٢ نصب تذكاري والارجح ضريحي . وهو اما قائم وحده او جزء من بناء كبير ، يشتمل على ثلاثة احجار ، اثنان منها قائمان ، يصل بينهما طنف متتابع . بين هذه المثلثات المشهورة التي لم تزل قائمة مثلث في ستون هينج Stone Henge في سليسبري بلاين Salisbury Plain في انكلترا . — المعرب .

٣ Lands of the Bible, II. p. 382.

٤ راجع ص ٥٠٥ من المجلد الثالث للمؤلف .

تحت جانبي المربع الكبير او البهو الفسيح الشمالي والجنوبي، وهما يتجاوزان كثيراً صف الاعمدة والبهو المسدس، ممرات طويلة معقودة تمتد على طول المربع من الخارج الى الخارج، ويوجد ممر على الاقل يمتد عرضاً ويصل بين الممرات، وهو مشابه لها، وربما وجد اكثر من ممر واحد. وقد جيء على وصف ممرات اخرى وغرف تحت الدكة [1]. اما قنطرة الاقبية فدائرية، وعلى الحيطان قطع من النقوش اللاتينية، واحياناً تمثال نصفي [2]. في ايام موندريل وبوكوك، كان المدخل الوحيد الى الدكة وساحات الهيكل العظيم فوقها، وسط هذه الممرات المعقودة. اما الخروج منها فكان في مكان ما قرب الهيكل الاصغر [3]. لم نفحص الاقبية بل اكتفينا بالنظر اليها من مداخلها.

على طول جبهة الحائط الشمالي الخارجية في الساحة الكبيرة

١ راجع المصدرين ادناه عن الممرات والغرف تحت الدكة:

Ritter Erdk. XVll. i. p. 236.

H. Guys, Relation, ll. p. 24.

٢ يذكر موندريل هذا الحفر في الخامس من ايار.

ويذكرها ايضاً بوكوك، ويتحدث عن تمثالين نصفيين. راجع:

Pococke, ll. i. p. 111.

ويتحدث عنها دي سولسي ايضاً: De Saulcy, II p. 626. sq.

يقول موندريل ان بعض المحفورات معكوسة.

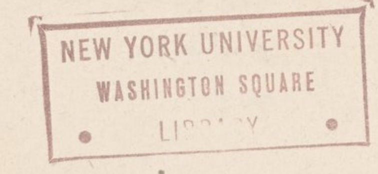
ويقول دى سولسي ان قواعد سائر الجوانب هي من «المواد الجبارة» من سرداب سابق، ص ٦٢٥.

٣ يقول موندريل «ممر في ممشى او رواق مقبب فخم، طوله مئة وخمسون يردة، وهو يفضي بك الى الهيكل (الاصغر). راجع الخامس من ايار. راجع ايضاً:

Pococke, II. i. p. 111.

ترى بين حين وآخر حجارة منحرفة الزوايا مبنيـة بدون نظام . في منتصف ارتفاع هذا الحائط ، على بضع ثلاثين قدماً من الارض ، تمتد منطقة ، او حاشية بارزة اشبه بافريز كالتي على السرادق من قدام . ومقابل منتصف الساحة ، مدخل صغير جوانبه منقوشة ، يظهر انه يؤدي الى الاقبية . وعلى الارجح ان حائط هذه الساحة الجنوبي يشبه الحائط الشمالي .

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث .



فهرس

من حاصبيا الى بانياس ٥
بين تل القاضي وسهل الحولة ١٩
سهل الحولة وانهرها ٢٦
بين الحولة وبانياس ٣٢
نزهة الى بحيرة فيالا ٣٦
بانياس ٤٩
بانيوم ، بانياس ٥٩
بين بانياس وقلعة بسطرا ٦٩
راشيا الفخار ٧٥
بين راشيا والهبارية ٧٧
الهبارية ٧٩
بين الهبارية وحاصبيا ٨٢
بين حاصبيا والكوة ٨٤
بين الكوة والنبي صفا ٩٤
بين النبي صفاوراشيا ١٠١
بين راشيا ورخلة ١٠٩
رخلة ١١٩
بين رخلة ودير العشاير ١٢١
بين دير العشاير ودمشق ١٢٧
دمشق ١٣٧
بين دمشق وعين الفيجة ٢١٢
بين ينبوع عين الفيجة والسوق ٢٢٢
على الطريق الى السوق ٢٢٤
بين السوق وسهل الزبداني ٢٤١
بين سهل الزبداني وينبوع بردى ٢٤٢
بين ينبوع بردى والبقاع ٢٤٨
بين مقلب الماء في البقاع والمجدل ٢٥٤
بين المجدل وعنجر ٢٦٣
عنجر ٢٦٦
نبع عنجر ٢٧٢
بين نبع عنجر والنبي شيت ٢٧٦
بين النبي شيت وبعلبك ٢٨٤
بعلبك ٢٩٠

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	٦	هادیء	هادئاً
١٦	٩	غابات الرمل	غابات الدفل
٢٢	١٤	خده	حده
٣٢	٤	الخضر	خضر
٣٤	٢	في ملتقى	من ملتقى
٤٩	١٥	فتثر	فتنشر
٥٠	٨	مغريان	قفريان
٥٦	٢١	Zettschr.	Zeitschr.
٦٢	٧	رمن	زمن
٧١	١٢	ووارءَها	ووراءَها
١٠٥	١٩	.	،
١١٢		Eusembius	Eusebius
١٤٢	٩	١٨١٨٧	١٨١٧٨
١٦٠	١١	٧٤٩٤٦	٧٤٩٦٤
١٦٨	٢٠	فـم الكير	على فم الكير
١٦٩	١٤	الملارمة	الملازمة
١٧١	١	لمريحة	المريحة
١٧١	١٤	التدحين	التدخين
١٧٢	١	استدعاء	استرعاء
١٧٤	١٠	مأذنتان	مئذنتان
١٨٠	٨	تستدعي	تسترعي

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٨	١٢	لاستيعاب	الا استيعاب
١٨٩	١٠	ابيه	اباه
١٨٩	١٠	حزيون	حزيون.
١٩٠	١٣	من بعشا	ضد بعشا
١٩٢	١١	الثلاثين	والثلاثين
١٩٢	١٢	اسولى	استولى
١٩٥	٥	لحقدم دعي	لحقدم على دعي
١٩٥	١٨	الحارس	الحارث
١٩٦	٣	سيكتس	سيكستس
١٩٨	٧	الكثيرون	الكثيرين
١٩٨	٩	الاسمى	الاسمي
١٩٨	١٧	Quiem	Quien
٢٠٣	٢	خرائبا	خرائبها
٢١٠	١١	دمشق	صور
٢٢١	١٧	ابا الفدا	ابو الفدا
٢٢١	٢٠	ابو الفدا	ابا الفدا
٢٢١	٢٢	Saland	Salad
٢٢١	٢٣	Phatha	Phaiha
٢٢٢	١٦	انشين	انشان
٢٢٧	١٣	الجهة ترتفع	الجهة. ترتفع
٢٣٠	٣	Fluminus	Fluminis

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣٠	٦	Abilenrum	Abilenorum
٢٣٠	٧	Imperoturum	Imperatorum
٢٣٠	٩	Palviae	Flaviae
٢٣٢	١٥	الساق	السباق
٢٣٣	١٨	Antonios	Antonius
٢٣٣	٢٧	Qiri	تحذف
٢٣٩	٩	Buching	Busching
٢٣٩	١٧	شاهدناما	شاهدناها
٢٤٢	٣	اكيمة.بستان العرب	اكيمة بستان العرب
٢٤٢	٣	قرية حوش	قرية حوش العرب
٢٤٧	١٢	الهُوي	الهُويّ
٢٤٨	٣	قرية خلوة	قرية حلوة
٢٦٨	١٣	Snch	Tuch
٢٦٩	٩	بطليوس	بطليموس
٢٦٩	١٣	مينوس	مينايوس
٢٧٣	١٧	لزيادة	الزيادة
٢٨٠	١٨	Lonjinus	Longinus
٢٨٧	١٥	Ritcher	Richter

تم طبع هذا الكتاب على مطابع نصــار
في اليوم العشرين من كانون الاول ١٩٥٠ .

